

CINDER

جبري

دعاء الجد عاني



اقْرَأْ بِعَيْنِ الْخِيَالِ

وَاتْرُكْ الْوَاقِعَ جَانِبًا

فَكَاتِبَةُ هَذِهِ الرُّوَايَةِ

تَعِيشُ بَيْنَ الْخِيَالِ

تمهيد

بين ثنايا قلبي الكثير من التفاصيل التي تحاول جاهدة إخفاء نفسها عن قلبي الجائر. نحن لسنا ملائكة على هذه الأرض، فالملائكة موجودون في السماء. وعلى عكس ذلك أيضًا، نحن لسنا شياطين، فقلوبنا لازالت نقية رغم امتزاج السواد بها.

نحن لسنا سوى بشر، بشر مليئون بالضعف وقلة الحيلة أمام كل مغريات هذه الحياة من جمال مبهر للعين في ظاهرها وسواد يقتل الروح في أعماقها.

أكتب لكم الآن ولا أنكر أبدًا مزجي لنقاء قلبي مع سواده في داخل هذه الرواية. لقد استعنت بكل شيء أملكه ولا أملكه فقط لإكمالها، لا يهم إن كان خيرًا أم شرًا، فالنتيجة بالنسبة لي هي الأهم من كل التجاوزات المحملة بالذنوب والآثام.

نحن "بشر" في نهاية المطاف، ومن طبيعتنا التآرجح بين الخير والشر من أجل الوصول إلى قمم الجبال التي تسعى لها أنفسنا.

قبل قراءة هذه الصفحات المتراسة والمليئة بسواد كاتبها وشرور شياطينه سأخبرك "سرًا"، سيكون بيننا أنا وأنت فقط.



مقدمة

في هذه المقدمة، نود أن نشكر الله تعالى على ما آتانا من نعمه، ونود أن نذكركم بضرورة التعرف على حقائق الحياة.

(هذه القصة بكل تفاصيلها، قد شهدت الحياة ذات يوم).

وكم كانت حزيناً في ذلك اليوم.

لما استدارت ظهرها إلى الدنيا، لم تدر ما كانت تفعل.

لكنها كانت تعلم.

لأنها كانت تعلم.

تحذير:

أسماء الشياطين، صفاتهم، أساليب حياتهم ومزجهم مع خدامهم من
السحرة بالكامل حقيقي.

إن كنت لا تقوى على مواجهة هذا العالم الرجاء إغلاق الكتاب الآن
ووضعه على الرف في الحال.

"شكر وامتنان"

كانت "ظلال" مليئة بالقصص

وكم كانت تهوى سرد القصص لي

فالشكر (لظلال)

ماذا إن تعاون "بشري" مع "قرين"؟

ماذا إن كانوا جميعًا "إناث"؟

ماذا لو...

"في سواد قلوبنا شيء خفي"

(1)

مراسم خروج الشيطان

كانت سنة غربية تمر على تلك القرية التي تبعد عن مدينة (الطائف) مسافة قليلة فقط، حيث إنها سنة 1412هـ التي كانت حافلة باستحواذ الشياطين على الأجساد البشرية وانتشار الكثير من السحرة من جنسيات مختلفة في أرجائها.

رغم إيمان الكثيرون بالله ومعرفتهم حرمة الاستعانة بغيره لكن المصائب التي كانت تواجههم أجبرتهم مكرهين على اللجوء للسحرة والشياطين، لتزداد مصائبهم حجماً ويزداد حزنهم حزناً.

(الكثيرون يصفونها بأنها كانت "سنة الجحيم")

صوت قرع الطبول ودقات على الهاون تصدرها يد مليئة بنقوش
غريبة، وأمامها فتاة تئن بصوت خافت ويغطي جسدها الصغير بأكمله
وشاح أبيض مليء ببقع الدم.

وضعت الكثير من المكونات الغريبة في ذلك الهاون الخشبي الذي
كان يحوي نقشات مماثلة لتلك اليد التي تستخدمه. ثم سرعان ما
امتزجت تلك المواد ببعضها البعض ليتم قذفها على ذلك الجسد من فوق
الوشاح وسط تهمات لا يدرك أحد معناها.
شعور غريب.. شعور غريب يحيط بالمكان، وكأن هالة الشياطين قد
امتزجت به لتبعث الضيق في قلوب الموجودين.

رغم كل ذلك استمرت بما تفعله من غناء وتمتات حتى اختفى ذلك
الأنين من تحت الوشاح لتصدر بدلاً منه ضحكة ساخرة كانت كفيلة
بإيقاف أولئك النساء عن قرع الطبول، لكن المرأة صاحبة الهاون نظرت
إليهن نظرة واحدة جعلتهن يكملن الدق والغناء متحدتين الخوف
المنساب داخل قلوبهم.

كان المنظر كالجحيم في عين تلك الطفلة المنزوية في أحد أركان
الغرفة، حيث إنها بدأت تتمتم لنفسها مرارًا وتكرارًا بصوت خافت:

- إنهم جنباء يا جمره، جنباء يجيدون صنع الوهم.

تذكرت قبل لحظات من بدء هذه المراسم الغريبة كلمات والدتها عندما أخبرتها أن ما يفعلونه أمرٌ طبيعي ويقومون به لأجل شفاء المتلبسين وإخراج الشياطين منهم.

تلك الفتاة أسفل الوشاح لم تتجاوز بعد عامها الرابع عشر وقد كانت قبل إصابتها بهذه اللعنة على وشك الزواج من ابن عمها، ولكن الآن كل شيء انتهى وتم زفاف قريبها قبل أيام قليلة من فتاة أخرى.

كانت جمرة تتأمل تلك الفتاة الصغيرة وكيف أن الشيطان رغم عذابه يقاوم رافضا الخروج منها. لقد قالوا إنه عاشق، يعشقها إلى حد الاستعداد للاستغناء عن حياته وقتل نفسه بقربها على أن يتركها للإنسي، جعلها ذلك تفكر وتتساءل..

(لماذا الحب خبيث هكذا، يأتي ليتسلل داخل قلب اثنين من عوالم مختلفة لينسج لهما أوهاما لا تنتهي حتى يكيد بهما فتتمزق أرواحهم لأجل الدفاع عنه، ثم تنتهي القصة بكارثة تصيب الطرفين معا).

لتأكد بعدها من فكرة واحدة استنتجتها خلال هذه الليلة..

(وما كان الحب إلا شيطان يجيد صنع الوهم فيعتلي به مشاعر المرء ثم يفتك به).



في ظل تأملها لتلك الضحكات الشيطانية الممزوجة بتمتمات والدتها
خيل إليها أن ذلك الجسد ارتفع عن الأرض بعض الشيء.

ظنت للحظات أن الخوف قد نسج لأعينها هذا المنظر، ولكن اتضح
من نظرات الجميع في المكان بأنهن قد أدركن ما لمحته تمامًا.

عند عودتنا أيها القارئ لذات البقعة التي تجلس بها صاحبة اليد
المنقوشة وبجانبيها ذلك الجسد المستحوذ عليه من الشيطان الذي يصرخ
عليها محذرًا حينًا ويبعد تلك الضحكات الساخرة حينًا أخرى.

لتبدأ بعدها بمزج الآيات القرآنية بكلماتها فيصرخ بكل قوته وهو
يتوعد قتلها وإن كلف الأمر أن يقتل كل الشياطين الذين يسعون لخدمتها
من أجل الوصول إليها.

ثم يشير بيده نحو تلك الطفلة المتزوية مهددًا بأن روحها ستكون
عوضًا له عن كل العذاب الذي يحصل عليه هو ومعشوقته في هذه
اللحظة.

مر الوقت في صراع لا يكاد ينتهي مع ذلك الشيطان حتى فقدت
تلك الفتاة وعيها وسقطت أرضًا.

سرعان ما تم حملها بواسطة العديد من النساء لنقلها إلى إحدى الغرف ليتوقف بعدها قرع الطبول وتلك التتمتات الخارجة من صاحبة الهاون في ذات اللحظة.

بدأت امرأة في نهاية الخمسين من عمرها تضع أمام كل واحدة من المشاركات في قرع الطبول مبلغًا كان كافيًا بتغيير ملامحهن المرعوبة إلى ملامح تغمرها السعادة فور رؤيته، ليصقن من أفواههن الكثير من عبارات الامتنان والشكر ثم رحلن من المكان.

في تلك الأثناء بدأت صاحبة الهاون بجمع حاجياتها المتناثرة ووضعها داخل حقيبتها السوداء، حيث كانت أكياس الأعشاب ومواد كريمة الرائحة لا أحد يعلم من أين تجلبها، اعتادت دائمًا على أن تخرجها وتعيدها من وإلى ذات الحقيبة.

وفي هذه اللحظة تقدمت تلك المرأة ذات الخمسون عامًا والتي انضح عليها البذخ رغم التعاسة المرسومة على وجهها وقالت:

- أشكرك يا محاسن، أتمنى أنه رحل دون عودة.



لم تكن محاسن ذات اليد المنقوشة تظهر أي تصرف ينم عن الاحترام حيث إنها ناولتها بملامح متجهمّة قارورة مليئة بزيت تفوح منه رائحة كريهة وقالت لها:

- ضعي هذا الزيت على جسد ابتك لعل الحظ يقف بجانبها وتنجو.

ظلت المرأة الخمسينية والتي تدعى بثينة تنظر إلى محاسن وطفلتها بتعجب شديد. فكيف لها أن تجلب معها طفلتها إلى هذا المكان وكيف لها من الأساس أن تحمل هذه القوة وتكون ثابتة رغم تهديدات الشيطان الصريحة لها ولابتتها.

كانت محاسن، امرأة غريبة الشكل والتصرفات حيث إن وجهها ذو الملامح الجميلة تمت تغطيته بواسطة الكثير من الوشوم المشابهة لتلك المتواجدة على يدها، وكم كانت تهوى السواد.

حيث إنها منذ سنوات قذفت برداء النساء من ألوان زاهية لترتدي السواد فقط لون وحيد لا يتغير. بينما ابتتها تلك الطفلة ذات الحادية عشرة عامًا لا تستر عورتها سوى قطعة قماش بالية أوشكت على الانحلال. كانت ملامح طفلتها لا تقل جمالاً عن والدتها فشعرها الأسود الطويل منساب على وجهها بفوضوية وملاحها البريئة غطتها طبقات من الأوساخ لتمنع جمالها من الظهور بشكل كامل، ولديها غمازتين ملائكية لكن لا أحد يعلم عنها فهذه الفتاة نادرًا ما تبسم.



حاولت السيدة بثينة أن تجلب من غرفة ابنتها مريم صاحبة الجسد المستحوذ بعض الثياب لتهدئها لهذه الطفلة التي تدعى جمرة، ولكن نظرات محاسن المرعبة وصوتها الحاد جعلها تتراجع قبل أن تقدم على ما تريد فعله.

خرجت محاسن وابنتها جمرة من ذلك المنزل بكل هدوء، بينما يد الأولى تجر حقيبتها المهترئة وتلك الأخيرة تلحق بوالدتها بخضوع تام.

مشيت الاثنتان في الطريق لمدة نصف ساعة بين تلك القصور المخصصة للأغنياء في مدينة الطائف حتى عثروا على حافلة وافق صاحبها على نقلهم إلى قريتهم. بدأت معالم العمران تختفي عن أعينهم لتظهر لهم تلك البقعة الشعبية التي يسكنون بها والمليئة برائحة العفن المنتشر في أرجائها.

لقد كانت قرية بسيطة، بنيانها من طين وعمراتها مليئة بفضلات كل من البشر والحيوانات على حد سواء. لم يكن سكان القرية يشعرون بعمق القرف الذي يعيشون فيه، فقد اعتادت أنوفهم وأعينهم وحتى أجسادهم على هذه الحياة القذرة.

صدقني، إن تم تعقيم هذه القرية من كل ما تحتويه لمات ساكنيها بعدها بلحظات.



قبل وصولهم إلى منزلهم بمسافة بسيطة، كان يجلس رجل رث الثياب دميم الوجه كرية الرائحة تتضح على ملامحه معالم الفقر والحاجة فأصبح يتوسل إليهم فقط يريد لقمة يشبع بها جوع بطنه.

ناولته محاسن ذلك الظرف بكل ما يحتويه تحت أنظار ابنتها المليئة بالخسرة. فور أن فتحه وشاهد المبلغ الذي بداخله حتى أصبح يدعو لها بكل الأدعية التي عرفها في حياته حتى يومه هذا.

عند وصولهم فتحت جمرة باب منزلهم المتواضع والمبني من الطين والحجر على عكس تلك البيوت الفارهة في المدينة. كانت بوابة المنزل تصدر صوتًا لا يقل رعبًا عن هذه الليلة، فنطقت جمرة:

- ليتك لم تعطِ ذلك المتسول كل الأموال التي جنيتهما، لكنا جلبنا باب آخر أقل رعبًا من هذا الباب أو على الأقل أصلحناه.

أزاحت محاسن عباؤها عن جسدها ووضعت تلك الحقيبة السوداء برفق في مكانها المخصص (داخل خزانها بين الثياب) وأجابتها:

- الأموال ملعونة، ولا أحب أن تعيشي بواسطة أي رزق تم جلبه بواسطةهم.

- بواسطة من!



بدأ على وجهها التوتر الذي تحاول إخفاؤه لتقول:

- دعيني أحضر العشاء، وأنت اذهبي لتغيير ثيابك.

لم تعطها المجال للاعتراض، فقد ذهبت سريعًا إلى المطبخ وبدأت بإخراج كل ما يمكن أكله. لم يكن يحوي من الأساس شيئًا عدا بضع بيضات ورغيف خبز قد فسد نصفه، رغم ذلك لم تعترض جمرة، بل بدأت بالأكل بكل شراهة متجاهلة تلك البقع الخضراء المنتشرة على قطعة الخبز.

في الواقع، لم يكن الطعم سيئًا فقد اعتادت عليه منذ أن وجدت نفسها في هذه الحياة، وفي تلك الأثناء همت بسؤال بريء:

- هل أنت شيخ يا والدتي!

توقفت محاسن عن الأكل ونظرت إليها بنظراتها الحادة والتي لطالما كانت مصدرًا للرعب في قلب ابنتها ثم نطقت:

- قد أكون قريبة منهم، لماذا؟

- في مدرستي قالت المعلمة أن الشياطين يخافون الشيوخ، أولئك الذين يقرأون القرآن على الأجساد المستحوذة عليها من قبلهم، فأخبرتها بأنك كأولئك الشيوخ تفعلين ما يفعلونه، بل قد تكوني أقوى منهم.

اتضح الهلع على وجه محاسن وقالت بتوتر:

- هل أخبرتها بما فعله يا جمة؟ كم مرة عليّ القول أن الأمر هذا سرٌّ بيني وبينك، ومن الأفضل أن يكون سرّاً، فالمجتمع هنا لا يفهم ما أقوم به.

صمتت قليلاً لتدارك الغضب الذي أصبح صوتها ممتلئاً به ثم أكملت:

- الأفضل أن تبقي في المنزل، في جميع الأحوال التعليم لا يجدي نفعا للفتاة فمصيورها الزواج لتنتهي بالعمل في خدمة زوجها ومنزلها. شعرت تلك الطفلة بذات اللحظة أن قلبها قد خرج من موضعه، لم تتوقع يوماً أن تترك مدرستها رغم كرهها لها. أرادت الجدال لعلها تتراجع عن قرارها، ولكن نظرة واحدة من محاسن، جعلت جمة تصمت وتكمل طعامها دون أي اعتراض.



قصة عاشق

في تلك الغرفة المليئة بكل ما يتمنونه الفتيات في ذلك الزمان، كان ينظر إلى جسدها المغطى بوشاح أبيض مليء ببقع الدماء وعلى وجهه علامات الغضب.

كل ما كان يدور بعقله وقتها هي تلك اللعنات المتواصلة والتي أراد أن يحرق بها هذا المنزل بكل من فيه لتصبح ملكًا له دون أن يعكر صفو حياتهم أحد.

ذهب بذاكرته قبل سنوات قليلة عندما كان عمر هذه التي أمامه عشرة سنوات فقط. كانت تلعب في ساحة المنزل بالمياه العذبة بينما الخادومات يسكنن المياه في أرجاء المكان.

شعرها الأسود الحريري وعيناها البنيتين وتلك الضحكات البريئة التي تصدر منها كلما رشقتها إحدى الخادومات بالمياه ممازحة.

رغم سماعه تحذيرات كثيره بأنه يجب عليه أن يتجنب نساء البشر وأن لا يقع بحب واحدة منهم، لكنه أدرك فورًا بعد رؤيته لها أنه قد وقع بحب هذه الطفلة دون أن يقرر أو يختار.



لم يفارق هذا المنزل منذ تلك اللحظة التي شعر فيها بحبه لمريم تلك الفتاة الصغيرة ذات العشرة أعوام، وأصبح يتردد إلى غرفتها كل ليلة عند نوم الجميع. متشكلاً بهيئة طفل قريب من عمرها لتنشأ بينهما صداقة بريئة من طرفها، ولكنها تحمل نيات خفية من الطرف الآخر.

ذات ليلة سأله بتعجب شديد:

- لماذا تأتي دائماً بعد نوم عائلتي، ولماذا تطلب مني عدم اخبارهم عنك؟

بملامح حزينة تصطنع البراءة قال:

- إن علم أحد عني سأختفي من حياتك للأبد، ولن تريني مجدداً يا مريم.

- ولكن لماذا؟

- أنت تعلمين لماذا، أنظري إلى أختك التي تكبرك بسنة واحدة فقط، لقد تم منعها من اللعب خارجاً برفقة الصبية وبدأوا بتجهيزها للزفاف من أول شخص يطرق باب منزلهم، ماذا سيفعلون بشأن صداقتنا يا ترى!



بدأت تفكر فيما قاله لتوافقه الرأي بعدها وتعااهده أن تبقي هذه العلاقة مخفية دائماً عن أعين الجميع فهي لا تود خسارته.

مرت السنوات وهي تكبر وتبدأ معالم الأنوثة تتضح عليها بينما أحزم يحاول مجاراتها في النمو فكلما تكبر قليلاً يتحول لنسخة أكبر من تلك التي اعتمد ظهوره بها.

حتى جاء اليوم الذي كانا يتسامران به على سطح المنزل، حيث كانت السماء تتلحف السواد والنجوم تملأها مثل الماسات صغيرة، لتبهر بجمالها كل من ينظر إليها.

كانت تستمع لقصص أحزم المشوقة، فكلما سألته عن نجمة من تلك النجمات ليسرد لها قصصاً لم تُرو لبشري من قبل.

لطالما كانت مريم أفصح الفتيات في عمرها حيث كانت تجيد إلقاء الشعر الفصيح ببحور يعجز عنها أمهر الشعار وكذلك كانت تمتاز بسرد القصص التي ظنها الكثيرون ناتجة عن خيالها الخصب، ولكن في الحقيقة هي اقتباسات لا أكثر من حكايات أحزم لها.

كانت تستمع له ثم سرعان ما تهتف عند رؤيتها لنجمة أكثر لمعاناً وجمالاً مما قبلها قائلة:

- وهذه يا أحزم، أخبرني عنها..

في تلك الأثناء نهضت ماريًا أخت مريم من نومها بسبب حاجتها لشرب الماء، ولكنها تذكرت أنها لم تملأ قربتها فخرجت من غرفتها للحصول على بعض المياه لتروي عطشها، ولكن ما أثار فضولها وجعلها تغير مسارها نحو سطح المنزل هو صوت مريم وضحكاتها الوحيدة.

شعرت بالخوف من فكرة أن تكون أختها تواعد أحدا سرًا بعيدًا عن أعين الجميع فتوجهت بخطوات هادئة إلى الأعلى حتى لمحتها تجلس في منتصف سطح المنزل وتتحدث مع شخص لا وجود له.

في تلك اللحظة شعر أحزم بها ليهمس لمريم والتي سرعان ما أدارت وجهها باتجاه أختها مما أثار رعب ماريًا أكثر من الرعب الذي سكن قلبها قبل لحظات وهي ترى أختها تتحدث مع نفسها وكأن أحدا كان بجوارها.

تمالكت نفسها واقتربت من مريم وقالت لها:

- ماذا تفعلين هنا بهذا الوقت، ومع من تتحدثين؟

ثم سرعان ما أكملت قبل أن تجيب أختها:

- وكيف عرفتِ بأنني خلفك رغم أني لم أصدر صوتًا!



ابتسمت مريم وقالت لها:

- شعرت بك، لا أكثر.

- إذاً مع من كنتي تتحدثين قبل لحظات ١٩

نهضت مريم من مكانها وحملت كل ما جلبته معها استعداداً للتزول دون أن تلقي بالآ لتساؤلات أختها. ظنت أنها إن تجاهلتها وأدعت عدم الاهتمام سينتهي كل شيء، ولكن تلك الأخت أبت أن تعود لمنزل زوجها قبل اكتشاف السر الذي تخفيه مريم.

يوماً وراء يوم وبسبب وسوسة ماري لوالديها بدأ جميع أفراد العائلة بالافتناع أن ابنتهم يملكها شيطان عاشق. حيث بدأت مناقشة في إحدى غرف المنزل:

- ماذا علينا أن نفعل، لقد وافقت على زواجها من ابن أخي، والزفاف قريب.

- أخبرتك يا محمد، لا يمكننا تزويجها وهي بحالتها هذه.. لقد قالت ماري أنها شاهدها تتحدث بمفردها في سطح المنزل و..

- ماذا أيضاً!



- كنت سأقول إن ابنتنا أصابها نوع من الجنون إن لم يحدث ذلك الموقف.. في تلك الليلة التي لم أستطع النوم بها عندما قالت لنا ماريما قالت، نهضت من فراشي وتوجهت إلى سطح المنزل لاستنشاق الهواء ووجدتها تجلس على حافة البناء، تنظر إلي ووجهها مليء بتعابير شيطانية.. لم تكن تلك ابنتي، كانت نسخة مخيفة منها.

أراد محمد طمأنة زوجته، ولكنها قاطعته قائلة:

- ذلك الشيطان يعلم بشأن زفاف مريم الذي نحضر له..

كان يستمع لكل تلك الأقاويل التي يقولونها وقلبه مليء بالغضب، لا يمكن لأحد أن يسلبه مريم وإن كلفه الأمر أن يهرب بها إلى أبعد مكان لم يسكنه أحد من البشر.

في صباح اليوم التالي بحثت بشينة عن ابنتها بعد أن أمرها زوجها بتجهيزها لعقد قرانها، قبل أن يعلم خطيبها بشائعات تلبس الشيطان لها. لكن الكارثة عندما وجدت غرفتها فارغة، بحثت عنها في كل أرجاء القصر لكن دون فائدة.

سرعان ما انتشر خبر اختفاء مريم في أرجاء المكان لتطالها الشائعات والالتهامات التي جعلت والدها يتوعد بقتلها فور عثوره عليها أمام الملا.



بدأت رحلة البحث عن مريم بين الأحياء المجاورة والقرى القريبة من المدينة، ولكن دون جدوى، تلك الفتاة اختفت وكأنه لم يعد لها وجود في هذه الأرض.

وضعت بثينة كل ما تملك مكافأة لمن يعثر عليها وقد انتشرت قصتها في جميع أنحاء المملكة كالنار في الهشيم.

حيث أصبح منزل العائلة لا يهدأ نتيجة القرع المتواصل من أولئك المدعين أنهم شاهدوها طمعاً بالمكافأة. هنالك من قال إنها متواجدة في وادي قريب من قريتهم كل ليلة يسمع صراخها هو وعائلته وقد شاهدوها مرتين تطلب منه المساعدة، ولكن دون جدوى كانت تختفي بنفس اللحظة التي يحاول إمساكها بها.

مرت ستة أشهر وكان الأب يذهب بحثاً عن ابنته في الأماكن التي دلوه عليها، ولكنه لم يجدها أبداً. بدأ اليأس يدب في قلب تلك العائلة فقال محمد لزوجته بثينة التي تلبسها السواد منذ رحيل ابنتها مريم:

- علينا إقامة عزاء لها، لا أعتقد أنها حية وإن كانت حية يا بثينة لا أظن أنها ستعود.



صرخت بغضب عليه وقالت:

- هل تظنني سأستمع لكلامك مجددًا بعد كل ما فعلته بأبنتي، كل شيء حصل بسببك.. زوجت ماريا من شخص يكبرها عشرون سنة وهي طفلة بينما الأخرى رغم معرفتك بشأن استحواذ الشيطان عليها فقد أردت تزويجها أيضًا والخلاص منها والآن تقول لي علينا إقامة عزاء لها؟ لن يحدث ذلك أبدًا ولن أستمع لك من جديد.

- إذا لنفترض أنني السبب بكل هذا القرار لكن الآن ماذا تقترحين

أن نفعل!

صمتت لحظات ثم قالت:

- لنذهب إلى ساحر، سيخبرنا عن مكانها.

نهض من مكانه غاضبًا وقال:

- هل جُنتِ يا امرأة، في هذا العمر ترغبين مني أن أذهب إلى ساحر، أهون عليّ أن أموت أو أتعذب طوال حياتي على أن أذهب إلى أولئك الدجالين!



ثم نظر إلى ابنته ماريا والتي يتضح على ملامحها الندم وقال لها
صارخًا:

- وأنتِ اذهبي إلى منزل زوجك!

ثم رحل تاركًا بثينة وماريا في هم لا يعلمون كيفية الخلاص منه.



في مكان آخر بعيد كل البعد عن تلك المدينة فوق أعالي الجبال
وبالتحديد في كهف لم يدخله إنسي من قبل، كانت تجلس وعينيها مليتان
بالدموع

تنكي سرفج لعائلتها ودر عيها من وحو دها في مكان لا تعلم نسبة
وصو لها إليه. جازوا كثيرا أن يجعدها تقبل حياتها الجديدة معه لكن نون
قائدة حيث قال لها:

فغاب المستحيل لأحلك يا مريم، اتفعلي القليل لي أرجوك

- عذني إلى منزلي. كيف لك أن تفعل هذا بي أنت من ظ
صديقي أصبح الآن بخير بي بخيك وبرفضك فكريه رواجي.

- لا يمكن لي أبأ مع لشري أن يقتر بـ منك، أحببتك منذ صير

فليتعطيني القليل من حبي لك وتهديتي

عادت لأكية مجددا وكلها أرايا يلتمس وجنتيها المبيلة بالدموع بكه

سده نبتعد عنه وتصريح في وجهه طلبة منه الاحتواء شعر بالخلا
وانكسر قلبه، كيف لمن أحسها سنين طويلة، وتحنى عن عائلته لأجلها

تقدف به بعيدا لأجل رجل آخر



تذكر قول صديقه همام أن إناث البشر أنانيون جداً، يقدمون لك الأمان والحب ممزوجاً بسلام وروحانية غريبة على طبق من ذهب حتى تفرق مبتسماً لهم ثم يظهروا وجوههم الخفية ويتخلون عنك.

قرر رغم علمه بأن هذا القرار سيعذبه ويقتله، وقد يجعله هائماً في أرجاء الأرض معتكفاً على نفسه إلى أن يحين أجله.

قرر إرجاع مريم إلى عائلتها وإلى ذلك الرجل الذي ستكون ملكاً

له..



ما بيننا قصة خذها أبطالها

لتصبح عبرة لغيرها من القصص..

صوت طرقات ممزوجة بصوت المطر كانت كافية رغم انخفاضها
ليذهب نحوها محمد غاضباً وهو يصرخ:
- لقد مللت من كذب هؤلاء البشر.

ولكن فور فتحه للباب واستعداده للصراخ على الفاعل حتى وقف
مندهشاً لا يدري ماذا يفعل، لقد أصابه الرعب والفرح في ذات الوقت.
ابنته مريم واقفة أمام باب منزله بلباس نومها الذي كانت ترتديه قبل
سنة أشهر عند نومها، لقد كان ممزقاً ويفضح أكثر مما يستر، مليء بالطين
ومبتل حتى آخره نتيجة المطر الذي يهطل بغزارة في ذات الوقت.
نادته زوجته:

- محمد، من هناك ما بك تأخرت هكذا؟

لم يجب عليها مما جعلها تشعر بالغربة من تصرفه لترتدي حجابها على
عجل وتلقي نظرة خلف الباب فتصرخ:

- مريم!



ثم ركضت إليها واحتضنتها بكل قوتها خوفاً عليها من رحيلها مرة أخرى. دخلت مريم إلى منزل عائلتها من جديد وقررت أن تكمل حياتها رغم كل ما حدث.. وبعد كثير من الحوارات التي كانت تدور في عقلها استسلمت وأخبرتهم بتوتر وقلق بموافقتها على الزواج من ابن عمها.

في الواقع، منذ زمن ومريم تعشق ابن عمها وترغب به زوجاً لها. رغم قربها من أحزم ومحادثاتها المطولة معه لكنها لم تكن تشعر تجاهه سوى بشعور الصديق لصديقه لا أكثر. وقد أخبرته كثيراً عن إعجابها بعزیز وكان يجاريها فيما تقوله ويخفي غضبه واستياءه.

شعرت بالأسف عليه، فقد جعلته يعيش وهماً لا تعلم كيف أشعرته به، ولكن الآن لا شيء مهم بالنسبة لها. رحل أحزم ومزقت تلك الصفحة بأكملها والآن حان موعد صفحة جديدة برفقة من أحبته هي لتكون زوجةً له.

ذهب والدها هذه المرة بنفسه إلى منزل أخيه لإخباره بعودة ابنته وأنه حان الوقت لتحديد موعد للزفاف. ولكنه لم يتوقع ذلك الرد الجاف من أخيه حيث أخبره قائلاً:

- عزيز سيتزوج خلال هذه الأيام من ابنة خالته.



اتضحّت الصدمة على وجه محمد حيث أنه رفض أن يكمل الجلوس
ونفض غاضباً ليقول:

- من واجبك كأخ لي أن تقف معي في محنتي وتخاف على ابنتي وكأنها
ابنة لك، وأن تنقذ شرف العائلة وتحميه من حديث الناس.

- ما ذنب عزيز لأجعله يتحمل خطيئة ابتك، ماذا يثبت لنا أن من
خطفها يكون شيطاناً.. قد يكون شيطان صحيح، ولكن من بني البشر يا
أخي.

شعر محمد بالحرقه بسبب كلمات أخيه التي كانت كالسم انسكب على
قلبه. ظن أنه إن قال الجميع أقاويلهم وقذفوا سمومهم عليه وعلى عائلته
سيبقى بجانبه ذلك الأخ يحميه كالدرع.. لكن الواقع جاء مختلف تماماً.

في طريقه للرحيل شاهد عزيز عائداً من عمله وعندما شاهد عمه
أشاح وجهه عنه وذهب إلى الداخل دون أن ينطق بحرف واحد.

في تلك اللحظة كانت بشينة تجهز ابنتها للزفاف بمساعدة ماريّا حيث
كانوا متيقنين أنه ما إن يعلم عزيز برجوع مريم حتى يجلب بنفسه الشيخ
لتكون زوجة له.



في المقابل كان أحزم ينظر إلى مريم ترتدي أجمل الثياب استعدادًا
لشيء لن يحصل ورغم علمه باستحالة حصوله لكن قلبه امتلأ بالغضب
والغيرة المطلقة.

غريب حقًا هذا الزمان، غريب هذا القدر كيف له أن يحقق آمانياتنا
وأحلامنا لأشخاص لا يقدرّون قيمتها أبدًا، كيف له أن يأخذ من نحب
ليعطيه لمن لا يجب!

ذلك التضاد الذي كان يدور في عقل أحزم وقتها بينما عينيه تتأمل
بشاعة الموقف رغم ملائكية تلك الحسنة الظاهرة فيه.

مر الوقت سريعًا وأصبحت مريم بكامل أناقتها تنتظر قدوم من
أحبته بعد أن تخلصت من صديق طفولتها لأجله، لكن والدها قد عاد
وحيدًا. ظنت أنه سبقهم للقدوم فسألته بشينة متوجسة:

- متى سيأتون؟ كل شيء جاهز حتى الآن لاستقبالهم فقط ننتظر
وصولهم لنبدأ الاحتفال.

- لن يأتي أحد.



ثم نظر إلى ابنته بفستانها الذي جلبته لها والدتها قبل اختفائها حصيصًا لهذا اليوم، وقال موجهًا كلامه لابنته الكبرى ماريًا:

- عودي إلى منزل زوجك، لقد ألغى كل شيء.

ألقي في تلك اللحظة نظرة حزينة على مريم وأكمل:

- سيتزوج عزيز امرأة أخرى.

شعرت مريم أن قلبها قد تحطم عشرات المرات، كيف له ذلك.. لقد نمت منذ طفولتها ولطالما كانت تحب حبه داخل قلبها خجلًا والآن رحل ليكون زوجًا لفتاة غيرها. كم شعرت وقتها بالكره تجاه أحزم فهو سبب كل شيء، شعرت بأنها تود أن تقتله بيديها الاثنتين.

سقطت دمعة من عينها وذهبت خائبة منكسرة إلى غرفتها بعد إمساك أختها ليدها. كانت تلك الأخت تحاول جاهدة بعث الأمل داخل قلبها قائلة:

- سيأتي الأفضل، وستقعين بحب شخص أفضل عزيزتي.

ثم سرعان ما ارتدت عباؤها لتذهب بعد نداء والدتها لها أن زوجها قد وصل ويستظرها في الخارج. بتلك اللحظة التي أغلق بها باب غرفتها شعرت بوجوده. لتنظر بغضب إلى زاوية غرفتها فتجده ينظر إليها بحب صافي لم يختلط بمرارة الحقد رغم كل ما فعلته به.



قالت له:

- أخبرتك أني لا أريد أن أراك مجدداً في حياتي، أرحل يا أحزم!
- لقد انتهى كل شيء ورحل من أحببته، لم يعد هنالك سبب
لإبعادي عنك.

- أنا لم أعد أريدك بكل الأحوال، وأصبح يراودني شعور أنك
السبب بكل ما حصل لي.. لقد دمرت حياتي التي تمنيتها!
ضحك بسخرية وقال:

- ذلك الفتى صدقيني لا يستحقك، من يترك شخصاً يحبه لمجرد
شكوك لا أصل لها أو لأجل أن يحتمي من سموم كلام الناس فهو لا
يستحق أن يحبه أحد.

نهضت من مكانها وصرخت في وجهه:

- قلت لك أبتعد، أرحل عني.. أخبرتك أني لا أريدك ألا تفهم؟ لا

أريدك!

بتلك اللحظة فتح الباب لتركض بثينة نحو ابنتها التي ظلت تصرخ
على زاوية غرفتها الفارغة. رغم شعورها بالخوف لكنها ضمت ابنتها
بكل قوتها نحوها وهمست لها:



— سيوف أحميك يا سليم سيوف تنزع منك لماكر — منك

بالمقام كان محمد جالساً في مكانه لم يتحرك حيث كان، ثم نكأ على
جدي لخطا، ان بيده د سخته لمصنوعه من حجر الكهرمان ينظر إلى
الملاهي ينظر بفارغية من كل شيء.

بعد أن هذا — سبة انتهت ذهبت إلى وجهها وقالت له وهو شاككي
من جيسهها بها.

— أرى جزيك دغنا نفعلي أي شيء فذلك الشيطان من شركها.

لم يحسها لتهذه كل قوتها فبقا أرغ استنسا عينيها مفتوحة بالكامل
استأنفهم في أن — مدحها فتج — وهو يربح عجباً أنا، كيانها جملاً نقلاً
نور طهرها لا يتحمله أقوى — حال

ص — ت بكل قوتها، تستجمع، كل سكان الجحيم — معجزة انتهت من
المنى فخر، رويتها لحسيد — ألبها مصلقي على الأضاح من أي شيء
حتى سقطت — — —



عندما يأتي الموت

كل الأشياء تصبح لا قيمة لها.

بتلك اللحظة فقط.. استطاع أن يتمكن أحزم من السيطرة على جسدها بالكامل ليسكن أعماق روحها.

بدأ الكابوس في ذلك القصر، حيث أصاب الجنون عقل مريم والتي قد ظن الجميع أن ما أصابها بسبب حزنها على والدها الذي توفي بسببها هي والمصيبة التي قامت بها.

لم يعلم أحد ما نوع المصيبة، ولكن جميعهم اتفقوا على شيء واحد وهو أن هذه الفتاة فعلت أمرًا مغلًا بالشرف لذلك ألغى زفافها ومات والدها قهرًا وكل ذلك جعلها تصاب بالجنون.

لم تعد تقوى بثينة على تحمل هذه الأقاويل التي تتهم ابنتها بالسوء وعجزت أيضًا ماريًا أن تتحمل سخرية زوجها من عائلتها، فابتعدت عنه لتعيش في ذلك المنزل برفقة مريم ووالدتها في عزلة تامة بعيدًا عن البشر.

كل ليلة بالنسبة لهم كانت كالجحيم وعذاب لا ينتهي حيث أن مريم تثير الرعب داخل قلوبهم، فتارة يجدونها تطفو بالقرب من سقف المنزل وتنظر إليهم بنظرة شيطانية وتارة أخرى كانت تقف فوق رؤوسهم بهدوء عند نومهم وفي عينيها شر لا يمكن وصفه.

أصبحت كالمجانين تمامًا، تهذي بأشياء مرعبة وتفشي أسرار كل واحدة منهم للأخرى رغم أنها من الأساس لم تكن تعلم عن تلك الأسرار شيئًا، ولكن ذلك بالطبع كان بفعل أحزم.



قالت ماريًا لوالدتها:

- يجب أن تفعل شيئًا لإنقاذها، فذلك الشيطان لا ينوي خيرًا..

كانت كل فترة تزورهم أخت بثينة التي تعيش في قرية قريبة منهم وعلى عكس بثينة فقد كان زوجها فقيرًا وبعد أن حصلت على نصيبها من وراث والدها نهبه بالكامل منها وأضاعه في شرب الخمر والنساء، كانت في تلك اللحظة متواجدة معهم وتستمع لكلمات ماريًا فقالت سريعًا:

- لدي الحل..

نظرت الاثنتان لها برجاء فأكملت:

- هنالك امرأة تدعى محاسن تعيش مع ابنتها في نفس القرية التي أعيش فيها، رغم أن الشائعات حولها تقول أنها ساحرة لكنني أكاد أجزم لكم بأنها ناجحة جدًا في عملها.. وتستطيع فعل أي شيء لأجل المال..

صرخت ماريًا في وجه خالتها:

- أرجوك يا خالتي لا تذكرى لنا السحرة وشياطينهم يكفينا هذا الذي يحوم حولنا.



قاطعتها بشينة حيث نظرت إلى أختها وقالت:

- هل تستطيعين أخذي إليها الآن؟

هزت رأسها إيجابًا لتذهب سريعًا لارتداء عباءتها فقالت ماريًا

برعب:

- تتركيني هنا معه، بمفردي!

- يجب على أحدٍ منا البقاء مع مريم، قد يهرب بها بعيدًا مجددًا.. لا تدعيها تغيب عن ناظركِ أعدكِ لن نتأخر.

سرعان ما رحلوا لتشعر ماريًا بصوت حركة خلفها وفور أن أدارت وجهها للوراء وجدت مريم تنظر إليها بخبث وسخرية منها لشعورها بالخوف.

جلست أمامها وظلت عينيها تحقق في عيني ماريًا لوقتٍ طويل بنفس الابتسامة الساخرة حتى قالت:

- مسكينة أنتِ يا أختي، لن تشعري بلذة الأمومة طالما حييتي.

أتضح الارتباك على صوت ماريًا التي قالت:

- لماذا تقولي هذا، فأنتِ لا تعلمين الغيب.



- لكلك - نأى وحيداً، بلا روح، «لا عائلة

انقص - هنا أدركت مسكبه أنت فاجبي

لم - طعم النطو - بل ظلك في مكانها تصارع الخوف الذي نصنم
داخر قلبها سما تفتب الطرات المريية ما الت ثابتة نحو هنا ولم تر من

ابدأ

في تلك القوية المتهالكة التي تبوء - هنا رائحة العفن - بعد ان أبرهم
السيانو مسك - مسكة - اختها خوفاً من ضيق الأرقية وضمن طرات جميع
من في المكان نحوها - رجلاً سبأ

وصات إلى المتز - الذي فتح نفسه - هور مجيئهم مصدراً صوتاً عربياً
مرعجا في باب الوقت ظنت أنه يوجد شخص واء الباب ليسحة هم
بحر ما اصابتها بالوعث هو عدم - هور أي اجد قربه - همشت لأحسها

- به - فتح الباب بيمرده

احتها تسخرية

هل نسيب أنا ذاهو - إلى مهاجرة وليس شخص عادي فاكوا

أحد ال من معها هو من يتبع لنا الباب لا تخافي



بدا على وجه بثينة التردد وعدم الرغبة في الدخول لقد تراجعت، ولكن أختها دخلت سريعاً كمن أعتاد على الذهاب إلى هذا المكان وكأن هذه المرة لم تكن الأولى لها. سرعان ما تبعتها لتقف أمام امرأة جالسة تتوسط حصيراً بالياً، وأمامها شعلة زرقاء.

أرادت بثينة التحدث والتعريف بنفسها لكنها قاطعتها قائلة:

- اجلسي يا بثينة.

شعرت بدقات قلبها تزداد، كيف لها أن تعرف اسمها وأرادت السؤال عن ذلك لكن يد أختها كانت أسرع من لسانها فأجلستها وهمست لها:

- لا تنطقي بأي شيء لا داعي له، أخبريها بما ترغبين به فقط.

كانت المرأة تنظر إليهم بهدوء شديد وعلى وجهها ابتسامة جعلت قلب بثينة الثائر يهدأ، فقالت:

- لدي ابنة، شاء لها القدر عذاباً لا تقوى عليه.

- أتقصدين مريم؟



هزت رأسها إيجاباً فأكدت محاسن
- مريم وعاشقها أنحزم، كان منسكاً لكنكم أغضبيموه فنجعلنموه

دمير ولم يعد كذلك
ماذا علينا أن فعل للبحلاص منه، ار جوك افغلي أي شيء وسأدفع
لك كل ما تر غير به

ابنسحب لها وقالت

- سأزى، ما يمكنني عفته.

ثم بدأت يطل الكثر من الأشياء تبتم تجهيرها قتل، ووصولاً إلى
«مترن مريم» وأصريت أن يتم كل شيء عمالاً في هذه الليلة حيث قالت
ذلك أنه يطان يعلم. أنكم هنا وايضاً

- ايضاً ماذا !

- ما كان عليك أن تتردي أختها وخيدة معه!

لم تنتظر بشئ لفهم ما نعية حمتها، سرعان ما ركضت نحو السحارة
متجاهلة نداء بسمة التي يتركون خليفها لتلحق بها.

سما في ذلك المترن، كانت ماريان لا تزال تراقب أختها، أو بالأصح
حدا أختها بينما الأخرى. تنظر إليها بهدوء وثبات مريب دون أن ترمش
عينها



كان الصمت مرعبًا، حتى أوشكت روح ماريّا على الهرب بعيدًا، ولكن ذلك الجسد ظل متمسكًا بها بكل قوته. أفسدت الضحكات التي تخرج بصوت رجولي مرعب من جسد مريم ذلك الصمت.. كانت ضحكات ساخرة وكأنه يشاهد مشهدًا مضحكًا أمامه.

ثم قال لها:

- تلك الأم، والدتك.. رغم غضبي منها لكنها تضحكني أحيانًا.

بصوت يرتجف رعبًا

- هي والدتنا نحن الاثنين، ليست والدتي فقط.

اختفت تلك الابتسامة ليتحول وجه مريم لوجه شيطاني مرعب، عيناها تحولت للون الأسود بالكامل ونظراتها أصبحت مليئة بالشر والحقْد لدرجة أن ماريّا أرادت الهرب لكن الأخرى كانت أسرع منها حيث تقدمت نحوها بلمح البصر لتخنقها بكل قوتها وتصرخ عليها:

- كل شيء حصل بسببك، لقد انهيّت كل شيء بسبب فضولك وثرثرتك أيتها البشرية البائسة!

حاولت كثيرًا الإفلات لكن يد مريم كانت كالقولاذ، شعرت بأن جسدها قد ارتفع عن الأرض. ظنت أن قصتها قد انتهت بهذه اللحظة



وإن الموت سأحدها بجانب والدها لكن أحزم تركها قبل أن يفتك بها
وعاد لمكانه وأكمل:

- أعتذر، أخبرتك سابقًا أن مصيرك هو البقاء وحيدة بمفردك بعد
رحيل جميع أفراد عائلتك.. لا تقلقي سأكون رفيقًا لك.

ثم عاد للابتسام بخبث مرعب.. كانت تحاول استعادة أنفاسها
ممسكة برفقتها التي أصبحت حمراء. ابتعدت عن مريم وهي تزحف على
الأرض باكية حتى التجأت إلى الحائط وظلت مستلقية بجانبه دون حراك
بينما الأخرى تنظر إليها كما كانت تفعل من قبل بكل هدوء وبنفس النظرة
الساخرة التي وضعتها أول مرة.. دون أن ترمش!

دخلت بثينة للمنزل وأصبحت تنادي على ابنتها ماريا بأعلى صوتها
وفور أن سمعت ماريا صوت أمها استجمعت قواها وركضت إليها
وضممتها بكل ما تبقى لها من قوة وهي تقول:

- أرجوك لا تتركيني معها، أرجوك لا تتركيني بمفردي أبدًا.

نظرت الأم لمريم التي كانت تجلس كالملاك في مكانها وكأنها لم تفعل
شيئًا أبدًا.



انتهى كل شيء

وبقيت وحدي....!

بين ظلال الذكريات

وصفحات الكتب

بدأ التحضير لمراسم طرد الشيطان من جسد مريم، والغريب في الأمر أن مريم كانت تنظر لكل تلك التحضيرات بهدوء شديد. شعرت بشينة أن هناك شيء خاطئ، كيف له أن يبقى هادئًا هكذا رغم ما سيتم فعله به بعد لحظات. أرادت أن توقف كل شيء، ولكن اختها طمأنتها قائلة:

- هو يدعي القوة فقط، لا تخافي فمحاسن لم تفشل بشيء تفعله مطلقًا.

قاطع تلك المحادثة طرقاتٌ على الباب لتفتح ماريًا بأمر من والدتها لتجد وجه المرأة التي تقف أمامها مليء بالوشوم الغريبة وترتدي عباءة على رأسها دون غطاء وتحمل حقيبة سوداء مهترئة بين يديها وبجانبتها طفلة بريئة لا تتجاوز الحادية عشر من عمرها، بينما يقف خلفهم ثلاث نساء معهم أدوات عزف كاملة.

ادخلتهم للبدء بتجهيز كل ما تحتاجه تلك المراسم وفور أن انتهوا من الاستعداد أمرت محاسن أن يتم جلب الجسد المستحوذ من الشيطان، جسد مريم.

لم يتطلب منهم الأمر الكثير من الجهد حيث تقدمت بمفردها وعلى وجهها ذات الابتسامة التي لم تختف منذ تلبس أحزم الكامل بها. عند



اقترا به من محاسن جلس على الأرض متربعا باستسلام لتقذف عليه وشاح أبيض مليء بكلمات غريبة رغم كتابتها باللغة العربية لكن من الصعب، بل من المستحيل أن يفهم أي شخص طبيعي ما تعنيه، وعليه لطخات من دماء ذئب اشترته بثينة من أحد الصيادين ونحرته تنفيذا لأوامر محاسن.

كانت الطفلة التي حضرت مع الساحرة محاسن تجلس في ركن المكان منزوية تنظر لأفعال الجميع بهدوء وخوف من تجمع الناس في المكان. انتهى كل شيء فجأة لتعود مريم إلى غرفتها بمساعدة الكثير من نساء الحي.

تحقق في سقف غرفتها دون أن تحرك ساكنا كجثة تعانق روحها في لحظات الوداع. تعلم أنه هنا، رغم أنها لم تستطع معرفة أين يكون بالضبط لكن ذلك الشعور الذي ينساب إلى جسدها كلما أقرب منها يجعلها تتأكد أنه هنا في مكان ما.

بدون شعور سقطت من عينيها دمعة تترجم كل ما عانته هذه الفتاة منذ معرفة عائلتها بشأن علاقتها به. نطقت بصوت متعب، باكي:

- أين أنت يا أحزم، أظهر أرجوك.



ليظهر ظل رجل يجلس على طرف سريرها ويقول:

- أخبرتك أن الخلاص من كل هذا هو الرحيل، يجب عليك الرحيل

معي.

حركت رأسها نفيًا وهمست بصوت خافت جدًا نتيجة إرهاقها بعد

تلك المراسم:

- أرجوك دعنا ننهي كل شيء، أرغب في العيش بسلام.

- وكيف أعيش أنا من بعدك؟ لقد خذلتني يا مريم وكسرت قلبي.

- دعني وأعدك أنني لن أتزوج طوال حياتي.. لن يلمس جسدي

أحد بعدك لكن أرجوك أتركني.

شعر بالحزن عليها من محاولاتها، ولكن غضبه أكبر فكيف لها أن

تفعل به ما فعلته، كيف لها أن تقتله مئات المرات دون أن تدرك فظاعة ما

يشعر به فلا أحد يحبها بحجم حبه لها ولا حتى عائلتها. ليأتي بعد ذلك

في عقله شيء واحد، هو الموت..

تلبس جسدها بكل سهولة هذه المرة وبدون أي مقاومة تذكر منها

بسبب تلك الساحرة وصديقه همام الذي صادف أنه يخدمها. حرك

جسدها كلعبة بين يديه ليكسر عنقها بواسطة يديها الاثنتين، كانت ثوابي

قليلة لتصرخ بها مريم من شدة الألم، ثم تسقط على سريرها وقد فارقت روحها موضعها وبقي جسدها جثة لا تتحرك في ذات اللحظة. كانت مريم قطعة من قلبه، بل قلبه كله وما فعله يعد موتاً رحيماً لها، بألم لا يتجاوز ثواني معدودة.

شعر بالحزن الشديد وقد تحطم قلبه لكنه يعلم أن هذه هي الطريقة المثلى لثأره على ما فعلته.. إن أردت الخلاص من حب شيء ما عليك إخفاؤه من هذه الأرض وإرسال روحه إلى خالقه.

اختفى من المكان، رحل بعيداً إلى أعالي الجبال، معتكفاً على نفسه حزينا يللم حطام قلبه.

صوت صرخة قوية من غرفة مريم جعلت بثينة وماريا يركضان نحو غرفتها ليجدوا جثتها ملقاة على السرير وعنقها قد كسر بطريقة شنيعة.

صرخاتهم وصلت إلى مسامع جميع أهل الحي وقد حاول الكثيرون إسعافها والذهاب بها إلى أقرب مشفى، ولكن دون جدوى.. تلك الفتاة الصغيرة قد فارقت روحها جسدها منذ فترة.



خوف لا ينتهي

مرت الأيام.. أصبحت جمرة تخرج في الصباح الباكر تراقب زميلاتها
السابقات وهم يتوجهون إلى المدرسة وفي نظراتهم الكثير من السخرية
على حالها بينما نظراتها كانت تحوي عشرات الأسئلة.

(عن قدرها الأسود وجميع المصائب التي تحوم حولها، بينما بقية
الفتيات في مثل عمرها يعيشون في رخاء وسلام نفسي رغم ضيق العيش
السائد في القرية)

أصعب شيء حصل لها وجعلها تشعر بالحقد على والدتها هو منعها
من الذهاب إلى المدرسة، كانت تتحمل كل شيء تجبرها عليه والدتها لكن
هذا الأمر يصعب عليها. رغم كرهها للمدرسة لكنها ترى ذلك كحق لها
لا يمكن لأحد انتزاعه منها، فالعلم والتعلم حق للجميع ومن حق
الجميع على الجميع أن يعطيه حقه.

لكنها كانت جبانة جدًا، حيث إنها تخاف الوجه الآخر من والدتها
رغم حبها لها. تخاف تلك الابتسامة الباردة التي تضعها والدتها في بعض
الأحيان رغم أنها كانت قبل لحظات تحت سطوة الغضب..



تخشى تحول شخصية والدتها التي تتغير في ثواني حيث تنتقل من التعاسة وجلد الذات إلى الرقص والغناء بسعادة مبالغ بها داخل جدران منزلهم المتهالك. أليس غريباً...!؟ ذلك التضاد في نفس الشخص وخلال لحظات وجيزة، حيث تشعر فعلياً أنه يملك روحين في جسد واحد.

في تلك الليلة بدأ السكون يخيم أرجاء المكان وذلك الشعور الغريب عاد إليها ككل ليلة حين ينطفئ نور الشمس عن هذه الأرض، حين كانت محاسن تُعد العشاء وتُدنن بتهويده سمعتها جمرة من قبل لكنها لم تدرك معانيها، في تلك الليلة أنصتت جمرة إلى كلمات التهويده التي تخرج مثل شرارات الجحيم من بين شفتي والدتها:

نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

من قتل لأجلك سبعون جان
في بحر يملأه الجفاف

قد لوثته دماء العمام
فمن همام ومن عمام
هم أسياذ المكان

نام.. نام

فأنت في حضن الهمام



تقدمت نحوها وقالت:
- من يكون همام و عمام الذين ترددين اسماءهم دومًا في تهويدتك؟
توقفت والدتها عن فعل ما تفعله وبقيت مكانها ثابتة لا تتحرك مولية
جمرة ظهرها، ثم عادت مجددًا لتقطيع الخضروات وترديد تلك التهوية
مجددًا.

شيئًا فشيئًا بدأ صوتها يتغير ليصبح أكثر خشونة وحدة ويديها
تتحركان بسرعة غريبة لتقطيع تلك الخضروات. تراجعت جمرة عدة
خطوات للوراء وحاولت أن تستذكر بعض الآيات التي تعلمتها في
مدرستها، ولكن.. كأن هناك شيئًا ما يربط لسانها ليمنعها من النظر
فظلت تنظر إلى والدتها برعب وقلبها يكاد يخرج من مكانه.

في تلك اللحظة توقفت محاسن وحل السكون في أرجاء المكان
لتلتفت إلى جمرة، كان المنظر مخيفًا في تلك اللحظة، حتى تمت جمرة الموت
على أن ترى ذلك المنظر، لقد كانت تلك المرأة تشبه هيئة والدتها من
الخلف، ولكنها من الأمام مثل مسخ مخيف لا يمكن لك تخيل شكله.
عينها سوداء بالكامل بينما فمها كان ممزقًا من أطرافه وتمت إعادته
بواسطة خيوط سوداء مغمسة بالدماء.



كانت. تقرب منها هديوء. شديد هني تبتسم بينا جمرة نراجع
للخلف على نفس الوتيرة، ولكن في آخر خطوه كانت بخطوها للوراء
اصطدمت بجدار خلفها والذي يمنعها من الهرب

فأصحت محاسن تقرب أكثر وأكثر حتى أصبحت ملاصقة لها لا
يفصل بينهما سوى مسافة قصيرة جداً لتردد بعدها تلك الشهيدة الخريبة
بجدداً

نام : نام :

فانت في حضن الهيام

من قتل لأجلك سعوز جاد

في بيختر يملأ الخفاف

قد لوثة دماء العظام

في هيام. هيام. ومن غمام

هم نسيب المكن

نام : نام :

فانت في حضن الهيام

ثم ابتعدت عائدةً إلى مكانها لتقطيع الخضروات وذلك الصوت المرعب قد تحول مجددًا إلى صوت والدتها الذي عهدته.

ركضت وقتها بكل سرعتها إلى غرفتها وأقفلت الباب عدة مرات لتزوي في أقصى مكان بعيدًا عن الباب واضعة يديها حول جسدها بطريقة تحاول بها احتضان نفسها بنفسها لتبعث القليل من الأمان لروحها التي تمت الهرب بعيدًا في تلك اللحظة.

قُرع باب غرفتها عدة مرات وذلك الصوت الرجولي الذي يخرج من والدتها أصبح ينادي عليها، وعندما لم تستجب له حاول فتح الباب بكل قوته حتى ظنت أن هذا الباب المهترئ على وشك السقوط.

بدأت تردد المعوذات كثيرًا، لم تتوقف حتى فتح الباب على مصراعيه، ولكن لم يكن هناك أحدٌ خلفه.

لم تستطع أن تكمل تلك الليلة في المنزل فخرجت إلى الزقاق المقابل لمنزلها وارتكزت على أقرب جدار أمامها. مرت الساعات وهي على حالها حتى شاهدت والدتها قادمة من بعيد وبين يدها الحقيبة التي تحتوي على المواد والأعشاب التي تعالج بها أولئك الأشخاص المسلوبة منهم أجسادهم. حينما اقتربت توقفت أمامها وقالت:



- جمرة، ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت؟

أصابتها الدهشة عند رؤيتها، فإن كانت هي هنا إذاً من تلك المتواجدة بالداخل! لسبب لا تعلمه لم تخبر والدتها شيئاً عما حدث فكل ما قالته وقتها:

- لماذا لم تخبريني أنك ستخرجين هذه الليلة؟ لماذا لم تأخذيني معك!

لم تجب عليها، فقط حاولت مساعدتها على النهوض من مكانها وقالت فور فتح باب المنزل:

- علمت أنك حزينة بسبب خروجك من مدرستك ولم أرد أن أمزج الحزن الذي في قلبك بالخوف الذي تشعرين به كلما رافقتني إلى تلك المراسم.

رغم دخول والدتها إلى المنزل لم تستطع جمرة بتلك اللحظة التوجه للداخل. شعرت وكأن شيئاً ما يراقبها، خافت من أن يكون ذلك الشيء مازال متواجداً في المكان وقد يهجم عليها هي ووالدتها دفعة واحدة.

توقفت محاسن عن السير ونظرت إلى ابنتها لتقول:

- ادخلي وأغلقي الباب خلفك، بقاءك في الزقاق وفي هذا الوقت خطير جداً.



فعلت ما قالته رغم شعورها أن الداخل أكثر خطرًا، وأقفلت الباب
ليصدر صوته المزعج.. ولكنها لم تعلق أبدًا.
بعد تغيير والدتها لثيابها وتوجهها للمطبخ لإعداد العشاء شعرت
جمرة بالفضول لترى المطبخ هل كان ذلك المخلوق موجودًا بالمكان أم
لا؟، ولكن عند دخولها شاهدت كل شيء في موضعه كما تركته والدتها
منذ الصباح وكأن شيئًا لم يحدث.



كان الأمر أشبه أن ترثي الروح نفسها.

يوم وراء يوم بدأت جمره تجن من بقائها في المنزل. حين تذهب والدتها إلى خارج المنزل للقيام بعملها تشاهد ذلك المخلوق الذي يشبهها يقوم بدورها، ولكن بطريقة أكثر رعبًا، مما يجعلها تنعزل في غرفتها أو في الخارج أمام باب المنزل حتى تأتي والدتها وتلاقيها بالكثير من التوبيخ وتذكرها بخطر البقاء ليلاً خارج المنزل، لكنها تفضل الصمت على التبرير لها.

في صباح اليوم التالي، كانت إجازة رسمية لكل طلاب المدرسة وعلمت من صديقتها الوحيدة رُبا أن الفتيات سيجتمعن للعب سويًا ودعتها للمشاركة والقدوم إلى ساحة منزلها. ركضت جمره بحماس إلى منزل رُبا بعد وقت من تجهيز نفسها مرتديةً أجمل ما تملك، ذلك الرداء الأحمر الذي أهدتها إياها والدتها قبل وقت طويل، ورغم أنه أصبح قصيرًا عليها بعض الشيء لكنه ظل محتفظًا بجماله.

عند وصولها شاهدت الجميع يلعبون (فتحي يا وردة) فأزاحت رُبا مكانًا لجمرة حتى تستطيع اللعب بجانبها وقالت:

- سعيدة جدًا أنك أتيتي، لقد اشتقت إليك.



حضنتها جمرة بصمت ثم بدأت اللعب مع الفتيات اللاتي من عمرها وأصغر ببضع سنوات، ولكن بعد فترة من اللعب المتواصل، شعرت بيد تسحبها وتقذفها بعيداً لتسقط بكل قوة على الأرض وقد جرحت ركبتها وتلوث ردائها بالرمل والطين. رفعت رأسها لتنظر إلى ذلك الشخص المتسبب في وقوعها لتجد أنها والدة رُبا والتي صرخت في وجهها غاضبة:

- أنتِ يا ابنة الساحرة إن رأيتك مرة أخرى أمام منزلي وبجانب ابنتي سأقتلك وأعلقك من شعرك أمام مدخل الحي لأجعلك عبرة لوالدتك وأتباعها.

حاولت رُبا الدفاع عن صديقتها قائلة:

- أرجوكِ يا أمي، جمرة لا علاقة لها بكل شيء تفعله والدتها.. إنها صديقتي رغم كل ما تقولينه.

أمسكت والدة رُبا يد ابنتها بكل قوة وصرخت في وجهها:

- شهور طويلة وأنا أحاول تحذيرك، ولكنك لا تفهمين، إن اقتربت منها لن أسمح لك باللعب في الخارج مجدداً، وقد أزوجك من أقرب شخص يدق باب منزلنا للزواج منك.



ثم سحنتها إلى المنزل وأغلقت الباب بكل قوتها لينظروا الفتيات
بحر حرة بنىء من الخوف رغم أنهم قبل لحظات كانوا يلعبون معها بكل
سلام وطمأنينة:

قدفت فتاة منهم بحجر صغير على وجه جمرة لتجرح حاجبها الأيمن
لتزف وتتساقط قطرات الدم على عينها وقالت:
- ابتعدي من هنا أيتها الساحرة، لا تعودى أبدًا.

وقالت التي بجانبها غاضبة:

- بسبيك تمت معاقبة رُبا، هيا ارحلي الآن!

ليبدأ الجميع بقذف الأحجار عليها حتى ركضت من المكان سريعًا
وسط صراخهن وسخريتهن منها. توجهت إلى منزلها برداء ممزق لا يكاد
يستر شيئًا عدا القليل من جسدها المليء بالكدمات، بينما الدماء تنساب
على جسدها نتيجة للجروح التي سببتها أولئك الفتيات.

أولئك الأطفال رغم صغر سنهم إلا أنهم تجرعوا خبث عائلاتهم
ومن هم حولهم ليقذفوه على جمرة التي لا ذنب لها سوا تلك العلاقة
السوداء بوالدتها محاسن.



فور وصولها إلى منزلها حتى سمعت صوت صرخات أمام المنزل لتجد بشينة، تلك المرأة التي ذهبوا إلى منزلها قبل عدة أيام لعمل مراسم خروج الشيطان من جسد ابنتها مريم.

كانت تصرخ في وجه والدتها وتدعوها بالفاجرة الفاسقة وحليفة الشيطان، بينما والدتها تنظر إليها بدون أي تعبير وتقول لها:

- لا تصرخي يا امرأة، لقد فعلت ما طلبته مني، ولكن ابنتك كانت ضعيفة جدًا لمواجهة وفصلت الموت على الدفاع عن حياتها.. ما ذنبي!

- لم تكن ابنتي من قتلت نفسها، بل ذلك الشيطان هو من استحوذ على جسدها وكسر عنقها، لا يمكن أن تكون لابنتي كل هذه القوة على هذه الفعلة الشنيعة بنفسها.. أنتِ السبب في كل شيء فذلك المخلوق لم يكن قويًا جدًا قبل مجيئك، لكن بعد مراسمك تلك ازداد قوة.

في تلك اللحظة نظرت بشينة باتجاه جمرة والشرر يتطاير من عينيها لتتقدم نحوها سريعًا وتمسك بعنقها وهي تقول:

- مثلما قتلت ابنتي سأقتل ابنتك، سوف أقتلها أمام عينيك.

صرخت محاسن وتحول البرود المرسوم على وجهها إلى غضب وخوف على ابنتها حيث حاولت تخليصها، ولكن بشينة كانت تضغط بكل



قوتها على عنقها وفي آخر لحظة من محاولات محاسن الفاشلة لإبعادها
ومحاولة جرة للحفاظ على حياتها رغم انقطاع الهواء عن رئتيها، شعرت
بالخلاص.

لم تعد تمسك بها فسقطت أرضاً، ولكن عند رؤيتها لها وجدتها وقد
رفعت من المكان وكأن شيئاً خفياً يحاول الانتقام ورد الصاع لها.
صارعت للبقاء على قيد الحياة والتقاط القليل من النفس رغم الرعب
الذي تغلب عليها، في تلك اللحظة قالت محاسن:

- اتركها يا همام!

لُتُذَف بعيداً وتنهض بصعوبة هاربة من المكان. في تلك اللحظة
شعرت جرة بالاختناق وبكت، لقد تيقنت أن والدتها ليست إلا ساحرة
تدعي التدين لا أكثر ورغم محاولتها مساعدتها على النهوض وسؤالها
عمن فعل بشايبها ما فعله لكنها ابتعدت وقالت رغم ألمها:

- اتركيني أرجوك، فكل ما قالوه أولئك الناس عنك كان حقيقة.

قبل أن تقول محاسن شيئاً تبرر فيه موقفها أمام ابنتها ركضت جرة
بعيداً عن المنزل وذهبت وحيدة إلى باحة صغيرة خلف منازل القرية تطل
على وادٍ جاف. حيث الرياح تلاعب شعرها وشعور السكون يتغلغل

داخل قلبها. جلست على أول كرسي قابلها لتضم قدميها على صدرها وتنظر نحو السماء التي اكتست رداءً أسود مليء بثقوبٍ لامعة.

كان الوضع كئيِّبًا في تلك اللحظة، والحزن قد تربع داخل قلبها إلى أن فاض به. كم ودت لو أنها تستطيع إنهاء حياتها مثلما حصل لمريم تلك الفتاة المسكينة، الهرب أحيانًا هو الحل الوحيد لكل البؤس الذي يحوم حولك.

بعد وقت لاحظت جلوس شخص بجانبها، في الواقع كانت تعلم دون أن تلتفت أنها والدتها والتي يتضح من أنفاسها المتلاحقة أنها كانت تركض باحثة عنها، وفور جلوسها قالت:

- لا تحكمي على الأشياء من الخارج يا جمرة.

لم تنظر إليها، بل قالت ونظرها مازال في الأعلى حيث السماء بكل ما تحويه وغمغمت:

- لم أحكم عليك بلا دليل، فكل شيء حصل أمام عيني.

- ليس كل ما يظهر أمام عينيك هو الحقيقة، قد تخفى خلفها مئات الأسرار التي لا تستطيع الأعين تفسيرها.

نظرت في تلك اللحظة نحو وجه والدتها لعلها تشاهد شيئاً واحداً يدل على كذبها، ولكنها ولأول مرة تشعر ببراءتها وصدقها الذي لم تلاحظه منذ ولادتها.

لم تستطع الاستمرار بالجدال معها أكثر من ذلك وعلمت أنها لن تتركها في هذا المكان وحدها وستبقى معها طوال الليل فقالت:

- دعينا نعود إلى المنزل، وأرجوك لا تتحدثي معي ولا تفعلي من أجلي أي شيء فقط دعيني أبقى بمفردي.

(4)

نبوءة الشيطان

سمعت خالة مريم صوت طرقات قوية على باب منزلها لتركض نحوه مسرعة وهي تحدث نفسها متمنية ألا يكون وراء كل هذا الازعاج أمرًا مريبًا.

فور أن فتحت الباب وجدت أختها بشينة تبكي بشكلٍ مثير للشفقة بينما عباءتها كانت مليئة بالأتربة وكأنها ليست ذات الأخت التي تعرفها. أدخلتها وقالت لها:

- أخبريني ما الذي حصل لك؟ هل وقعتي عند قدومك؟ ثم ما الذي أتى بك بهذا الوقت فجأة، كنت سآتي إليك غدًا صباحًا! أجابتها وهي تحاول تمالك نفسها والتوقف عن البكاء:

- ذهبت لتلك الساحرة محاسن للانتقام منها عما فعلته بابنتي، أردت قتل طفلتها لتشعر بنفس الشعور الذي يمزق قلبي، ولكنها استعانت بتلك الشياطين الخبيثة ففعلوا بي ما تشاهدينه الآن.



ضربت سمة وجهها بيدها وهي تقول مقاطعة لها:

- لماذا فعلتي ذلك!! ستنتقم منك.. لن يمر ما فعلته مرور الكرام يا

شيخة.

ثم نهضت من مكانها وأكملت:

- أنا لن أتدخل في ذلك ولست موافقة على الشيء الذي فعلته.

أصبحت تصرخ في أرجاء منزلها وكأنها تحدث أشخاص غير

مرئيين:

- أسمعوني ليس لي علاقة بها.. أنا لا دخل لي بما فعلته.

نهضت بثينة أيضًا من مكان جلوسها وقالت بينما ملامح وجهها
توضح خيبة أملها بمن ظنتها ستقف معها رغم كل شيء ثم وكأن ذاكرتها
قدفت بها نحو زوجها وأخيه، من تخلى عنه في حاجته وها هي هذه
الأخت تكرر فعلته بها.. وكأن الزمن قد كتب لهؤلاء الزوجين ذات
الحذلان والشعور لتقول بعدها:

- أتتخلين عني خوفًا من أولئك الشياطين يا أختي؟



- أخاف على ابنائي يا بثينة.. أكثر ما أخاف عليه هو أبنائي، فانتقام تلك الشياطين التي نتحدث عنها شنيع جدًا وسيلحقون الأذى بي أنا وأطفالي.. أرجوك اخرجني من منزلي ولا تقتربي منه أبدًا.

لم تصدق بثينة ما تقوله أختها لها حيث ظنت أن الإخوة يساندون بعضهم في جميع متاهات الحياة وصعابها، ظنت أن الحياة إن وقفت أمامها بكل من عليها فأختها ستقف معها في وجه الجميع للدفاع عنها. لم تستطع التحدث أو العتاب فكل ما فعلته وقتها هو جمع المتبقي من كرامتها المتناثرة والرحيل بصمت بعد أن ألقت نظرة أخيرة على أختها التي خيبت ظنها.

في طريقها نحو سيارتها التي تنتظرها في بداية القرية. شعرت بحركة قرية منها، كأن شخصًا يتبعها، نظرت للوراء فلم تجد أحدًا. شعرت بالخوف يسيطر عليها شيئًا فشيئًا لتتذكر كلمات أختها قبل قليل..

"لن ينتهي الأمر هكذا فقط، سوف ينتقمون"

لتسارع خطواتها لعلها تصل إلى السيارة قبل أن يحدث مكروهًا لها لكنها توقفت فور سماعها لصوت تألفه وتجه جدًا، كان صوتًا يناديها قائلاً "أمي".



علمه بقا من هي صاحبه فأصبح نصح بلهفه

يرى أير أنت يا انشي

ثم بدأت راتاع النصوص الذي لارال يردد "أمي" ويبتعد كسما
منه حتى وصيت إلى بير قدم جدا في منتصف مرعة مهجود كل شيء
تلك الدعة كان مسارا الكامل عدا سجرة كان جزءا احد منها يحيا
أود قا خصر ويعود ذلك لوجود هذا الجزء خارج حدود المزرعة
سلك يسبح بها سقى منه والجرء الأحر تجرد من أوراقه لتبقى أعضيه
سنة لا روى فيها

كانت تشاهد بطهر فناء تملك سعرا أسود كنشعر ابتها ويجد ال
عثر وشمير أدركت أن التوب الأبيض الذي تر تديه أيضا كان نثر
يرسم بل من الأسرار هو ثوبها الذي كانت تر تديه يوم الحادثة

كضت وهي تبكي ويصرح

طنت أن الموت قد سلبك مني يا عزيزي

فهمها لها أدارت ملك المخلوقه وجهها بانجائها بعد كان ذلك
الوحيد من عناء جعل شية تلجيم لا يستطيع أن تخرج حرفا واحدا من
فمها



عينها سوداء بالكامل وابتسامتها مليئة بالخبث الشيطاني بينما تخرج من أصابعها مخالب سوداء لتمسك بعنق بشينة وترفعها بكل سهولة وهمست لها بصوت ثلاث أشخاص يتحدثون في وقت واحد قائلة:

- سيكون الجحيم مكانًا للمستعنين بنا دون الله

يا بشينة.

ثم قذفت بها ناحية البئر على رأسها لتسقط ميتة من حينها في جوفه. كانت ماريا تجلس في القصر بمفردها منتظرة والدتها التي خرجت منذ ساعات طويلة دون أن تحدد لها وجهتها. شعرت بصوت في عليّة المنزل وتوجهت نحو الصوت درجة تلو أخرى حتى وجدت أختها مريم تجلس على الدرجة الأخيرة المؤدية للسطح وفور أن تلاقت أعينهم ابتسمت لها بذات الابتسامة الشيطانية التي كانت ترسمها قبل وفاتها.

تراجعت ماريا للخلف محاولة ذكر اسم الله لكن لسانها توقف عن النطق تمامًا. خرج صوت رجل من جسد أختها موجهًا كلماته لها:

- لقد أخبرتك، أنك ستكونين وحيدة في هذا المنزل حتى يأتي أجلك، لقد أخبرتك وأنا لا أكذب أبدًا.



نهض من مكانه وركض بكل سرعته نحوها لتصرخ وتضع يديها على رأسها خوفاً منه لكنه بتلك اللحظة اختفى وكأنه لم يكن.

سقطت على الأرض وأصبحت تبكي وتضرب رأسها كالمجانين من فرط الخوف، ولكن فور أن خطر شيء واحد في عقلها لتتوقف عن فعل ما تفعله وتهمس بجملة واحدة:

- أمي، لا يمكن أنه يقصد... -

مريومان على الحادثة وبدأت الشرطة في البحث عن بشينة بعد تقديم ماريلا بلاغاً عن فقدانها ليجدوها بعد ذلك غارقة في دمائها الجافة في جوف البئر المتواجد داخل المزرعة المهجورة.

لتعلم فور معرفتها بمصير والدتها أن تكهنات ذلك الشيطان صادقة، وأنها ستكون وحيدة في هذا القصر إلى أن تموت وتتعضن جثتها ومن يدري قد لا يعلم عن موتها أحد.



سيخذلك قدرك ذات يوم

ويصيبك ذات الحزن الذي شعرت به

ستبكي كالأطفال متلحفًا سواد قلبك

فهذه الدنيا لا تدوم لأحد أبدًا

أعدك بذلك..

صداقة لن تنتهي

في يوم من الأيام كانت تمشي في أزقة القرية كعادتها متجاهلةً همر ولمز الجميع حولها، لم تكن تبالي حيث إن كل ما يشغل تفكيرها في ذلك الوقت هو صديقتها رُبا. لم تشاهدها منذ تلك الحادثة رغم رؤيتها لجميع الفتيات يلعبون، الذين بدورهم كانوا يصرخون في وجهها لكي ترحل.

فكرت في شيء جنوني لتفعله، وقد فعلته حقًا متجاهلة العواقب وتحذيرات والدته رُبا وتهديداتها التي ألقتها على مسامعها. توجهت إلى منزل صديقتها رُبا حيث كان الباب مفتوحًا على مصراعيه ومليئًا بالأنوار المعلقة احتفالاً بزفاف اختها الكبرى حسناء والتي تبلغ الرابعة عشر عامًا فقط لا أكثر. فور أن وصلت وشاهدت النساء يدخلن إلى ذلك المنزل وكل واحدة منهم كانت تنافس الأخرى بعدد الأساور الذهبية في معصمها رغم أنها تعلم علم اليقين أنها مزيفة وتعلم أيضا أنهم جميعًا يعلمون أن تلك الأساور مزيفة، لكن متعتهم بتقمص حياة الأغنياء جعلتهم يتغاضون عن كل هذا الزيف والخداع.



توجهت في غفلة من الجميع إلى السطح، ولكن قبل أن تصعد الدرجات الواحدة تلو الأخرى سمعت صوت والدته رُبا وهي تتحدث بالسوء عن والدتها وسط المعزوفات والأغاني قائلة:

- تلك الساحرة يجب علينا إخراجها من هذا الحي، بسببها الحوادث الشنيعة أصبحت تزداد في قريتنا.. هل سمعتم عن قصة تلك المرأة التي وجدوا جثتها في المزرعة المهجورة؟

بدأ الجميع بمشاركتها الحديث قائلين:

- قال لي زوجي أنه شاهدها في نفس الليلة بالقرب من منزل محاسن.

- أتعلمون أن هذه الساحرة قد تواجدت في منزل المرأة قبل أيام قليلة لعمل طقوس إخراج الشيطان من جسد ابنتها!

قاطعتهم والدته رُبا ساخرة:

- يبدو أنها قد زادت الأمر سوءاً، كم أتمنى لو نستطيع إبلاغ الشرطة عنها.

شعرت جمرة بالغضب من حديثهم عن والدتها، فهي رغم كل شيء لا يمكن أن تسمح لهؤلاء النساء بقول كلمة واحدة سيئة عنها. لم تجد



أمامها سوى لوح الكهرباء لتقوم بإتلافه حتى أصبح المكان مظلمًا، سمعتهم يجوبون في أرجاء المكان يصرخون نتيجة الهلع.

تعلم جيدًا أن سبب صراخهن ليس انقطاع الكهرباء، ولكن شعورهن بالخوف حيث ظنوا أن شياطين والدتها قد جاءت إليهم للانتقام.

كانت تضحك سخرية منهم وهي تصعد الدرجات مكملًا طريقها نحو سطح المنزل، فهي تعلم جيدًا أن رُبا ستكون هناك، فهي تعشق ذلك المكان وتذهب إليه هربًا من هذه المناسبات الزائفة.

فور وصولها وإغلاق البوابة الخشبية وراءها حتى بحثت عن رُبا وهي تردد:

- رُبا هل انتِ موجودة هنا؟

شعرت بحركة في قفص الحمام وعندما اعتادت عيناها النظر في الظلام لمحتها تجلس بينهم وتحاول إطعامهم بيديها. فقالت:

- ماذا تفعلين هنا في يوم زفاف أختك؟



فور رؤيتها لجمرة خرجت من ذلك القفص وقد امتلئ فستانها
الزهري بالكثير من فضلات الحمام ورائحتها، وقالت:

- كيف استطعت دخول المنزل دون أن تراك والدتي؟

لتغير جمرة من ملامحها إلى ملامح أكثر شراً وقالت بسخرية:

- لقد استعنت بشياطين والدتي.

نظرت رُبا إليها بدهشة ثم سرعان ما ضحكت كثيراً مبدية إعجابها
بمهاراتها التمثيلية فظنت للحظة أنها جادة بكلامها.

جلست جمرة بجوار صديقتها قرب قفص الحمام تتحدثان رغم
عودة الإنارات وصوت المعزوفات والأغاني التراثية. شعرت جمرة أن
صديقتها حزينة ولا تظن أن السبب هو منع والدتها لها من لقاءها، بل
هناك شيء آخر يحزنها فسألتها لتقول:

- أشعر بالحزن على أختي حسناء، فرغم اعتراضها على موضوع
الزواج إلا أن والدتي أصرت على ذلك وفعلاً حصل ما تريده وما يزيد
الأمر سوءاً هو أنها ستزوجها بـ رجل في عمر الخمسين ولديه زوجتان
وأختي ستكون الثالثة!

صمتت للحظات ثم أكملت بعينين مملتين بالدموع:

- أخبرتني بأني التالية ولن تنتظر حتى أبلغ الرابعة عشرة، بل سوف تزوجني بأول رجل يأتي إلينا راغبًا الزواج حتى وإن كان ذلك في هذه اللحظة.

شعرت بجمرة بالحزن على صديقتها الوحيدة وأختها حسناء، فرغم حظها العاثر لكن على الأقل لم تجبرها والدتها على الزواج في مثل هذا العمر. سخرت من نفسها فمن ذا الذي سيرضى أن يتزوج ابنة امرأة متمرسة في السحر الأسود حد الحرافة.

أرادت مواساتها، ولكنهم توقفوا عن الحديث عند سماعهم لصوت والدتها رُبا في الأسفل وهي تقول:

- جاء العريس، العريس جاء.

أصاب جمرة الفضول لرؤيته فتوجهت نحو سور السطح ونظرت إلى الأسفل لتجده رجل في أواخر الخمسين قصير القامة ممتلئ الجسد.

شعرت بالسوء تجاه حسناء التي تعد الأجل في القرية، وقد ظر الجميع أنها ستأخذ شابًا جذابًا يناسبها، لكن النصيب لا يأتي دومًا مثل ما نعتقد.

اقتربت رُبا وفعلت ما فعلته صديقتها ثم نظرت بحسرة بينما أختها تخرج مع زوجها وسط زغاريد وهتاف النساء وغنائهن بينما كان على وجهها المليء بالمساحيق آثار الحزن.

بقيت جمرة برفقة رُبا تحاول مواساتها حتى شعرت بقدوم شخص إلى السطح لتختبئ خلف الباب الخشبي. فتح الباب لتدخل منه والدة رُبا متوجهة إلى ابنتها وهي تصرخ عليها:

- تركتني مع النساء بمفردي أخدمهن بينما أنت هنا في السطح بين

الحمام!

- أخبرتك من قبل، لا أحب المناسبات، ثم أنها ليست مناسبة سارة لأكون فيها فهي كالعزاء بالنسبة إلى أختي حسناء وكله بسببك.

في عمق تلك المناقشة بين الأم وأبنتها تحركت جمرة على رؤوس أصابعها للهرب دون أن تلفت انتباه والدة رُبا لها، ولكن صوت إحدى الأخشاب التي ارتطمت بقدمها جعلت الأخرى تلتفت سريعا لها ونصرخ بغضب:

- أنت هنا أيضا يا جالية الشؤم!

لم تنتظر جمرة لتستمع لبقية الشتائم، بل ركضت بكل ما تستطيع من سرعة إلى الخارج هربا منها رغم علمها أن رُبا ستكون ضحية لما فعلته.

لم تتوقف عن الركض حتى وصلت إلى منزلها ودخلت سريعاً لتقف
الباب بعدها خوفاً من مجيئها.

غريب هذا الأمر، نهرب خوفاً من الشياطين نحو البشر وعند خوفنا
من البشر نعود هاربين بالاتجاه المعاكس نحو الشياطين.

تيقنت وقتها أن البشر ضعفاء، يهربون من أي شيء نحو أي شيء وإن
كان هو الهلاك الحقيقي لهم، وعلمت أيضاً أنها هشة كغصن مائل لا
يقوى على حمل نفسه فيرتكز على أي سند يحميه وإن كان هشاً بدوره.

معادلة غريبة ومرعبة في ذات الوقت، تسللت داخل عقلها في تلك
اللحظات القليلة التي كانت تتكئ بها على ذلك الباب المهترئ.

سكون يملأ المكان لا يغلبه سوى صوت دق الهاون بواسطة والدتها
والتي كانت تجهز الكثير من الأعشاب في أكياس لتضعها في حقيبتها
السوداء.

توجهت نحوها وجلست بجانبها وهي تقول

- اليوم كان زفاف حسناء من شخص عجوز، هل تعلمين ذلك؟



- أعلم، لكنني لست مهتمة.

لم تكن والدتها في تلك اللحظة بمزاج جيد للحديث، بل كانت جمرة
تشعر بأنها غاضبة دون أن تعلم السبب لذلك. فضلت التوجه إلى غرفتها
ومحاولة النوم رغم قلقها على رُبا.



أشعر أني في العتمة..

عتمة لانهاية لها.

وفي كل مرة أكافح للخروج منها،

أجدني غارقاً بها أكثر فأكثر..

في اليوم التالي استيقظت جمرة على صوت ضوضاء عالية في غرفتها.
حيث شاهدت والدتها عند فتح عينيها تقوم بنفض الغبار من الستائر.

كان شعاع الشمس ظاهراً من خلف الستار وما إن أزاحتها حتى
دحل بكل قوته متوسطاً المكان.

شعرت وقتها بالغضب الشديد فعيناها مازالتا تحتفظان بالنعاس
لتقول:

- لماذا تقومين بهذا العمل في هذه اللحظة؟! أريد النوم أرجوك.

لم تجبها، بل أكملت عملها بدون أن تنطق حرفاً واحداً. لتخرج
بعدها من الغرفة وقد تركت بابها مفتوح على مصراعيه. ظنت للحظة
أن كل تلك الضوضاء توقفت وستنعم بنوم هانئ، ولكن السكون الذي
عاد بعد ما حدث كان مزعجاً أكثر من الضوضاء نفسها.

لم تستطع النوم فنهضت بثاقل من فراشها وتوجهت نحو المطبخ
حيث كانت محاسن متواجدة به تعد الإفطار، وما إن اقتربت جمرة منها
حتى تتفاجأ بالكثير من الأطعمة الشهية في الأرض لتقول سريعاً:

- من أين جلبتي كل هذا؟!!



لم تجهها، بل جلست في المقعد المقابل بجانب تلك الأطباق ونظرت لجمرة لتجلس بعدها وتتناول كل شيء من حولها، اللحوم وأنواع الأحيان والعصائر، بل إن بعض الأطعمة لا تتواجد في هذه القرية من الأساس. لم تكن محاسن تأكل شيئاً، بل ظلت تراقب ابتها بهدوء، ورغم أن جمرة معتادة على تقلبات والدتها من الثروة إلى الصمت التام لساعات، بل أيام لكن هذا اليوم كان غريباً.

شعرت للحظة أنها ليست والدتها، كانت تضع على وجهها ابتسامة بريئة وتظل تتأملها وكأنها لم تشاهدها لسنوات بينما كانت في الأسر تحدثها بشأن زفاف حسناء.

توقفت جمرة عن الأكل لشعورها بالغرابة وقالت:

- هل هناك أمر خاطئ بي، لماذا تراقبيني هكذا؟

لم تتحدث، بل ظلت على حالها فشعرت الأخرى في تلك اللحظة بالخوف، خوف غريب كشعورها بتلك الليلة عند تواجد ذلك المخلوق في المطبخ، لكن ملامح هذه المرأة تشبه والدتها بالكامل.

لا يمكن أن يتشبه المخلوق الغريب بوالدتها بهذه الدقة.. هذا ما كان يدور في عقلها رغم تناقض أفكارها. لكنها تركت الطعام مكرمة وفضلت الخروج من المنزل.

في الواقع، بدأت تشعر أن أزقة القرية التي تسكنها هي المهرب والملجأ عندما تشعر بالخوف الذي يصيبها داخل المنزل.

غريب جدًا، أن تشعر بالخوف من المكان الذي ولدت وترعرعت فيه. أن تشعر بالخوف من مصدر الأمان لك.. والدتك.

خرجت من المنزل وبقيت تتجول بين أزقة الطرقات لا تعلم أين تذهب، فاليوم يعد يومًا دراسيًا أي أن جميع الفتيات يتلقين العلم في المدرسة ومن منعتهن أقدارهن من إكمال دراستهن كحالتها كن منشغلات بالرعي وحلب الأغنام.

للحظة واحدة فكرت بالهرب من هنا، الرحيل إلى مدينة بعيدة بمفردها. حيث أقرب مدينة (الطائف) تبعد مقدار ساعتين وقد حفظت الطرق بسبب تنقلاتها برفقة والدتها هنا وهناك لأجل إقامة المراسم الشيطانية في بيوت من آمنوا بقدرات والدتها.

بعد وقت من التأمل في الطريق عادت أدراجها وأدارت ظهرها له هو وكل الأفكار المحيطة حوله.

في طريقها حيث منزلها مرت من أمام منزل رُبا لتجدها تهمس لها من السطح وتطلب منها الصعود لها.

كان الباب مواربًا فدخلت رغم خوفها من والدتها لكنها لم تجدها في طريقها فصعدت للأعلى وفور وصولها إليها حتى حضنتها بكل قوتها وهي تبكي.

قالت جمة لها:

- ما بك، أكل هذا شوق لي!

- شوق وخوف في ذات الوقت.

لم تفهم جمة ما تقصده صديقتها بكلماتها فأمسكت رُبا بيدها لتسحبها إلى إحدى السجادات البالية في ذلك السطح وقالت بعد جلوسهم:

- سأتزوج، اليوم..

شعرت جمة بالدهشة مما قالت، بالأمس كان زفاف أختها حساء واليوم ستتزوج. غير أنها لم تتجاوز الحادية عشرة فكيف لها أن تتحمل مسؤولية زوج وأسرة كاملة. فتساءلت:

- هل بسبب قدومي بالأمس؟

لتهز رأسها نافيةً وتقول:

- والدتي خططت للأمر منذ أسبوعين ووجدتك سببًا لترمي مسؤولية ما تنوي فعله عليك، لا شأن لك فكل شيء مخطط له من قبل.

- من يكون هذا الرجل، هل هو من مدينتنا؟

- لا أعلم الكثير عنه، ولكن يبدو أنه في عمر زوج حسناء حيث انه صديقه ويسكن في (المنطقة الشرقية) فهو مهندس في شركة نفط أي انه غني وهذا ما يهم والدتي.

لم تعلم جمرة وقتها ما تقول، هل تواسي رُبا على مصيبتها أم تواسي نفسها على فقد صديقتها ورحيلها من القرية، فأكملت رُبا بعد صمت جمرة لوقت طويل:

- علمت أيضًا أن له ثلاث زوجات وسبعة أطفال أكبرهم في عمر الثامنة عشرة والأصغر في عمر الثالثة.

لم تستطع وقتها النطق سوا بجملة واحدة هي من الأساس ليست مقتنعة بها:

- لماذا لا تأتين إلى منزلنا، والدتك تخاف والدتي كثيرًا ولن تتجرأ على القدوم لأخذك أبدًا.



نظرت إليها ثم سرعان ما ضحكت وقالت:

- أشكرك على عرضك، ولكن لا أريد أن أكون سبيًا في زيادة مصائبك، فوالدتي قد تفعل أي شيء من أجل المال ثم لا أظن أن والدتك متوافق على ما تقولينه.

عجزت جرة عن قول شيء فاستندت ناحية الحائط وظلت تتأمل السماء بينما توجهت رُبا لإطعام الحمام وتنظيف القفص الخاص بهم قبل الاستعداد لرفافها.

خرجت بعد وداعها من منزلهم وعيناها لا تستطيع الرؤية بها بسبب كم الدموع التي هطلت منها كنهر جاري. كم شعرت بتلك اللحظة بضعفها وضعف صديقتها، وأن الحياة التي كانوا يظنونها في صغرهم كرحلة ممتعة يستعدون لها قد قذفتهم إلى الجحيم على يد أقرب الناس لهم.

مؤلم جدًا، مؤلم إلى حد الرغبة بالموت أن تواجه مصيرًا لم تختاره وتحمل كل مصائبه وحدك بجناح قد كسر نصفه وجسد مليء بالأذى.

في طريقها للمنزل كان يتقدم باتجاهها رجل بيده سباحة من العبق الأسود، وكلما يتقدم نحوها خطوة كان يسبح بتلك السباحة ثلاث مرات وعينه تنظر مباشرة نحوها دون أن ترمش.



كان رجلاً عادياً يرتدي جلباباً أسود، ولكن هنالك هالة غريبة تحيط به أشعرتها بعدم الراحة رغم أنها بقيت تمشي بخطوات ثابتة نحوه وهو كذلك.

فور اقترابها منه ومحاولتها العبور بقي واقفاً في طريقها لا يتحرك، كلما حاولت العبور يميناً أو يساراً كان يفعل مثلما تفعل لتنظر إليه وتقول:
- يا عم، ابتعد أرجوك.

ابتسم وقال:

- أنا تائه، وأظن أنني في المكان الخطأ، هل تستطيعين إخباري ما اسم هذه القرية!

- قرية (****) تبعد عن مدينة (الطائف) ساعتين تقريباً إن استخدمت الحافلة. أشارت بيدها تجاه إحدى الطرق فجلس ليصبح مستوى طوله مقارب لها وقال:

- حقاً، يبدو أنك فتاة ذكية.. تعلمين الطرق رغم صغر سنك، ما اسمك؟

- جمرة.



- اسم غريب، ولكنني أحبته.

كانت تشعر بروحها تكاد تهرب منها في تلك اللحظة نتيجة الخوف حيث إنه يتحدث معها وعينه لا ترمش أبدًا ويده لازالت تحرك أحجار سبحته. كلما رغب بالتحدث إليها، يعيد التسبيح لثواني قليلة ثم يعاود التحدث معها:

- أريني يا جمة باطن يدك اليمنى.

كانت على وشك فتح يديها بالكامل له، لكن صوت والدتها جعلها تتوقف حيث صرخت بأعلى صوتها من نهاية الزقاق.

- ابتعد يا جابر عنها!

شاهدته يبتسم لها بخبث دون أن يلتفت نحو والدتها، حيث همر لها قبل أن يذهب:

- سيكون لنا لقاء قريب، متأكد من ذلك.

اقتربت محاسن بتلك اللحظة منه وقالت:

- أنت تعلم جيدًا أن هذه المنطقة لي وأن هذه الفتاة تكون ابني كيف تتجرأ على الاقتراب منها وتمارس معها خبثك أيها الحقير.



لم يرد عليها، بل ذهب في طريقه بخطوات ثابتة وهو يسبح بتلك السبحة في كل خطوة بخطوها ثلاث مرات. للحظة أطلقت جمرة العنان لنفسها بالبكاء، حيث لم تعد تحتمل كل هذا الرعب في حياتها رغم صغر سنّها. بكّت كالأطفال تمامًا لتقرب منها والدتها وتحضنها بكل قوتها، لكنها أزعجتها وهي تصرخ:

- أنت أيضًا مخيفة، أخاف منك ومن شياطينك يا والدتي.. لماذا يحدث هذا لي؟ لماذا تفعلين كل هذا بي!

جلست محاسن بجانبها وبدأت بالبكاء أيضًا وهي تقول:

- أنا أيضًا أخاف من نفسي، ولكن كل ما أفعله لأجلك فقط.. كل ما أفعله يا عزيزتي لأجل حمايتك، ثقي بوالدتك.

مسحت جمرة الدمع من عينيها وقالت:

- ماذا تقصدين؟ كيف تحمينني باقترابك من هذه المخلوقات!

أمسكت والدتها يدها وقالت:

- دعينا نذهب إلى المنزل، المكان خطير جدًا هنا،

عند دخولهم إلى المنزل وبعد إقفالهم للباب جلست محاسن على إحدى الأرائك في الفناء الخارجي بجانب مجموعة من الحطب لتشعل



النار وتخرج أعشاب كريهة الرائحة من حقيبتها السوداء وتضعها في النار.
ثم انطفئت النار بلحظة واحدة وكأنها لم تكن مشتعلة قبل لحظات لتقول:

- كل ما حدث بسبب والدك..

- لم أفهم، ما دخل والدي الميت فيما تفعلينه!

افهمي كل شيء ولا تسألي فلا يوجد وقت، عندما تشتعل النيران
مجددًا في المكان هذا يعني أنهم عادوا للاستماع لنا.. وصدقيني هم
يعلمون أنني سأقص عليك الآن المحرم علي قوله وسيستقيمون..

(6)

حقيقة محاسن

قبل اثني عشر عامًا، كان هناك رجل دميم تفوح منه رائحة العفن. منعزل في منزله وإن أراد الخروج يتوجه إلى الجبال التي تبعد عن قريته ساعات قليلة سيرًا على قدميه دون أن يتعب.

والدته شعرت بالخوف عليه خصوصًا أن ابنها الآخر يسير في حياته بهدوء شديد، لديه عمل يؤمن له قوت يومه وقد كون عائلته الصغيرة.

ظنت أنها إن زوجته سيبتعد عن كل ما يدور من سواد حوله، ومن يدري قد يسلك طريق التدين ويتقرب من الله بعد أن يرزقه بأبناء كأخيه.

لكن كيف لها أن تجد له زوجة والجميع في القرية يخاف منه ويلقبونه بالساحر مالك.

نعم هذا صحيح فذلك الابن الذي ترغب والدته بتزويجه فعلاً شخص محترف في السحر.



رعد علمها بكل ما يقوم به أصرت أن يتزوج فقالت له في ليلة مظلمة بعد أن عدد من تلك الحال ومعه الكثير من المواد الغريبة، وضعت
: حبا على أنفها لتغطيها من قوة الرائحة الكريهة التي تفوح منه.
- أين كنت طوال هذه الأيام يا مالك!

شعر بالارتباك فور رؤيتها له بهذا المنظر، فهو وغم كل شيء يكن
لوالدته الكثير من الاحترام والتقدير ولا يرغب أن تراه يفعل ما يفعله
حيث أراد منذ وقت طويل أن يعزل مسكنه عن مسكنها لكيلا تصيبها
الاعيب الشياطين.

- كان لدي عمل أقوم به، لماذا لم تخلدي للنوم حتى هذا الوقت؟

نظرت نحوه بشك، ولكنها سرعان ما استسلمت وقالت:

- لا يهم، جهز نفسك سأقوم بتزويجك.

أصابته الدهشة مما قالت، حيث نطق سريعًا:

- تزوجيني ممن وأنت تعلمين أقاويل الناس عني.. لن يرضى بي أحد
ثم إني لا أرغب بالزواج من أي أحد.

شعرت هتار بالغضب والحسرة على حال ابنها، ولكنها أصرت أن
يفعل ما تقوله إن رغب في الحصول على رضاها قبل موتها. وافق مكرهًا
وتمنى في داخله أن ترفضه تلك الفتاة التي اختارتها والدتها له.



في الواقع، كان متأكدًا أن أي فتاة يقع عليها الاختيار سترفضه، حتى لو كانت تعيش في عش وتقات على الفئات.

وقع الاختيار على فتاة بعمر الثالثة عشرة تسكن في إحدى القرى المعزولة عن المدن مع عمها وزوجته. علمت هتار أن ذلك العم وتلك الروجة يرغبون بالتخلص منها بأي طريقة وإن كانت تؤدي إلى هلاكها، كل تلك المعلومات حصلت عليها من قريبتها التي تسكن نفس القرية، فثرثرة الساء لا تنتهي أبدًا.

بالفعل تم زواجها من مالك فقد تمت الموافقة في نفس اليوم دون أن يكف عمها نفسه بالسؤال عنه.

في أول ليلة اقترب مالك من محاسن زوجته وبدأ يردد عبارات لم تنهم منها شيئًا فقالت له:

- أليس من المفترض أن تقرأ بعض الآيات ليتبارك زواجنا؟

نظر إليها بغضب وصرخ قائلاً:

- في هذا المنزل يمنع عليك قراءة القرآن، إن أردت النجاة فعليك كبح فضولك أمام كل شيء غريب تريته..



شعرت بالرعب في تلك الفترة التي عاشتها معه حيث كانت تشاهده
يخرج وفي نيته الغياب لمدة شهر كامل ليعتكف في الجبال، ولكن بعد
خروجه بليلة واحدة تجده يقف أمامها، وبشكل أكثر رعبًا وقيحًا.
كانت تعلم أن هذا الشخص ليس زوجها مالك، ولكنها ادعت
العباء كي لا تفقد الباقي من عقلها.

بعد فترة من تلك الحياة البائسة والمليئة بالرعب شعرت بأثار الحمل.
ومن خوفها على ذلك الطفل الذي ينمو داخلها هربت من منزله متجهة
إلى قرينتها. حاولت تحصين نفسها حتى لا يقتربون منها، عانت كثيرًا
للوصول إلى منزل عمها، ولكن رغم نجاحها بالوصول وطلبها منه أن
يقيها لديه كخادمة وألا يعيدها، لم يستجب لها وأعادها إليه بكل برود.
عادت إلى مالك والخوف متلبس بها حيث كانت نظراته لها مليئة
بالحقْد. من بعدها أصبحت تلك الإشارات التي كانت تراها حينًا بعد
حين تظهر لها علانية حتى شعرت أنها على وشك فقدان عقلها.

بعد فترة شعرت محاسن بآلام المخاض، فصرخت عليه:

- أحضر والدتك، أشعر بالمولود يخرج مني يا مالك.

لم يكن يبالي بصرخاتها، بل كان يجلس بجانب نار أوقدها في الفناء
الخارجي ويتمتم بطلاسم لم تفهم محاسن منها شيئًا.



أرادت الذهاب إلى منزل هتار الملاصق لهم، ولكن نظرة واحدة منه جعلتها تعود إلى غرفتها لتتحمل آلام الولادة وحدها. تركها في تلك الغرفة تصارع الموت حتى سمعت صوت بكاء طفلتها لتبتسم رغم كل الألم الذي شعرت به.

عندها فقط تحرك من مكانه، فتح الباب ودخل. ظنت أن قلبه سيلين عند رؤيته لابتته فقالت:

- أنظر يا مالك، إنها ابنتنا، ابنتك.

أمسك بها رغم خوف محاسن عليها منه ونظر إلى تلك الطفلة نظرة حائرة لا يتضح معناها لدقائق معدودة، ثم سرعان ما أخذها وتوجه بها خارجًا.. نحو الجبل. ركضت خلفه وهي تصرخ وجسدها الواهن يقطر دمًا:

- مالك أرجوك يا مالك أعد إلي ابنتي.

اختفى بلمح البصر وصوت بكاء تلك الطفلة اختفى أيضا لتنهار محاسن وتضرب نفسها وهي تصرخ:

- أرجوك يا مالك أعد لي ابنتي.



كانت تشعر بجمرة تشتعل في قلبها، حقد وحزن لانهاية له في تلك اللحظة. شعرت بشخص يتقدم نحوها لتلتفت نحو الصوت فتجد هتار تنظر إليها بحزن مليء باليأس. ركضت نحو قدميها لتقبلها راحة - أرجوك يا عمتي مالك يحترمك كثيرًا، دعيه يعيد إلي ابنتي.

ربت هتار على ظهر محاسن وقالت لها:

- لا تقلقي سيعود، فقط انتظري.

ثم سرعان ما ذهبت إلى منزلها وهي تتمتم بخيبة أمل:

(كنت أعتقد أنه سيتغير، لكن ذلك الإنسان لن يتغير أبدًا).

تجمعن الجارات حول محاسن رغم خوفهن، لشعورهن بالشفقة عليها، لكنها ظلت تردد بطريقة متواصلة كالمجانين:

- أخذها ورحل.. رحل وأخذها معه.. أخذها ورحل.. رحل وأخذها معه.

طوال يومين وهذه هي الجملة الوحيدة التي تنطق بها، حتى جاء آخرى بابنتها ووضعها في حضنها وقال:

- ها هي ابنتك يا امرأة، والآن أعدي لي العشاء.



نظرت إلى ابنتها فوجدتها هادئة تمامًا، ثم ضمتها نحوها بكل قوتها
محاولة إخفائها عن شرور هذا العالم بكل من فيه. بعد وقت من عناقتها
لابنتها قالت له بعد أن وضعت له العشاء وبدأ بالأكل:

- لنسميها جمرة.

نظر إليها بدهشة ثم سرعان ما ابتسم وقال:

- لكي ذلك..

علمت محاسن بعدها بوقت ليس طويل أنه قدم ابنتهم جمرة كقربان
لأجل الحصول على الخدمات المطلقة من الشياطين. كان طامعًا بكل
شيء وتلك الشياطين أيضا أكثر طمعًا منه.

أرادت تلك الشياطين الحصول على جمرة بأسرع وقت ممكن، لكنها
لا تستطيع، عليها أن تتخلص منه أولاً ثم تتفرد بخدمتها لهم.

بدأوا بالهمس لزوجته محاسن أن تقتله، خيلوا لها أن قتله سيكون
مفتاح الفرج والخلاص من العذاب لها ولابنتها، ففعلت. طعنته بكل
قوتها على ظهره وكم كان يتلوى في صراع مع الموت، كان يحتضر. أخبرته
أنها فرصته للتوبة وعليه حماية ابنته، وذلك بأن يقذف عهوده التي قطعها
لنلك الشياطين وينقلها لها.



إن لم ينقل عهوده قبل موته فستنتقل سريعاً إلى تلك الطفلة التي وضعها قربان لهم حال موته، لكن في حال حصول محاسن على تلك العهود سيكون عليهم خدمتها كما كانوا يفعلون مع مالك حتى تموت ليحفظوا بعدها بجمرة.

فعل ما قالته رغم سماعه لصرخات شياطينه الغاضبة وخصوصاً ذلك الشيطان همام والذي كان مهووساً بجمرة منذ ولادتها. أراد أن يفعل أي شيء لمنع ما يحدث بتلك اللحظة لكن وبعد أن لفظ مالك آخر أنفاسه وخروج روحه من جسده كانت محاسن قد امتلكت تلك العهود. كان يقف عاجزاً أمام سيدته الجديدة هو وثلاثة من الشياطين عمام، ريلاس وخاتمة. وصدقني أنت يامن تقرأ هذه الصفحات، تلك الأخيرة أكثر شراً ورعباً من الآخرين.

صرخت أمام جثة زوجها قائلة:

- أنا سيدة المكان، وأنتم لستم إلا خدام لي.

لتظهر خاتمة أمام باب غرفة جمرة الحالية وتجلس على عتبها برود شديد، بملامح امرأة عجوز مرتدية حجاباً أسود ولها عينان مليتان بالسواد قائلة:



- لكن أتعلمين أن هنالك شروط عليك فعلها لبقاء تلك العهود معك يا محاسن؟

- سأفعل أي شيء.

ابتسمت لتظهر أسنانها المتآكلة السوداء وبلحظة واحدة أصبحت بجانبها، تشعر بأنفاسها الكريهة لتغمض محاسن عينيها خوفاً بينما تلك الأخرى تهمس لها:

- في جميع الأحوال ستموتين، مثلما قتلتني زوجك سنجد من يقتلك، وسنصل إليها.. نحن لا نحتاجها الآن ونستطيع الاكتفاء بك إلى أن تكبر جمرة.

كانت خبيثة ومرعبة، وكان صوتها كفحيح الأفعى. لطالما كانت محاسن تشعر بالخوف منها فلم تطلبها ابداً في أعماها حيث كانت تكتفي بالبقية.

أخفت جثة زوجها في كيس كبير ثم سحبته نحو الجبال التي كان يعتكف داخلها لأيام طويلة بمساعدة شياطينه ثم أبلغت والدته بعدها بأيام أن مالك لا أثر له.

لم تكلف تلك الأم نفسها بالإبلاغ عن اختفائه حيث التزمت الصمت واعتكفت منزلها حتى انتهى نصيبها من هذه الحياة. بينما أخ



مالك انتقل إلى المدينة منذ زمن ولم يكلف نفسه بحضور عزاء والدته أو
البحث عن أخيه.

أما بالنسبة إلى محاسن فبسبب خوفها على ابنتها توجهت للكثير من
السحرة ومنهم مآثر الأحمد والذي يعد أكبر ساحر في إيران ومن سلالة
متمكنة في السحر. كانت تنتقل من دولة إلى أخرى بمساعدة شياطينها
دون أن يشعر بغيابها أحد من القرية، أخذت النصيحة منه فنصحها
بطلب اتفاق بينها وبينهم بواسطة نفس العهود التي انتقلت لها لإبطال
القریان.

فعلت ما قاله ليكون شرطهم أن تمارس السحر الأسود على البشر
بواسطة طلبات البشر أنفسهم. بدأت تمارس سحر الربط وجلب الحبيب
وأصبحت تفرق بين الزوجين، بل وتقتل بعضهم بادعائها أنها تعالجه،
كما فعلت بمريم.

كانت تنفذ الأوامر حيث كان الاتفاق أن تقوم بفعل ألف عمل
لأجل أن تنال حرية طفلتها.



(7)

نهاية البداية

في تلك اللحظة عادت النار للاشتعال مجددًا وشعرت جمرة بأن أحدًا يراقبهم. حيث التفتت خلف والدتها باتجاه المطبخ لتجد امرأة ترتدي حجابًا أسود وعينيها سوداء بالكامل، تنظر إليها وتبتسم بطريقة مخيفة.

علمت فورًا أنها خاتمة من وصف والدتها قبل قليل ولم تكن تتواجد في المكان وحدها، بل كان هناك طفل يحمل بين يديه دمية مقطوعة الرأس ينظر إلى جمرة بجمود.. نعم كما توقعت أنه ليلاس، يقف في إحدى أطراف الفناء الخارجي.

وذلك المخلوق المسخ الذي شاهده من قبل في المطبخ كان يجلس بجانب والدتها وينظر إليها بابتسامته المخيفة.

همست لوالدتها:

- إنهم هنا..

نظرت محاسن إلى ابنتها بصدمة وقالت:

- أترينهم!



او مات جمره برأسها إيجاباً لتنهض محارب من مكانها وتصبر

جوهه

- لم يكن هذا اتفاقاً، طلبت منكم عدم الظهور أمامها حتى أن
جميع عهودي. بقي عمل واحد، عمل واحد أيتها الشياطين.

كانت حرة تنظر الثلاثة بهدوء حيث خاتمة والطفل ينظرون لمحاسن
سخر به بينما ذلك المسحور كان يخلق بجمرة واتسامته المجيفة مارييت
مرسومة على وجهه.

ثم بدأ الاقتراب منها وهو تتميم تلك التهويدة النعسة:

ام نام

في حجر يملأه الجفاف

قد نوتته دماء العمام

فمن همام ومن عمام

هم اسبياد المكان

نام . نام

فانت في حضن الهمام

لتصرخ بكل قوتها وتضع يديها على أذنيها مانعة تلك التهويذة أن تدخل إلى رأسها. لم تشعر وقتها إلا بيد والدتها تسحبها بكل قوتها للخارج قائلة:

- لا تخافي يا جمرة هو عمل واحد وسنتهي منهم.

في تلك الليلة ظلنا خارج المنزل رغم سماعهما لصوت ضحكات تلك الشياطين وسخريتهم. كان الأمر مرعبًا جدًا حيث شعروا بالعجز من الخلاص، كانت جمرة تشفق على والدتها، فقد تم وضعها في طريق لا يناسبها فقط لتحمي ابنتها.

يجب أن تضحي بنفسك لأجل من تحب حتى وإن كان ما ستفعله سيضر خلق الله أجمع، تلك هي الفكرة التي تؤمن بها محاسن.

لم تلمها مطلقًا، من ذا الذي سيتخلى عن ابنته للشياطين غير مالك.



عند طلوع الشمس اختفت تلك الأصوات من المنزل فقالت محاسن
لابتها:

- انتظري هنا، سأجلب شيئاً من الداخل وسنذهب لفعل آخر عمل
لأخلص منهم للأبد.

- أخاف عليك من الدخول وحدك.

- لن يستطيعوا إيذائي، انتظري وسأعود..

دخلت للمنزل وظلت ربع ساعة ثم خرجت وبيدها تلك الحقيبة
السوداء وقالت:

- هيا لنذهب.

ذهبتا إلى الحافلة ودفعت محاسن كل ما تملكه لصاحب الحافلة
لتستطيع الصعود على متنها. كان الطريق طويلاً حيث إنهم ذاهبون باتجاه
المقابر التي تقع في منطقة بعيدة عن القرية.

في تلك الحافلة الممتلئة بالناس، عندما التقت أبصارهم بمحاسن
وابنتها شعروا بالذعر حيث ابتعدوا جميعهم للخلف وتركوا المقاعد
الأمامية بأكملها لهم. لم تبالي محاسن بما حصل على عكس جمرة والتي
كانت تشعر بالخرج من تلك النظرات المرعوبة بسبب سمعة والدتها



المنشرة في أنحاء القرية. عند جلوسهم اخرجت محاسن من حقيبتها صورة لم تشاهدها جمرة قبلاً وبدأت بالتمتمة ووضع الإبر على تلك الصورة الموجودة بين يديها. أصاب جمرة الفضول لرؤية تلك الضحية المسكينة لتجدها فتاة جميلة جدًا يبدو أنها في العشرين من عمرها، رغم بشاعة منظر الإبر التي تخرق وجهها، ولكن جمالها لا يمكن إخفاءه.

شعرت في تلك اللحظة بالحزن الشديد عليها وعلى ضحايا والدتها الذين كانوا قبلها، وتساءلت عما حل بهم وأصابهم بعد تدخل والدتها في حياتهم. قطع تفكيرها صوت إحدى النساء تصرخ باتجاههم رغم خوفها:

- ماذا تفعلين أيتها المعتوهة، هل تمارسين السحر في العلن!

كانت تلقي بتلك الكلمات على محاسن أمام الجميع، ولكن الأخيرة لم ترد عليها، بل أكملت ما تقوم به بكل هدوء.

شعرت جمرة من تمتمات الجميع لبعضهم والرعب الظاهر على وجوههم أنهم مستائين وقد يجتمعون على فعل شيء بهم فبدأت تحرك عباءة والدتها وتقول لها:

- توقفي إنهم يروننا، أرجوك توقفي قليلاً..

بدأت أصواتهم تعلوا وطلبوا من سائق الحافلة قذفهم للخارج
والبعض منهم اتفق على أن يتم تسليمهم لمركز الشرطة. كل ذلك يأتي
على مسامع جمة الخائفة كالسم ينسكب في أذنيها بينها والدتها لا تفعل
شيئاً عدا الاستمرار في عملها وكأنها في عالم آخر بعيد كل البعد عنهم.

توقفت الحافلة ليدخل سائقها إلى منطقة الركاب ويصرخ:

- اخرجوا الآن!

ألقى جمة النظر من النافذة إلى المكان الذي توقف به ولم تشاهد إلا
أرضاً جرداء خالية من الشجر والبشر فقالت:

- لقد دفعنا الأجرة بأكملها ومن واجبك أن تذهب بنا إلى وجهتنا.

أمسك بها بكل قوته وهو يتمتم:

- لا أوصل الساحرات أيتها اللعينة.

وقذفها إلى الخارج، أراد وقتها أن يفعل ذات الشيء بوالدتها، ولكن
نظرة واحدة من محاسن جعلته هو ومن حوله يقفون ساكنين وعي
وجوههم آثار الفزع، لتنهض بنفسها وتخرج من تلك الحافلة ولسانها لم
يتوقف عن التمتمة.



تحركت الحافلة بكل سرعتها مبتعدة عنهم، ولكن بلحظة واحدة انقلبت بطريقة مرعبة جعلت قلب جمرة يكاد يخرج من موضعه، عندها فقط توقفت محاسن عن التمتمة وقالت:

- هيا انهضي لنذهب..

قالت جمرة بصوت مليء بالتوتر:

- هل ستركهم هنا؟ يجب علينا اسعافهم!

- لقد ماتوا، جميعهم من أكبرهم وحتى أصغر واحد فيهم.

أصاب جمرة الرعب والشفقة عليهم وعلمت أن تلك الشياطين هي من فعلت بهم ذلك. كم ودت أن تفهم ما يفعلونه، هم يرغبون بها بشدة ويعلمون أن هذه المهمة ستكسر لعنة ارتباطها بهم وسيخسرونها للأبد ورغم كل ذلك يساعدون والدتها لإكمال عملها.

غريب جدًا وهذه العرابة جعلتها تشك في صدق ما قالت لها والدتها.

مشوا خطوات كثيرة حيث حل الظلام عليهم وهم في ذلك الطريق الطويل حتى وصلوا إلى قرية نائية بجانبها مقبرة. تسللوا إلى تلك المقبرة وبدأت والدتها بحفر إحدى القبور وهي تقول:

- ساعديني لنتهي قبل أن يتبه لنا أحد!



رغم طول المسافة التي قضاها بالمشي لكن جمرة لم تكن تشعر بالتعب مطلقًا. كانت تائهة لا تعلم ما عليها فعله، لكنها بعد لحظات دون وعي منها قامت بمساعدة والدتها وأصبحت تقذف التراب بعيدًا لفتح ذلك القبر وقد تمزق القليل من ردائها وبقي جزء منه عالقا بين الشجيرات الأرضية نتيجة الحفر، ولكنها لم تبالي.

فور أن ظهرت الجثة وضعت محاسن تلك الصورة وبعض اللقافات داخل قم الجثة والتي يظهر أنها قد دفنت قبل أيام لا أكثر، ثم خاطت فيها وأعادت التراب عليها والسعادة مرسومة على وجهها وقالت وهي تحتضن ابنتها:

- لا بد أن اللعنة قد كسرت الآن، لقد أصبحنا أحرار يا جمرة..

كادت الأخيرة أن تبسّم رغم كل شيء، ولكن صوت رجل جاء من خلفهم فجأة يصرخ عليهم جعلها تنظر باتجاهه والفرع ظاهر على وجهها. لم يكن رجلًا واحدًا، بل ثلاثة رجال من الشرطة. قال أحدهم:

- ماذا تفعلون هنا!

نظرت جمرة إلى والدتها حيث شعرت بالخوف يظهر عليها أيضًا ثم سرعان ما قالت:

- نحن هنا لزيارة قريب لنا، قد مات منذ زمن.

قال موجهًا كلامه لحارس المقبرة وهو رجل عجوز يقف بعيدًا عنهم
بعض الشيء:

- هل تعيش المرأة والطفلة هنا أيها الرجل؟

- كلا، لم أشاهدهم في هذه المنطقة أبدًا.

وجه أحد رجال الشرطة كلامه لمحاسن:

- ما اسم قريبك؟ فهذا الرجل العجوز يحرس المقبرة منذ سنوات
ويعلم عن كل شخص موجود هنا.

ظنت جمرة أن الشياطين ستساعد والدتها، ولكن صمت محاسن
وقتها جعلها تعلم أنهم قد تخلوا عنها.

تم ابعادهم عن مكان الجثة وبدأ العجوز بالحفر، ولكن لحسن الحظ
لم تكن تلك الحفرة ذاتها التي وضعت محاسن داخلها عملها فشعروا
الاثنين بالراحة، ولكن صعقوا عندما وجدوا أن الجثة التي لم يلمسها
تخرج منها لفافة مليئة بالطلاسم السحرية.

علموا جميعهم فور رؤيتهم لذلك العمل أن محاسن ليست سوا
ساحرة تقوم بعملها الأسود على هذه الجثة البائسة. بينما نظرات محاسن

وابتها كانت عبارة عن صدمة حيث إن ذلك العمل لم يكن ذات العمل
الذي دفنوه قبل لحظات، بل إن الجثة من الأساس لم تكن ذات الجثة.

همست محاسن نحو ابتها جرة بسخرية سوداء

- يبدوا أن الأعمال السحرية منتشرة في هذه المقبرة.

تم امساكها وإدخالها إلى سيارة الشرطة بواسطة اثنين منهم بينما جرة
تم امساكها برفق لتذهب مع الرجل الثالث بسيارة أخرى. فور صعودها
معه بكت وقالت:

- أرجوك دعني أذهب معها، لا أريد الابتعاد عنها.

حاولت كثيرًا فتح الباب الموصد لكن دون فائدة فقال لها:

- لا تقلقي كل شيء سيكون على ما يرام، هل هي والدتك؟

اومأت برأسها إيجابًا ليقول بعدها:

- ما اسمك؟

- جرة.

- اسم غريب..

ثم تحركت السيارة باتجاه المدينة، حيث مركز الشرطة. من هناك بدأت التحقيقات لها ولوالدتها وبينما الأخيرة اعترفت بكل شيء بعينين مليئتين بالدموع أما جمرة كانت تصر على الإنكار خوفًا على والدتها من عواقب الاعتراف.

قال لها رجل يدعى ماجد برفقة احد الضباط:

- تنكرين أنكم كنتم ذاهبون لدفن عمل أسود، أم أنك من الأساس لا تعلمين ماهيته يا جمرة؟

صمتت لبعض الوقت ثم قالت:

- كنا نزور قريب لنا لم نره منذ زمن بعيد لا أكثر.

- وما اسم ذلك القريب؟ صف لي مكان قبره..

عادت للصمت مجددًا فلا تعلم ما تقول، إن قالت اسمًا عشوائيًا وتم التأكد من أنه غير صحيح فستثبت لهم ظنونهم. لم ينتظر إجابة منها، بل ابتسم وربت على كتفها وقال بعد أن نهض من مكانه:

- يبدو أن حياتك كانت سيئة أيتها الصغيرة، أعدك أن القادم أجمل.



ظلال

استأذن الضابط للخروج بقوله

- اعتنوا بها، يجب علي الخروج مبكرا فالיום زفاف اختي مياسم.

بارك له الجميع وتمنوا لأخته حياة هائلة.

شعرت جهرة بحزن شديد، بينما هي ووالدتها يعانون هنالك من يعيش سعيدا ويمارس حياته الطبيعية بذات اللحظة.

(8)

منزل القاصرات

تم أخذ جمرة إلى منزل القاصرات حتى يأتي الحكم النهائي على والدتها الذي أخذ عشرون يومًا ثم صدر القرار النهائي والذي يقضي بقصاصها علانية لتكون عبرة لكل من له يد في هذا العالم أو يملك في داخله الرغبة بالدخول إليه.

علمت جمرة بشأن الحكم من مديرة الدار رجينة حيث قالت لها:

- ابنتي جمرة، هل أنت سعيدة بالبقاء هنا؟

- سعيدة، لكنني أرغب بالرجوع إلى منزلي مع ووالدتي..

أجابتها رجينة وهي مشفقة:

- في الحقيقة لا أعلم كيف سأقول لك هذا الخبر يا ابنتي، ولكن يجب عليّ ذلك وقد طلب مني القاضي اخبارك أن والدتك سيتم إعدامها بسبب ما فعلته واعترفت به.

لم تستطع جمرة النطق من هول الصدمة التي شعرت بها، لم تمر دقائق من تلقيها الخبر حتى سقطت مغشيًا عليها ونبضات قلبها تتسارع بطريقة مرعبة، لتنقل بعدها إلى المشفى وتبقى هناك ثلاث أيام بسبب خطر



حالتها، فكل مرة تستيقظ فيها تصاب بنوبة هلع وتتسارع نبضات قلبها حتى يكاد أن ينفجر.

في الليلة الثالثة نهضت بصعوبة وحاولت الخروج، حيث بعد يوم سيكون موعد قصاص والدتها. تم منعها وإرغامها على البقاء فحالتها لم تسمح لها بالخروج بعد. لم تستطع أن تبقى والموت يقترب من روح والدتها، فهربت في نهار يوم القصاص برداء المشفى الأزرق وبعينين مليئتين بخيبات الزمن.

كانت تترنح يمينًا ويسارًا من شدة هلعها فاليوم سترحل والدتها، رحيلًا أبديًا.. رحيلًا لا رجعة منه، ليس بإمكانها فعل أي شيء لتغير كل هذه الأحداث أو لتهرب هي ووالدتها، وحتى ليس بإمكانها أن تموت معها.

وصلت إلى المكان المنشود حيث تجمع الناس ليشكلوا عائقًا أمامها بلا مشاعر فقط من باب الفضول، فهذه المرأة التي ستموت اليوم لا تعني لهم شيئًا. قالت بصوت بالكاد يخرج منها:

- أرجوكم ابتعدوا، دعوني أعبر بينكم، أرجوكم إنها أمي.

بعد مجهود كبير جدًا استطاعت أن تشاهدها تجلس على ركبتيها ووجهها مغطى بكيس قماشي أسود اللون يشبه لون الحياة في عيني جرة

تلك الفتاة الصغيرة، بدأت بالركض وقبل أن تصل إلى والدتها تم قطع رأسها بكل قوة ليتدحرج مبتعدًا عن جسدها مسافة بعيدة.

لم تتمالك جمرة نفسها أمام المنظر في تلك اللحظة فصرخت، صرخت حتى خارت قواها وبدأ جسدها بالارتعاش. لم تعد قدميها تحملانها على الوقوف لقد سقطت وأصبحت تحبو باتجاه رأسها ثم أخرجته من ذلك السواد الذي يغطيه وعند رؤيتها لذلك توقفت تلك الآهات التي تخرج منها وفقدت القدرة على النطق وأصبحت تبكي بصمت.

أخرجوها العديد من الرجال وسمعت كلماتهم الجارحة عن والدتها:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- يقولون أنها ابتتها.

- بش الأم.

- كيف لها أن تفعل ذلك؟ ألم تفكر في ابتتها قط!

ليتهم يعلمون، ليتهم فقط يعلمون أن هذه الأم فعلت الكثير الكثير لابتتها. فعلت ما لم يستطع رجلٌ على فعله، لكنها قبل لحظة فقدت القدرة على الدفاع عنها فصوتها قد رحل معها مودعًا هذه الروح البائسة لتكمل مشوارها بمفردها.



(9)

مغامرة الموت

بعد عدة أيام.. منذ تلك الحادثة وبعد ذلك اليوم المشؤوم لم تغادر سريرها المتواجد في زاوية إحدى غرف الدار. حاولت كثيرًا رجينة أن تجعلها تختلط بالفتيات اللاتي في مثل عمرها لكن دون فائدة.

كانت تمسك بقلم والكثير من الأوراق لتكتب فيه كلما حادتها إحداهن هذه الجملة:

(لا أرغب في التجدد مع أي أحد)

كانت تبكي بصمت كلما فتح أحدهم حديثًا معها وإن كان من باب إدخال البهجة على قلبها.

ذات يوم طلبت رجينة من جمرة أن تتوجه لها وتم إرغامها من المسؤولة سوزان على النهوض. كان وجهها شاحبًا مليئًا بالحرن وجسدها قد فقد نصف وزنه نتيجة فقدان شهيتها.

فور دخولها ابتسمت رجينة لها وقالت:

- اجلسي يا جمرة لدي خبر جميل لك.



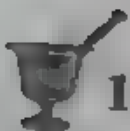
نظرت إليها بلا مبالاة فلا شيء سيكون جميلاً بعد خسارتها لوالدتها،
فأكملت رجينة ما تريد قوله:

- تحدث معنا اليوم الشيخ ماجد وطلب منا أن نسمع له بأخذك
ليقوم بتربيتك مع أبنائه.

لم تكن تعلم بتلك اللحظة من تقصد رجينة بالشيخ ماجد، ولكن
سرعان ما عادت بها ذاكرتها إلى ذلك الشيخ الذي كان يحقق معها برفقة
إحدى الضباط وهو أيضاً القاضي الذي أصدر الحكم على والدتها
فهضت بعد أن كتبت على الورق الذي تمسكه بقوة حيث أن القلم انكسر
بين يدها:

(لا أريد أن أذهب معه، أنا سعيدة هنا)

- أعلم أن الأمر ليس هيناً عليك، ولكن الشيخ ماجد رجل ميسور
الحال وعائلته لطيفة جداً، صدقيني ستكونين سعيدة معهم، وأيضاً
أخبرني أنه مستعد لإعادتك إلى المدرسة التي حرمتك منها والدتك، كما
أن لديه ابنة جميلة في مثل عمرك ستصبحان أختان تتشاركان كل شيء.



أصاب جمره الغضب لتكتب بسرعة بنفس القلم المكسور والذي
تناثر حبرة في أرجاء المكتب:

(قلت لك لا أريد الذهاب إلى أي مكان، إن أردت حقًا التخلص
مني فلتعبدني إلى منزلي)

نظرت رجينة إلى حالتها بشفقة حتى خرجت جمره من مكتبها لتعود
إلى فراشها. ذلك الملجأ الوحيد بعيدًا عن فضول الناس وأعينهم، وبلا
شعور غطت في نوم عميق لتجد نفسها في إحدى الجبال الخضراء ترندي
فستانًا أبيض اللون وتشع من وجهها السعادة. لحظات فقط ليتحول
ذلك المكان الجميل إلى أرض قاحلة، وردائها الأبيض قد غطته بفع
الدماء بينما تحول وجهها وعاد شاحبًا مليئًا بالضياء.

نهضت من نومها والفرع مرسوم على وجهها، لتلتفت إليها إحدى
الفتيات في الغرفة وتركض لتجلب لها كوبًا من الماء وقالت:

- يبدو أنه كابوس.. ذلك الذي جعلك تنهضين في هذا الوقت.

تناولت جمره كوب الماء منها وشربت القليل وأشارت إلى معصم
بيدها لتستعلم عن الوقت. لتجيبها الأخرى:

- إنها الثانية بعد منتصف الليل.

حاولت جاهدة العودة للنوم في تلك الليلة لكنها لم تستطع، وفور أن فتحت عينيها شاهدت بعض الفتيات يتسللن إلى الخارج. لتكتب على الورقة:

(أين سيذهبون في هذه الساعة)

نظرت تلك الفتاة إلى الورقة لوقت طويل، ففي الليل تأخذ المشرفات جولة على جميع الغرف ويغلقن الأنوار حتى يناموا في الظلام، قالت فور أن أتضح لها المكتوب بصعوبة:

- سيتوجهون إلى إحدى البيوت المسكونة في نهاية الحي، بما أنهم مراقبون صباحًا وممنوع علينا الخروج بدون أحد البالغين قرروا الهرب ليلاً والقيام بمغامرة لا أعلم نهايتها.

أنتاب جمرة الفضول فكتبت سريعًا:

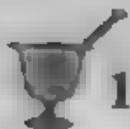
(لنذهب معهم إذا)

- هل جئت؟ حالتك لا تسمح أبدًا بالنهوض من السرير فما بالك بمغامرة كهذه!

كتبت:

(لدي رغبة في مواجهة أكبر مخاوفي وأعتقد أن هذه الفرصة مناسبة

(لي)



نظرت لتلك الفتاة بانتظار موافقتها، لكن الأخرى فضلت الصمت لتقل جرة النقاش بكتابة:

(إن أردت ابقِ هنا، أما أنا سأذهب معهم)

اتضح التوتر على وجه حواء، ولكن في نهاية المطاف قالت:

- طلبت مني السيدة رجينة أن أهتم بك لذلك علي البقاء معكِ أيتها تذهين.

ابتسمت جرة لها ونهضت لتلحق بأولئك الفتيات وحواء تتبعها مضطرة. توجهن للبوابة الخلفية من الدار وقد كانوا ثمان فتيات وفتها بقيادة واحدة منهم وتدعى سارة تم فتح البوابة المغلقة ليركضن جميعاً بعدها إلى الخارج باتجاه طريق وعرة.

كان الأمر جنونياً لكنها أحبته، أحبت شعور المغامرة برفقة أشخاص لا تعرف عنهم الكثير، رغم خبرتها الجيدة عما يبحثون عنه في ذلك المنزل.

في الواقع، غريب جداً، كانت متعجبة من نفسها في تلك اللحظة هي التي هربت منهم وفعلت برفقة والدتها المحرمات في سبيل الخلاص منهم، الآن تجد نفسها تبحث عنهم في محاولة منها لانتزاع الخوف من

داخلها. ألم يقولوا إن أردت الهرب من شيء تعمد مواجهته؟ يبدو أن هذا ما ترغب جمرة بفعله.

بعد دقائق بسيطة وصلوا إلى منزل متهالك رغم فخامته. حيث كان يوجد آثار حريق تلبست به الجدران سوادًا. شعرت للحظة فور وقوفها أمام باب المنزل بالخوف ينساب داخل صدرها لتكتب لهم على الأوراق التي جلبتها معها:

(يكفي دعونا نعود أدراجنا)

نظرت إليها حواء وقالت:

- هل ترغبين أن نعود أنا وانت؟

هزت جمرة رأسها نافية وكتبت:

(يجب علينا جميعًا أن نعود، المكان مخيف وقد يتسبب بقتلكم)

نظرت سارة باتجاه جمرة وسرعان ما صرخت في وجهها مصدرة صوتًا كأصوات الأشباح، متوقعة إخافتها وبالفعل تمكنت من ذلك لتصحك عليها برفقة البقية عدا حواء والتي كانت غاضبة من فعلتهم وقالت لهم:



- جمرة تعاني وأنتم لا تراعون هذا الأمر أبدًا، دعونا نعود الآن وإلا أخبرت السيدة رجينة بما تفعلونه.

سارة بسخرية:

- لم نطلب منكم المجيء، أنتم من حشرتم أنفسكم بيننا، إن أردتم الرحيل فلترحلوا، ولكن في حال اخباركم للسيدة رجينة بما نفعله، سنجعل حياتك أنت وهذه الغريبة في الدار جحيماً.

أرادت حواء الاستمرار في الجدل، ولكن صوت من داخل ذلك المنزل جعل الجميع ينظرون في اتجاه واحد بدهشة شديدة. لقد فتح باب المنزل أمامهم على مصراعيه وكأنه يرحب بدخولهن إليه. لقد كان صوت فتحه شبيهاً بصوت باب منزل جمرة المهترئ تمامًا لتشعر بأن صوت دقان قلبها ازداد قرعها وعقلها يطلب منها الرحيل من هذا المكان في أسرع وقت ممكن.

امسكت ذراع حواء وكتبت لها:

(دعينا نرحل الآن)



في المقابل بقية الفتيات دخلن إلى ذلك المنزل وهم يتضحكون. نظرت جمرة باتجاه إحدى النوافذ لتجد شخصًا يراقبها من خلاله. عندما ثبتت نظرها نحوه لتحاول معرفة ماهيته، حتى شاهدها إنها خائفة تنظر إليها والشرر يتطاير من أعينها لتراجع جمرة للوراء خطوة تلو أخرى وهي تقول بداخلها حيث إن صوتها يأبى الخروج (لا لا يمكن أن يعودوا).

حاولت حواء تهدئتها، ولكن جمرة ركضت باتجاه الدار بكل سرعتها رغم أنها كانت تسقط كثيرًا والدم ينزف من جسدها نتيجة ارتطامها بالكثير من الأغصان والأحجار القاسية.

كانت حواء تركض محاولة اللحاق بها وهي تصرخ:

- توقفي جمرة أخبريني ما بك، جمرة أرجوك توقفي!

لم تجد نفسها إلا أمام الباب الخلفي للدار فارتكزت عليه بيديها، ثم نفثت الهواء بكل قوة إلى خارج جسدها وكأنها تحاول إبعاد كل السواد الذي يحوم حولها. فور وصول حواء صرخت في وجهها:

- هل جننتي؟ ما بك.. أخبرتك في حال رغبتك بالرجوع سأأتي

معك، ولكن لماذا ركضتي هكذا!

لم تستطع كتابة شيء يعبر عن سبب فعلتها تلك، فذلك المشهد مازال عالقاً في عقلها. همست حواء لها:

- هل شاهدي شيئاً لا يجب عليك مشاهدته!

نظرت إليها بتلك اللحظة لتجد الرعب مرسوماً على ملامحها فأمسكت بقلمها وكتبت سريعاً:

(كلا، شعرت فقط أنني احتاج للذهاب إلى دورة المياه وهذا سبب
ركضي)

لم تعلق حواء أبداً، بل فتحت الباب ليدخلا وتركته موارباً ليتمكن
البقية بعد انتهاء مغامرتهم من الدخول. مرت ساعتان منذ عودتهم وإلى
الآن لا أثر للفتيات أبداً، عندها نطقت بينما جمره تتقلب على فراشها:

- لقد تأخروا كثيراً، هل تتوقعين أنهم بخير؟ كتبت جمره:

(ربما هناك الكثير من العجائب في ذلك المنزل مما جعلهم لا يشعرون
بالوقت أبداً)

- لكن الفجر قريب، ومن عادة السيدة رجينة أن تتفقدنا عند الساعة
الخامسة، سيقعون في ورطة فور معرفتها بما فعلوه.

ثم نهضت حواء من سريرها وأكملت:

- علينا العودة إلى ذلك المنزل، يجب علينا تحذيرهم.

كتبت جمرة بيد ترتعش من الخوف:

(لن أعود لذلك المنزل مرة أخرى، لن أعود أبدًا)

عادت حواء تحاول النوم مجددًا، ولكن سرعان ما نهضت وقالت:

- لن أستطيع النوم وتأنيب الضمير يقتلني يا جمرة، يجب علي أن أحذرهم، ثم من يدري قد يصادفن بعض المشاكل في ذلك المنزل.. سأذهب أنا، وأنتِ أبقى هنا.

لم تترك لجمرة أي فرصة للتفكير فعند نهوضها أوقفتها بيدها وأومات لها برأسها موافقة على الذهاب ومضت معها.

توجهتا مجددًا للطريق المؤدي إلى ذلك المنزل وكلما اقتربتا خطوة شعرت أنها على مشارف هاوية لا قاع لها، تمضي وهي تعلم أن لقاءها مثلت المخلوقات بات قريبًا. شاهدوا ذلك المنزل مجددًا بعد دقائق من المشي ل يبدو ساكنًا وكأن لا أحد فيه.



قالت حواء لجمرة:

- ليس من عادة هؤلاء الفتيات الهدوء، حتى وإن كانوا في منزل مسكون.

كتبت الأخرى لها:

(ربما قد خرجوا من المكان وعادوا إلى الدار في هذه اللحظة من طريق آخر)

- لا يمكن، هذا هو الطريق الوحيد.

لاحظوا أن باب المنزل كان مقفلاً، لتقترب حواء منه وتحاول فتحه ليصدر ذات الصوت الذي تمت جمرة لو تفقد ذاكرتها لنسيانه.

همست لها حواء:

- هيا تعالي..

اقتربت بخطوات مترددة نحو ذلك المنزل، كانت عيناها تنظر إلى النافذة التي شاهدت خاتمة من خلالها قبل ساعتين من الآن، ولكنها في هذه اللحظة كانت مغطاة بالستائر.



أقنعت نفسها أن ما شاهدته قبل ساعتين من الآن لم يكن سوى وهم تخيلته نتيجة تفكيرها المتواصل بهم وقالت في داخلها:

(إنهم جنباء يا جمرة جنباء يجيدون صنع الوهم).

دخلتا يداً بيد إلى المنزل، كان المنزل يحتوي على ساحة كبيرة في منتصفها مجسم لفتاة تحمل إناء على كتفها. من المفترض أن تكون نافورة ينسكب الماء منها لتزين ساحة ذلك المنزل، وتواجدت الكثير من الغرف في أطرافه وهناك بجانب النافورة الميتة توجد شجرة عملاقة خضراء وكأنها لم تذبل قط وفي أحد أغصانها حبال ملفوفة لتشكيل أرجوحة، تبدو وكأنها قد صنعت منذ زمن.

أصبحت حواء تردد بصوت مرتفع:

- هل أنتم هنا يا فتيات، سارة، نور، يا فتيات أرجوكم لقد تأخر الوقت كثيرًا!

لم تجد ردًا سوى ضحكات غريبة من إحدى غرف المنزل، ثم سرعان ما شعروا بشخص يركض لتلفتا إلى جهة الصوت الصادر من أقدام أحد ما، فإذا هي لفتاة صغيرة بعمر الرابعة ترتدي فستانًا أخضر يبدو باهض الثمن، وتحمل بين يديها دمية، وتدخل لذات الغرفة التي سمعتا صوت



الضحكات يصدر منها، حتى سقطت تلك الدمية من يدها أمام عتبة الباب.

اختفت تلك الفتاة بلمح البصر فكتبت جمرة لحواء:

(هل شاهدت ما شاهدته أم أن الوهم قد أصابني بالكامل)

لم تنظر إلى جمرة، بل ظلت تنظر للغرفة التي دخلت تلك الطفلة إليها. علمت جمرة وقتها أن الوهم بهذه اللحظة لم يكن وهمًا، بل كان واقعًا كالكابوس حل عليهم.

لم تتردد مرتين في التوجه نحو تلك الغرفة لتتوقف بعدها أمام الدمية اللطيفة التي كانت في يد الطفلة، ولكن فور أن التقطتها حتى تحولت إلى دمية بشعة مليئة بالثقوب والعفن منتشر عليها، دلالة على أنها في هذا المكان منذ فترة طويلة.

في نفس اللحظة بدأت تلك الأرجوحة بالتحرك رغم أنه لا توجد رياح داخل المنزل. ثم سرعان ما عادت الضحكات مجددًا داخل الغرفة التي لا يفصل بينها وبين جمرة سوى خطوة واحدة. كانت تلك الغرفة كالجحيم رغم أنها لم تستطع رؤية ما في داخلها، ولكن رعبًا غريبًا كان ينبعث من تلك الغرفة دون غيرها مما جعلها تحاول الابتعاد، ولكن

بدأت محاولاتها بالفشل لتجد نفسها تقف في منتصفها أمام ظهر كرسي متحرك. تجلس بجانبه تلك الطفلة على الأرض وتلعب بنفس الدمية التي تحملها جمرة بين يديها بينما هناك من يجلس على الكرسي ويضع يده على رأس الطفلة. كان ظهر الشخص الجالس على الكرسي مقابلاً لوجهها، حيث مشت ناحيته وبدون شعور وضعت يدها على ظهره لتماجاً بوجه سارة وقد كان متأكلاً وعلى عينيها آثار الهلع.

ركضت جمرة للخارج نحو حواء، حيث حاولت أن تسحبها بعيداً ناحية البوابة لكنها لم تتحرك. كان نظرها متجهاً إلى أعلى تلك الشجرة لتتفرج جمرة إلى نفس النقطة التي تحديق بها حواء لتجد مشهداً أقل ما يقال عنه أنه مصدر كل الرعب الموجود في هذا العالم.

كانت جثث الفتيات معلقة بواسطة حبال بالية على تلك الشجرة وعلى وجوههم جميعاً آثار الهلع وكأنهم قبل لحظات من موتهم شاهدوا أعظم مخاوفهم.

هزت جمرة كتف حواء كثيراً ثم كتبت لها:

(علينا الرحيل)



لم تكن تجيب، بل كانت في حالة صدمة جعلتها تنظر لذلك المنظر
بشبات حتى ضربتها جمرة بكل قوتها على وجهها لتفريق ثم سرعان ما بدأت
بالبكاء والانهيار على الأرض. لم يكن هناك وقت لكل هذا، لا وقت
للانهيار في هذا المكان.

تركتها وركضت لتلك البوابة في محاولة منها لفتحها، ولكنها كانت
مؤصدة لا تفتح. طرقت على الباب كثيرًا لعل أحدًا يسمعها، وتمنت لو
أن حواء تأتي لمساعدتها، ولكنها لا تجيب.

فالتفت لها لتجد تلك الفتاة الصغيرة تسحبها من قدمها نحو تلك
الغرفة بينما هي تحاول الصراخ، ولكن صوتها لم يكن يخرج من موضعه.
في تلك اللحظة تذكرت آية الكرسي، ولكنها لا تستطيع النطق، فكل ما
فعلته بمحاولة يائسة منها هي كتابة تلك الآية على الورق عدة مرات
وهي ترددها في قلبها، لتنظر لها تلك الفتاة ووجهها قد امتلأ بالغضب.

تركت قدم حواء لتتقدم نحو جمرة، ولكنها لم تستطع وكأن شيئًا خفيًا
يمنعها، لتركض الفتاة نحو تلك الغرفة بلمح البصر ليقفل الباب عليها،
وفي هذه الأثناء كانت قد فتحت البوابة بدون تدخل من أحد رغم أن
جمرة حاولت جاهدة أن تفتحها للهرب منها مسبقًا، ولكن دون جدوى.



ركضت جمرة مسرعة ناحية حواء التي كانت على وشك الموت رعباً
لتمسك بها وتسحبها إلى خارج المنزل.

فور خروجهم من المكان وجلوسهم على أول عتبة تقابلهم كتبت
سريعاً لحواء التي كانت على حافة الانهيار.

(لا تخافي يا حواء إنهم جبناء، جبناء يجيدون صنع الوهم)

لا تعلم هل تحاول بتلك الكلمات تهدئة روعها أم أنها تحاول إقناع
نفسها بأن تلك المخلوقات أياً كانت ماهيتها لا يمكنها أذيتهم أبداً، فكل
ما تصنعه يكون وهماً لا أكثر.

لطالما كانت تخفف قبح المواقف التي تراها وتشعر بهم فيها بهذه
الكلمات، لدرجة أنها قد آمنت بها. هم لا يستطيعون أذيتنا أبداً، بل
يزرعون الخوف فينا فنقتل نحن أنفسنا بأنفسنا هرباً منهم.. ذلك ما آمنت
به.



اتهامات باطلة

ظهرت الشمس في ذلك الوقت الذي كانتا فيه عائدتين إلى الدار، ووجدتا السيدة رجينة وحارس الدار والمساعدة سوزان وبعض الفتيات منتشرون في المكان يبحثون عنهم ويبدو على وجوههم القلق.

فور رؤية السيدة رجينة لهم ركضت نحوهم وهي تصرخ:

- ماذا حدث؟ أين كنتم!

لم تستطع جمرة أن تجيبها ولم تستطع السيدة رجينة التحقيق أكثر من ذلك. حيث إن حواء سقطت مغشياً عليها.

أربع ساعات كاملة في المشفى لتهدئة حواء فبعد استيقاظها أصبحت تصرخ بطريقة هستيرية وكأنها تواجه الشيطان ولا تهدأ إلا عندما يتم حقنها ببعض المهدئات لتعاود النوم مجددًا.

كانت جمرة تقف في ممرات المشفى تستمع لتلك الصرخات وتلقى النظرات من السيدة رجينة الغاضبة والمليئة بالأسئلة حتى شعرت أنها لا تقوى على تحمل كل ما يدور أمامها.

ذهبت إلى الحارس والذي جاء معهم وكتبت له:

(ارغب بالعودة إلى الدار، هل تستطيع إعادتي)

لم يكن يعرف القراءة، شعر بالربكة وهمّ بالتحدث إليها، لكن صوت السيدة رجينة منعه حيث قالت:

- ابقى أنت هنا وأخبرني كل شيء عن حالة حواء.

ثم نظرت إلى جمرة بغضب وقالت:

- وأنت، تعالي معي.

مشيت خلفها رغم علمها بأن استجواباً لا ينتهي سيبدأ بعد قليل، ومن يعلم قد تكون نهايتها كنهاية والدتها في ذلك المكان حيث يتجمع الجميع لرؤية ذلك السيف ينحر عنقها.

فور وصولهم إلى حديقة المشفى قالت:

- أخبريني الآن كل شيء، أين ذهبتם وماذا حصل لبقية الفتيات يا

جمرة!



لم تعلم ماذا تقول، ولكن فور رؤيتها لأحد رجال الشرطة يقف بعيداً وينظر إليها كتبت سريعاً لها:

(هل بلغتني الشرطة عني؟)

- أخبرتهم بأن ستة من فتيات الدار لا أثر لهم، وصادف هذا الأمر وجودك في الدار يا جمة.

لم تكتب شيئاً، إنها تشك بها.. صفعتها بكلماتها وشعرت بخيبة أمل، فلا يمكن أن تجد أحداً يثق بها بعد وفاة والدتها. ظلت تنظر لذلك الشرطي والرعب واضح على وجهها، لتكمل رجينة:

- أين ذهبتى بالفتيات الأخريات، هل أنتِ ساحرة كوالدتك!

كتبت سريعاً بعد غضبها من تلك الجملة التي سمعتها:

(لست أنا السبب، هن من أردن القيام بمغامرة من باب المتعة فأنتهت تلك المغامرة بمقتلهن)

نهضت السيدة رجينة من مكانها وقالت بصوت مرتجف وعينين توشكان على البكاء:

- مقتلهن!

كُتبت جمرة في تلك اللحظة كل شيء حصل من بداية الرحلة حتى نهايتها، ورغم أن ذلك الشرطي تقدم لقراءة ما تكتبه لكنها لم تتوقف، بل أخبرتهم بكل التفاصيل عدا خاتمة تلك الشيطانة التي كانت تخدم والدتها.

قال الشرطي ساخرًا:

- ما هذا الجنون الذي نخبرنا به الآن أيتها الطفلة؟

كُتبت:

(أنا لا أكذب، تستطيعون سؤال حواء فهي كانت معي وتعلم صدق ما أكتبه، مؤكد أنكم ستصدقونها على عكسي تمامًا)

صرخت السيدة رجينة في وجه جمرة:

- حواء تلك الطفلة المنهارة والتي لا أعلم أيضًا ماذا فعلتي بها.

(أنا لا أكذب، أذهبوا لذلك المنزل وستجدون جثثهم معلقة على

الشجرة)

كم شعرت بأن ذلك الشرطي أراد لكمها، ولكنه في نهاية الأمر أمسك يدها بكل قوته وأخذها معه نحو السيارة في نفس المكان الذي كانت تجلس والدتها فيه في الخلف مثل مجرمة تم القبض عليها.



توجهوا إلى مركز الشرطة ليأخذ معه مجموعة من رجال الشرطة
ليذهبوا مجددًا ناحية المنزل المسكون. ضربتهم على أكتافهم لينظروا الهائم
بدأت تكتب:

(لا أرغب بالعودة مجددًا لذلك المنزل، أرجوكم اتركوني في المشفى
برفقة السيدة رجينة واذهبوا بمفردكم)

لكنهم لم يكثر ثوا لها ولا لرغبة قلبها الصغير، مؤلم هذا الشعور الذي
انتابها بتلك اللحظة. عند انهيار حواء خاف الجميع عليها وعاملها كطفلة
لدرجة أنهم لم يحققوا معها مثلما فعلوا بها، بينما هي وفي هذه اللحظة حيث
كانت ستهوي من حافة الجنون، لم يعرها أحد أي اهتمام يذكر، فلعنة ابنة
الساحرة ستظل تلازمها طالما كانت على قيد الحياة.

توقفوا أمام المنزل المسكون وتم جر جمره نحوه ليفتح واحد منهم
البوابة فتظهر أمام أعينهم جميعًا تلك الجثث في ذات المكان الذي وصفت
لهم جمره، كانت جثث الفتيات معلقة في أغصان الشجرة والتي كانت
قاحلة صفراء وكأنها لم تذوق المياه منذ سنوات طويلة على عكس
شاهدته سابقًا جمره.

نظرت جيدًا لهم فشاهدتهم مرتدين فساتين بيضاء ومتزينين بم
مساحيق التجميل على عكس حالتهم عندما خرجت هي وحواء.

شعرت برعب رجال الشرطة وترددهم، ثم سرعان ما ذهب واحد منهم لنشر الخبر في ذلك المركز فجاءت مجموعة أخرى منهم وبرفقتهم السيدة رجينة والتي فور رؤيتها لذلك المنظر بدأت بالبكاء.

توجهت أصابع الاتهام جميعها نحو جمرة رغم محاولاتها الدفاع عن نفسها والتبرير، لكن دون فائدة. تم التحقيق معها مرارًا والتغيير في الأسئلة ثم إعادتها كما هي، لعلها تخفق وتغير أقوالها، كأنهم بفعلتهم هذه يرغبون بإرباكها، ولكن إجاباتها كانت ثابتة حيث أنها هي الحقيقة.

وضعوها في غرفة مغلقة في الدار حيث تشرف عليها السيدة رجينة والحارس فقط. لم تكن السيدة رجينة ترغب بالنظر إلى وجه جمرة، ولكنها مرغمة على التعامل معها حتى تنتهي القضية لتقذفها بعد ذلك نحو مصيرها.

بعد خمسة أيام من الحادثة، فتح الباب ليظهر منه الحارس وبصحبه ذلك القاضي المدعو ماجد والذي يود أن يأخذها للعيش معه. كانت تشعر أنه في داخله يحمد الله كثيرًا على رفضها الانتقال للعيش معه، ولكنه لم يظهر لها شيئًا من شعوره الخفي نحوها، بل كان يبتسم لها بطريقة لطيفة خالية من المكر.



كان يحمل بيده كيسًا مليئًا بكل ما يشتهيهِ الأطفال من أنواع
الحلويات التي لم تشاهدها في حياتها من قبل وقال لها:

- لا تخافي، فور انتهاء التحقيق في الحادثة التي أعلم جيدًا أنه لا دخل
لك بها سأأخذك إلى منزلي وستكونين أخت جيدة لابتتي ندى.

في تلك اللحظة سمحت لنفسها بالبكاء، حيث انه منذ زمن طويل لم
يهتم أحد بها. الكل أصبح يخاف منها ومن يحاول التودد لها كان بدافع
أخذ الأجوبة في لحظات انهيارها، ولكن هذا الرجل، لم يطلب منها
الحديث ولم يتوقع ذلك منها حتى. كان شيخًا لطيفًا يحاول أن يزرع بعض
السلام داخلها.

أخذت منه ذلك الكيس دون أن تنطق لتشيع بعدها بوجهها المبلل
بالدموع عنه فخرج من المكان بعد أن ابتسم لها وربت على رأسها بهدوء.

بعد يومين عادت حواء من المشفى وقد تحسن حالها كثيرًا بفضل
العناية المكثفة التي تلقتها هناك. بدأت بسر د كل ما واجهوه في تلك البنية
المشؤومة للسيدة رجينة والضابط المسؤول عن التحقيق، ليقتل بعد
ملف هؤلاء الفتيات دون إجابة عن ماهية الفاعل، وتم تسوير كل
الأماكن التي تؤدي إلى ذلك المنزل ووضع حراسات مشددة حوله.

روح بدل روح

قبل ثلاثين عامًا بالتحديد سنة 1382، كانت تلعب في أرجوحاتها والخدم حولها يفعلون كل شيء لإرضائها ووضع البسمة على شفيتها.

لم تكن كبقية الفتيات في زمنها، بل كانت كأميرة على عرش مصنوع من الذهب. تدعى هدير ابنة سلمان، لم تتجاوز الرابعة في تلك الفترة.

رغم كل ما تمتلكه لم تكن تبتسم قط، بل كان وجهها عابسًا نتيجة إصابة والدتها بمرض لم يلقى له أي طبيب علاج في أنحاء المملكة وحتى خارجها.

كان والدها سلمان مغرمًا بزوجته منى حد الجنون، وعند علمه باقتراب أجلها أصبح يهيم في أرجاء الدنيا بحثًا عن أي طريقة لعلاج محبوبته.

لم يكن سلمان مهتمًا بابنته هدير، بل كان يشعر أنها شؤم دخل حياتهم لدمرها. منذ ولادتها وحالة زوجته تزداد سوءًا مما جعله يربط قدومها بذلك.



تلك الطفلة كانت تتلقى كل ما تشتهيها وبجانبها أربعة من
الخدم فقط لإشباع رغباتها، لكنها لم ترغب بكل هذا، بل كل ما تريده هو
الحصول على القليل فقط من حب والدها واحتواءه.

في تلك الأرجوحة التي صنعتها لها الخادمة مانيرا، كانت تفكر
بطريقة طفولية هل يعقل أنني أخطأت في شيء ليعاملني والدي بكل هذا
الحفاء.

شعرت تلك الخادمة بشرودها فقالت لها:

- بماذا تفكرين يا صغيرة؟

- لماذا والدي يكرهني هكذا، لم أذكر أنني فعلت شيئًا خاطئًا من قبل.

ابتسمت مانيرا، وجلست على ركبتيها لتكون قريبة من وجه هدير
وقالت لها:

- عزيزتي، لا شأن لك بكل ذلك السواد الذي أصاب والدك، هو
فقط حزين على مرض أمك، ومن لا يحزن لسوء حالة من يحب؟!

في تلك الاثناء شعروا بصوت باب غرفة والديها يفتح ليخرج
سلمان راكضًا وهو يصرخ:

- احضروا الطبيب، الآن!

اثنان من الخادمتان خرجتا لإعلام الحارس بضرورة إحضار الطبيب حالاً، بينما مانيرا والخادمة الأخرى حمراء ركضوا إلى الداخل لمعرفة ما حدث.

أصاب هدير الفضول لمعرفة ما يحدث في الداخل، حيث كانت صرخات والدها وهو يترجى زوجته ويبحثها على المقاومة ومحاولات الخادمتان لإسعافها.

أمسكت بدميتها بشدة وقفزت من أرجوحاتها لتمشي الخطوة تلو الأخرى ببطء حتى وصلت إلى تلك الغرفة. كان وجه والدتها أسود اللون، وتتفص بطريقة غريبة على السرير وكأنها تنازع الموت.

شعرت بالريبة ودقات قلبها أصبحت أقوى وأقوى، وبدون قصد منها بللت ثيابها ليتسرب ما فعلته على عتبة الغرفة.

لاحظتها مانيرا لتقف الباب سريعاً في وجهها بعد أن همست لها:

- اذهبي إلى غرفتك يا صغيرة.

لم تستطع التحرك من مكانها من هول ما رآته، فبقيت واقفة في نفس البقعة إلى أن حضرت الخادمتان برفقة الطبيب. قبل دخوله ربت على رأسها وابتسم لها ثم دخل وأقفل الباب بعده. أمسكت يدها إحدى الخدم وابتعدتها عن المكان.



في تلك الغرفة وبعد أن فعل الطبيب كل ما يستطيع للتخفيف عن السيدة منى. طلب من سلمان الخروج معه، وفور خروجهم أخبره:

- هذا كل ما نستطيع فعله الآن، للأسف حالتها متقدمة جدًا وقد تصمد لبضعة أيام فقط لا أكثر.

- افعل أي شيء تستطيع فعله لإنقاذها وإن كلف الأمر ثروتي كلها.

ربت على كتفه محاولاً مواساته وهز رأسه علامة على عدم قدرته على فعل ما يطلبه منه وأكمل:

- أرجو أن تكون قويًا، من أجل ابنتك.. فهي تستحق.

لم يقوى على سماع تلك الكلمات وإن كانت تعبر عن الحقيقة التي دائماً ما يحاول تجنبها. خرج من القصر وعقد عزمه على البحث عن حل لدى السحرة بالاستعانة بشياطينهم. هو يؤمن أن لكل داء دواء، وتلك الشياطين لا بد أنها تمتلك من المعرفة ما لم تتوصل له البشرية حتى هذه اللحظة.

ذهب إلى أكبر ساحر في المنطقة والذي يدعى مالك ابن شبحان، لطالما كان ينزل مالك بين الجبال لفترات طويلة جدًا قد تمتد لأشهر، هذا ما جعل أمر عشور سلمان عليه أشبه بالمستحيل.

طلب منه الكثيرون أن يبقى أمام منزله، فهو سيأتي ذات يوم لكنه رفض وقرر أن يذهب بنفسه ويبحث عنه في الجبال التي يعتكف فيها ذلك الساحر.

كان الأمر مرعبًا للكثيرين فتلک الجبال يقال أنها وكر الشياطين والمردة، لكنه لم يكن مهتمًا لكل هذه الأقاويل، فكل ما يهمه في ذلك الحين هو أن يجد حل ينقذ محبوبته قبل انتقالها لعالم الموتى.

حزم أمتعته وشد رحاله إلى تلك الجبال وحيدًا. فور اقترابه شعر بشعور غريب ونسمات باردة تهب عليه، لم يعتدها من قبل في منطقته، وكأنه في بلدة أخرى باردة.

كانت الحشائش والأنهار منتشرة في تلك الجبال رغم أن رؤيتها من بعيد توحي للشخص أنها جرداء موحشة ومليئة بالزواحف السامة.

همس لنفسه لو أن زوجتي بخير لجلبتها إلى هنا لتشاهد هذا الجمال الذي تراه عيناى. بتلك اللحظة نطق شخص من خلفه:

- من أنت، وماذا تفعل هنا؟

نظر للخلف فوجد رجل كبير دميم المنظر، يرتدي ثياب الرعاة وحوله عشرات الخراف التي لم يسمع صوتها قبل لحظات.

مالك نفسه مجازاً لا السيطرة على خويته وقال

أبحث عن شخص يدعي مالك، لي حاجة عنده وقالوا لي أنه
تكتف هذه الجبال، فهل تعرفه!

قدم ذلك الرجل الدميم نحو سلمان حتى شعر بالقياسه الخائفة
وهيس له:

ولماذا أنت خائف؟

علم وقتها، سهاق أن هذا المخلوق لا يمكن أن يكون إلا واحداً من
اثنين، إما مالك نفسه أو أنه أحد سياطينه

لكه قال، بتات:

أنا خائف، والآخري عن مكان مالك، حيث تعرفه
مصي في ظرفاً: دعني اسحب عنه يميني:

صنعتك ساعره خرجت منه لسطو عندها بصنوت عريب اسب
، المخترجة.

تقدمه للأمام، ومهما ساهه جوالك لا يخف ولا تردد باليسير
واحد، ولا سهلك

ثم اختفى من أمامه وكأنه لم يكن وتلك الخراف أيضًا اختفت معه.
فعل ما طلب منه حيث تقدم في طريقه، كان يستمع لأصوات
ضحكات غريبة ثم صرخات، ثم صوتًا كصوت زوجته منى يناديه
ويطلب منه الرجوع إليها.

لكنه ورغم أنه أصبح يتصبب عرقًا من الخوف إلا أنه أستمع بالسير
في ذلك المسار يومًا كاملاً دون أن ينام أو يستريح لحظة واحدة.

شاهد امرأة في نهاية الطريق ترتدي حجابًا وثوبًا حريريًا أصفر،
كانت جميلة جدًا، أشبه بالملاك. توقف للحظات متأملًا جمالها، فنظرت
إليه وهي تقطف بعض الفواكه المتدلية من شجرة غريبة، فتلك الشجرة
تحتوي على الكثير من أنواع الثمار التي يستحيل أن تجتمع في مكان واحد
فما بالك بشجرة واحدة، قالت له:

- هل تستطيع مساعدتي، أحتاج أن أقطف بعض التفاح من هذه
الشجرة.

أراد التوجه لمساعدتها، ولكنه تذكر سريعًا ما قاله له ذلك الراعي
لينراجع بعيدًا عنها ويكمل طريقه، أصبحت تناديه وتتقدم إليه حتى



بدأت بالمشي معه خطوة تلو أخرى وهي تعيد ما طلبته أول مرة، ولكنه لم يستجب وقد غض البصر عنها.

تغير صوتها ليصبح مربعًا وكأنه خارج من حنجرة رجل وهمست في أذنه:

- لقد نجحت أيها البشري.

لتختفي ويظهر أمامه كوخ صغير، شعر عند وصوله له بالسكينة تنبعث داخل قلبه ليعلم أن في داخله ذلك الشخص الذي جاء لأجله. طرق الباب عدة مرات ليفتح بعدها بمفرده ويظهر أمامه رجل يجلس على كرسي خشبي ويده كتاب وحوله عشرات، بل مئات الكتب الغريبة.

فور أن شاهده سلمان قال:

- هل أنت مالك الذي أبحث عنه؟

نظر إليه ذلك الرجل دون مبالاة وكأنه يعلم بشأن قدومه. وضع الكتاب على الطاولة ونهض مبتسمًا له وقال:

- صحيح، وأنت سلمان، من تبحث عن المعجزات لعلاج زوجتك.



لم يكن ما قاله مفاجئًا للآخر حيث إنه توقع أن شياطينه تهمس له بكل الحقائق من حوله فقال:

- لقد سهلت الأمر بمعرفتك لي، فلا داعي للمقدمات إذا.

جلس بعدها على الكرسي الوحيد المتواجد في الكوخ والذي كان يجلس عليه قبل لحظات مالك وقال:

- أستطيع أن أعطيك كل ما أملكه لأجل أن تنجو زوجتي وتعيش عمرًا معي، أنت تعلم أنني أمتلك الكثير.

ضحك مالك بسخرية نتيجة الهراء الذي صدر منه وأجابه بعد أن أبعاد الكتاب عن عينيه، كان كتابًا غريبًا لا اسم لمؤلفه ولا عنوان له.. لقد كان مصنوعًا من الجلد الأسود وعليه رسومات محفورة عليه.

رسمه لفتاة تحمل كتابًا وترفعه للأعلى بيديها، لقد كان كتابًا مقلوبًا، وفي الأعلى رسمه لثلاث أفاعي تعانق بعضها البعض وفوقهم شعاع الشمس، وفي منتصفه عين حمراء كأنها تحرق في حامله.

شعر بالغرابة من الكتاب وقال:

- ما هذا الكتاب؟



- (العرين) مطلب السحرة.

- هل هو كشمس المعارف!

لم يجبه، بل أبعد الكتاب سريعاً عنه ووضعته في إحدى أرفف مكتبته وطلب منه الخروج معه. فور خروجهم شاهد سلمان شيئاً غريباً جداً. تلك الحشائش، الأشجار الخضراء، وبرودة الرياح، جميعها اختفت.

تحولت الجبال إلى أرض قاحلة، مليئة بالرياح الحارقة ودوامات تسحب داخلها العقارب والزواحف السامة.

لا يعلم هل هذا الذي أمامه وهماً صنعتته شياطين مالك أم أن ما قبله كان وهماً وما يراه الآن هو الحقيقة.. نعم إنها حقيقة لا يمكن إنكارها.

قال له مالك مقاطعاً تفكيره:

- هذه الحقيقة، الشياطين تستطيع تزيين ما تراه عينيك لتظن أن الجنة هي مقعدك الحالي، وتستطيع في ذات اللحظة تحويل واقعك إلى جحيم لا تستطيع العيش فيه. ما تراه الآن لا يعد جحيماً ولا جنة هو واقع لا غير، واقع منطقتنا الصحراء الجافة حتى وإن أوهمتك شياطينك بغيره سيكون واقعك في النهاية هو واقعك لن تستطيع تغيير كينونته.

- ماذا تقصد بكلامك هذا!



- أقصد أن شياطيني يا سلمان يستطيعون أن يجعلوك تعيش وهم
تحسن صحة زوجتك، مثل الوهم الذي عشته قبل مجيئك لي.. وهم لا
تفرقه عن الحقيقة لكنه في نهاية الأمر يكون وهماً.

شعر سلمان بالغضب يتغلغل داخله، كيف للشياطين أن تمتنع عن
علاجها ليقول باستياء:

- أليس لكل داء دواء في هذه الأرض، هم الذين عاشوا آلاف
السنين قبلنا، أليسوا هم من يستطيعون التنقل بلمح البصر من شمال
الأرض إلى جنوبها؟

- لكل شيء دواء، عدا الموت، دواء الموت هو الموت نفسه.

لم يقبل سلمان ما قاله هذا الساحر، ولن يقبل أن يترك الموت يأخذ
زوجته منه، ولن يستسلم ليعيش في لذة الوهم طوال حياته فهذا أمر لا
يمكن له أن يتحمله.

خرج من تلك الجبال خالي الوفاض، حزين، منفطر القلب. لقد فعل
كل شيء يستطيع فعله لأجلها، تجاوز كل قيود الدين التي تربطه لأجل
إنقاذها، وحتى بعد كل هذا لم يجد علاجاً لها.

أيعقل، أيعقل أن يقبل بأن يسلبه الموت ذلك الحب؟ الحب الذي
عاش سنيناً طويلة على أمل الحصول عليه، وبعد أن حصل عليه سيذهب



من بين يديه دون أن يقدر على فعل أي شيء، بالمرارة الحياة، تجلب لك ما تهوى، لتفرح به وتشعر أن الأرض لا تسعك من فرط سعادتك ثم سرعان ما تسلبه منك لتترك قلبك خاوياً منقطعاً ينتظر الموت.

توجه لمنزله، ليفتح الباب ويجد الخدم يبكون على عتبة باب غرفة زوجته. لقد كانت جثة لا تتحرك، جثة ملفوفة بقماش أبيض استعداداً لدفنها.

صعق بعد رؤيته للمنظر، وكأن هناك يد خفية تسدد عشرات الطعنات في صدره. تقدم إلى غرفتها، وذهب نحو سريرها الذي كانت عليه بخطوات بطيئة، خائفة، مترددة.

وعندما أصبح أمام جثتها، لا يفصل بينهما شيء وضع يده على ذلك القماش الذي يغطي وجهها ليعده. ليجد وجه زوجته وحييته شاحباً كأنه قطعة من جليد لا روح فيها.

بتلك اللحظة صرخ بكل قوته، وكأنه يحاول بذلك إخراج السواد من داخل قلبه، سواد ألم الفقد الذي حل عليه، سواد الكفر الذي وصل إليه، سواد الحياة في عينيه، سواد الموت، الموت الذي أخذ منه أغلى ما يملكه.



في تلك اللحظة كانت هدير تنظر إلى ذلك الموقف باستغراب وحزن في ذات الوقت، هي لا تعلم ماهية الموت.. كل ما كانت تعلمه أن المرض إن حل على شخص سيرحل عنه عاجلاً أم آجلاً، فلطالما مرضت ولطالما رحل المرض عنها، هذا ما كانت تقوله لها مانيرا كلما سألتها عن حال والدتها.

فور أن وقع نظر سلمان على ابنته صرخ على الخادومات:

- ابعدوا تلك المشؤومة عن وجهي!!

لتبعدها مانيرا بعيداً عن أعين والدها وهي تهمس لها:

- لا عليك، عزيزتي إنه حزين فقط.

- هل سترحل والدتي للأبد؟

لا تعلم كيف تخبرها بموت والدتها، فهي طفلة في نهاية المطاف، والأطفال لا يعلمون ماهية الموت وإن شرحت لهم، فقالت:

- هي داخل قلبك عزيزتي، رحلت لتستقر داخل قلب ابنتها.

مرت الأيام بعد وفاة منى، وأبح المنزل باهتاً وكأنه ملك للأشباح ولم يعد هناك أي بشر فيه، حرم عليهم سلمان إضاءة الأنوار وفعل كل الأشياء المبهجة في هذه الحياة.



لقد عانت هدير في تلك الأيام وعاشت عذاباً لا ينتهي، كل الأشياء
المتعة أصبحت من المحرمات. لقد أمر والدها الجميع بالتعايش مع
الحزن للأبد بمن فيهم ابنته.

تلك الأرجوحة تم رفعها فوق أغصان الشجرة، ومنع الماء عن
النافورة لتصبح جافة.

لقد سلب الموت روح المكان، وروح ساكنيه، وروح من لا روح
فيه!

رغم كل الأوامر الغريبة التي يطلبها وتستجاب له لم يقوى على
العيش هكذا، وكأن شيئاً من الجنون قد أصاب عقله. انعزل في غرفة
زوجته بين ثيابها وأغطية نومها، يبكي شرفاً إليها. ثم سرعان ما خطرت
في باله فكرة، لماذا لا يقبل بالوهم الذي أراد الساحر مالك تقديمه له.
أن يعيش وهم وجودها خير له من العيش بدونها.

خرج سريعاً من تلك الغرفة بشعره المبعثر وهندامه الذي بقي على
جسده منذ وفاتها، كان أشبه بشخص قد سلب عقله.

خرج من منزله نحو الجبال، حيث يكون مالك، وهو على ثقة أنه ما
زال هناك. هو في الواقع لا يعلم كيف يعلم لكن وكأن شيئاً يهمس له بأن
يتوجه مباشرة إلى الجبال.

هذه المرة لم يكن هناك أثر للحشائش والرياح الباردة، لقد كانت جبال جرداء قاحلة تفوح منها رائحة الموت.

عبر من نفس الطريق الذي كان قد مشى فيه عندما قدم أول مرة، متجاهلاً جميع الأصوات والتي كانت هذه المرة أكثر رعباً وشرّاً من ذي قبل، شاهد امرأة تحاول قطف الأشواك من شجرة قاحلة لا ثمار فيها وبدأت معه نفس المحادثة التي فعلتها من هي قبلها، ولكن هذه المرة كانت بشعة، بشعة إلى حد لا يفكر به أحد بالاقتراب منها.

- هل لك أن تساعدني؟

لم يكن المنظر مغرياً هذه المرة للاقتراب منها، بل ذهب في طريقه متجاهلاً كلماتها. لتقدم منه وتهمس له:

- لقد نجحت أيها البشري.

ليظهر أمامه ذات الكوخ، فدخل إليه هذه المرة دون أن يطرق بابه فيجد مالك يجلس في مكانه الذي شاهده به أول مرة ويده ذات الكتاب (العرين) يتصفحه بشغف واضح.

فور أن نظر مالك نحوه مبدئياً تعجبه هذه المرة قال له:

- أرغب بشراء الوهم الذي أخبرتني به.

ابتسم له وقال:

- ولكن، ألم أخبرك يا سلمان أن هناك ثمن لهذا الوهم!

أخرج من محفظته الجلدية رزمة الأوراق النقدية بالإضافة إلى كيس مليء بالذهب وقال له:

- كلها لك، هذه كل ممتلكاتي وسأجلب لك غيرها إن أردت.

شعر مالك بالغضب من وقاحة سلمان وإهانته لشياطينه فنظر صوت مرعب من داخله:

- ابعد تلك النقود أبها البشري عن أعيننا، أتظن أنك تستطيع شرائها ببعض النقود، نحن من نجلب النقود لك أيها الغبي.

شعر بالرعب من ذلك الصوت والذي كان شبيهًا بصوت الراعي في رحلته الأولى هنا فقال معتذرًا بعد أن أخفى تلك النقود:

- أعتذر منك، أعتذر منكم جميعًا، أرجوكم تقبلوا اعتذاري وأعفو عني غفلي وساعدوني.

ابتسم مالك وعاد صوته لما كان عليه وقال:

- الروح بديل للروح.

- ما الذي تقصده؟

- لكي تستطيع أن تحصل على الوهم، عليك قتل روح لتكون قربانًا للشياطين:

- لدي الكثير من الخدم، أستطيع قتلهم جميعًا.

ضحك بسخرية عليه ثم عاد لهذوته وقال:

- يبدو أن هذه الشياطين تهمس لي بابتك، هل اسمها هدير!

شعر سلمان بالصدمة، كيف لهم أن يطلبوا منه قتل ابنته، رغم كرهه لها لكنها في النهاية ابنته، فقال:

- لماذا هدير بالذات، لماذا لا يمكن للخدم أن يكونوا عوضًا عنها؟

- إن أردت شيئًا غاليًا على قلبك، عليك أن تقدم لهم الأغلى.. هذه سياسة الشياطين في عالمهم وعالمنا. ثم لا أظن أنهم طلبوا الأغلى، حسب ما وصلني فإنك لا تحب هذه الفتاة على كل حال، أليست شؤمًا بنظرك يا سلمان!

وافق في نهاية الأمر على طلبات الشياطين وحصل من مالك على كل التعليمات التي سيقوم بتنفيذها ليضمن أن القربان قد سلم بالطريقة الصحيحة.



عاد لمنزله وذهب ولأول مرة إلى غرفة ابنته، لقد كانت قائمة كالملك
وتحتضن بيديها الاثنتين دميتهما التي لم تتركها منذ ولادتها.

شعر للحظة بأن عقله يمنعه من هذه الفعلية، لكن قلبه العاشق يطلب
منه سرعة إنجاز الأمر ليلتقي بوهم محبوبته.

اختلاف تلك الرغبات في نفس الجسد كان مرعباً، أن تتأرجح بين
الصواب والخطأ فتارة تختار عقلك الذي يمنعك ويدلك على الصواب
وتارة تختار قلبك الذي يرجوك سرعة اختيار الخطأ. هو يعلم، في الحقيقة
كان يعلم ذلك الرجل الفرق بين الخطأ والصواب، الخير والشر لكنه في
نهاية المطاف أختار أن يستمع لقلبه وأن يصبح أنايياً.

أخرج كل الخدم من القصر وأمرهم بالبحث عن عمل آخر. جميعهم
رحلوا دون اعتراض عدا الخادمة مانيرا التي أبت أن تترك هدير بمفردها
معه وطلبت منه، بل ترجته أن تبقى معها دون أجر، لكنه رفض رفضاً
قاطعاً وسحبها من شعرها ليقذف بها خارج القصر، ثم أغلق الباب بكل
قوته على وجهها. لترحل من دون حول منها ولا قوة، والحزن يسيطر
عليها خوفاً وشفقة على هدير.

في ذلك القصر، كان يجلس في الفناء الخارجي وبجانبه خنجر حاد
وقماش أبيض.

بعد أن أعلنت الساعة قدوم الثالثة صباحًا حتى ذهب لغرفة ابنته
النائمة ليوقظها وقال لها:

- هدير انهضي أرغب بالتحدث معك.

نهضت لتجده ينظر لها بابتسامة مريحة لم تعهدها

منه فقالت:

- لماذا أنت هنا يا والدي، وأين مانيرا؟

- ستأتي قريبًا لا عليك.

امسك يدها ثم قبلها على وجنتيها وقال لها:

- ما رأيك أن نتحدث خارجًا، في ساحة القصر.

لتومئ برأسها إيجابًا بحماس وتنهض من فوق سريرها. في تلك
الساحة أنزل الأرجوحة وبدأ باللعب معها حتى شعرت أن الحياة قد
ضحكت لها ولأول مرة. كان يسألها مرارًا هل ترغبين بشيء فتجيب بما
في نفسها فيلبيه لها، ثم يعاود سؤالها:

- هل هنالك شيء آخر ترغبين فيه؟



هزت رأسها نفياً فأمسك بها ووضع رأسها على

حافة البركة في منتصف الفناء وقال:

- سنلعب لعبة، لعبة جميلة جداً يا هدير، ستجلب

لنا هذه اللعبة والدتك.

- لقد قالت مانيرا أن والدتي تسكن داخل قلبي

الآن، كيف نستطيع إخراجها من قلبي يا والدي؟

ابتسم وقال:

- فقط أغمضي عينيك، وسأخرجها لاعليك.

فور أن أغمضت عينيها نطق، لأجلك يا همام، لأجلك يا خاتمة
لأجلك يا عمام ويا ريلاس أرجو أن تقبلوا روح أبتني هدير بديلاً لوهم
زوجتي منى.

ثم سرعان ما نحر رقبتها كما تنحر الأغنام في ليلة العيد. لتمتلي
البركة بالدماء، دماء هدير وعند آخر قطرة سمع صوت حركة داخل
غرفة زوجته، ركض إلى الغرفة فوجدها، كما لو أنها لم تمرض يوماً، في
أبهى صورها تنظر إليه وتبتسم ليرد لها الابتسامة بمثلها ويحتضنها معباً



لها عن شوقه إليها. متناسيًا تلك الجثة الصغيرة في ساحة القصر لأيام طويلة، كان متنعمًا بجوار محبوبته.

بعد مرور الوقت دفنها أسفل الشجرة التي كانت تقضي أغلب وقتها بحوارها، وقبل أن يغطيها بالرمال قذف بدميتها بين أحضانها، لعلها تزيل وحشة القبر عن روحها الصغيرة.

شهور مرت وهو على حاله، منعزل عن البشر، يعيش مع وهمه إلى أن زاده الجنون جنونًا وتلك الصورة التي هيئتها له الشياطين قد أصبحت أقرب للمسح على أن تكون زوجته.

وكانه مع جسد بروح مختلفة، أمر مرعب، مخيف، مثير للغثيان. لم يتحمل كل هذا ليعلق حبلًا على غصن تلك الشجرة التي دفن ابنته تحتها ويشق نفسه بين أنظار وهمه التي ظلت مبتسمة أمامه لا تفعل شيئًا سوى النظر له.



مخيف جدًا

هذا العالم بكل ما يحتويه!

(12)

حياة أخرى

اعتذرت السيدة رجينة بالإضافة إلى رجال الشرطة عن اساءتهم
الظن في جمرة رغم أنها طفلة لا تعي من السحر شيئاً. حيث تقدمت إليها
السيدة رجينة وجلست بجانبها على سريرها، بعد خروجها من الزنزانة
التي وصعت فيها:

- أنستطيعين مسامحتي لعدم الإنصات لك يا جمرة؟

لم تستطع مسامحتها في تلك اللحظة، حيث إنها شعرت بأنها لم تكن
سوى جرد أسود يعيش بين عشرات العصافير ذات الألوان الزاهية،
فكلما حدث مكروه لأحد منهم أشاروا إليه فقط بسبب السواد الذي
يحيط به.

لكنها لم تخبرها بكل تلك المشاعر التي تصارع للخروج من داخلها،
بل كل ما كتبه لها بعد طبع ابتسامة طفولية على وجهها:

(لا عليك)

حزمت أمتعتها القليلة والتي تم جلبها من منزلها القديم بواسطة
رجال الشرطة، بعد وصولها إلى الدار. ثم رحلت ممسكة بيد الشيخ ماجد
والذي وعدها بأن حياتها بأكملها سوف تتغير للأفضل.



في تلك السيارة الفارحة انطلق بها نحو ذات الحي الراقي الذي يكون فيه منزل مريم سابقًا، تلك الفتاة التي قتلها شيطانها العاشق وجاءت والدتها للنار من محاسن ظنًا منها أنها السبب بكل ما حصل لابنتها.

رغم فخامة منزل مريم إلا أن منزل الشيخ ماجد والذي كان موجودًا في نهاية الحي يعد الأفخم. في الواقع، هذا المنزل يكون أجمل منزل يتواجد في ذلك الحي. كان مكونًا من ثلاث طوابق وحديقة كبيرة جدًا مليئة بكل أنواع الورد.

في تلك الحديقة بستان يدعى أمير، يرتدي عمامة بيضاء وثوبًا أبيض. كان مشغولًا برش الماء على الأشجار حولهم. ناداه الشيخ ماجد ليحضر فورًا فيقول له:

- هل أحضر السائق ندى وليث من المدرسة؟

- نعم يا سيدي، لقد وصلوا منذ ساعة تقريبًا.

- جيد، شكرًا لك.

طلب منها اللحاق به إلى الداخل وفور أن فتح الباب تقدمت باتجاههم امرأة جميلة ترتدي رداء مطرز بالكامل باللون الأزرق وتعطي

شعرها الأسود الحريري بوشاح أسود اللون مطرز بخيوط زرقاء. فور رؤيتها للشيخ ماجد أبعدت الوشاح عن رأسها وقالت:

- ظننتك أمير، حيث إنني طلبت منه الاهتمام بالحديقة الخلفية بعد

انتهائه من عمله.

ثم نظرت إلى جمرة وقالت بدهشة:

- من هذه!

ابتسم وقال:

- ابتنا الجديدة.

نظرت إليه بتعجب لتقول له:

- لم أفهم!

- هذه جمرة فتاة يتيمة تبنيها وستعيش معنا يا مها.

في داخلها الكثير من الأسئلة، لينادي باسم مينا فتظهر خادمة المنزل لطلب منها أخذ جمرة إلى إحدى الغرف المخصصة للضيوف.

علمت جمرة أنه لم يخبر زوجته شيئاً عنها، فتلك الدهشة التي على وجهها توضح جهلها بكل شيء فعله. توجهت مع الخادمة مينا بهدوء



دون أن تنطق حرفاً.. هي لا تستطيع أن تنطق على أي حال، وفور صعودها إلى الطابق الثاني حتى قالت زوجته مها:

- من هذه يا ماجد؟

- أخبرتك، فتاة يتيمة أردت تبنيها.

- لماذا لم تأخذ رأيي على الأقل، قد لا أوافق على هذا الأمر!

جلس على أول مقعد أمامه وقال بعد ذلك:

- صدقيني يا مها، تلك الفتاة عاشت قصة مؤلمة جداً، لا أعلم إن كنت سبباً رئيسياً ببعض الألم الذي تشعر به لكنني أشعر بالذنب، ولأجل هذا الشعور أرجوك اقبلي بها ابنة لك فهي مسالمة.

علمت وقتها أن في داخله أشياء لا يقوى على البوح بها ومن باب معرفتها به ربطت ذلك الذنب بشيء يخص عمله فلم تطلب منه المزيد من التفاصيل لتقول:

- سأحاول أن أقبليها يا ماجد، لأجلك.

ابتسم لها وقال:

- ستحبينها مع مرور الزمن، أنا أثق بذلك.



في الواقع، لم تهتم جمرة لشعور السيدة مها نحوها، فهي منذ طفولتها غير مرحب بها في أي مكان تذهب إليه، لم يكن الأمر غريبًا لتهتم به.

أدخلتها الخادمة إحدى غرف الضيوف وقالت لها:

- هذه غرفتك، استريح إلى أن يجهز الغداء.

كانت تبتسم لجمرة بطريقة لطيفة، رغم عدم معرفتها من تكون أو هل ستعيش حقًا في هذا المكان أم لا، لكنها تنفذ كل ما يقال لها بانصياع وتقبل شديد.

كانت الغرفة تحتوي على سرير مرتفع جدًا لم تشاهد مثله، حيث كان مليء بالنقوش في أركانه. خزانة الثياب كانت زاهية ومريحة للأعين مزودة باللون الأبيض والزهري بطريقة مبهرة جدًا، بينما الجدران كانت باللون الأبيض أيضًا، وكأن هذه الغرفة من عالم آخر بعيد كل البعد عن عالم البؤس والضياع الذي كانت تعيش فيه.

تفحصت كل شيء تقع عليه عينيها غير مصدقة، هل يعقل أن يعيش بعض الأشخاص هذه الحياة المثالية بينما الكثيرون يعتصرونهم الجوع حتى الموت على بعد خطوات قليلة من هنا.



فتحت خزانة غرفتها لتجدها فارغة، لا تعلم ما الذي كانت تتوقع أن تراه، الكثير من الثياب التي تناسب مقاسها وكأنهم مستعدون منذ أشهر لاستقبالها!

سخرت من نفسها، وفي وسط سخريتها دق الباب لتدخل منه بعد لحظات السيدة مها وعلى وجهها ابتسامة لطيفة وقالت لها بينما يديها ما زالت تمسك بمقبض الخزانة المفتوحة:

- يبدو أنك تبحثين عن شيء لارتدائه.

شعرت جرة بالخرج وأمسكت سريعاً بتلك الأوراق التي تحملها معها دوماً وكتبت:

(لدي.. لدي الكثير من الثياب جلبتها معي لكنها في سيارة الشيخ ماجد لم يدعني أجلبها إلى هنا)

أصابته الدهشة ملامح السيدة مها حيث إنها لم تعلم من زوجها أن هذه الفتاة خرساء، فشعرت بالحزن والشفقة على حالها. ما بال المصائب إن تجمعت على شخص لا ترحمه وتقذف في داخله كل سوادها..

خرجت لبعض الوقت من غرفة جرة دون أن تتحدث وسرعان ما عادت لتفتح الباب بأكمله فتدخل الخادمة محملة بثلاث فساتين تناسب مقاسها ومعها كل المكملات من أحذية وجوارب.



تفحصت جمرة تلك الفساتين بعينها لتجدها أشبه بفساتين الأميرات تمامًا، وضعتها الخادمة على السرير برفق لتقول بعدها السيدة لها:
- أخرجت هذه الثياب من خزانة ابنتي ندى، ولكن قريبًا جدًا
سجلب لك ثياب خاصة بك.

ابتسمت جمرة وأومات برأسها إيجابًا لتبدأ الخادمة بمساعدتها قبل موعد الغداء، وبعد نصف ساعة بالتمام أصبحت جاهزة لتشاهد نفسها في المرآة وقد تغير شكلها تمامًا وكأنها ليست هي، بل شبيهة لها تعيش في عالم الأحلام الذي لطالما تمتته.

شعرها الأسود الطويل، بدأت بتسريحه بطريقة تناسب وجهها المستدير، ووضعت لتزينه شريطة صفراء كلون الفستان الذي ترتديه. عندها ابتسمت لتظهر بشكل واضح غمازتيها البارزة، حيث إنها منذ زمن لم تشاهدها بسبب الحزن والهموم التي تكالبت عليها.

كم شعرت وقتها أن كلام الشيخ ماجد صحيح وأن اليوم هو اليوم الأول لحياة جديدة وجميلة تنتظرها. شعرت أن الأمنيات التي نتمنى أن نكون واقعًا قد تتحقق لتعيد لنا روحنا التي تاهت من فرط الحزن.

مشت بخطوات بطيئة للأسفل، حيث مائدة الطعام والتي كانت مليئة بكل ما تشتهيهِ الأنفس. لم تستطع أن تبعد عيناها عن تلك المائدة رغم وصول السيدة مها، وزوجها، وابنائهم ليث، وندى.

بدأ الشيخ ماجد بأخذ مقدمة ليعرفهم على جمرة، ورغم سعادة ندى الواضحة للبيان بوجود فتاة أخرى في المنزل، لم يكن يظهر ليث أي حماس عكس أخيه، بل كان ساخطًا متذمرًا يتمتم قرب والدته رغم محاولتها منعه من إظهار ما في جعبته.

لم تكن جمرة تبالي، فكما قلت مسبقًا لم يكن مرحبًا بها من قبل لتعجب من أسلوبه السيئ تجاهها.

بدأت بالعيش مع هذه العائلة بسعادة غامرة، فكل ما تتمناه تجده أمامها بعد سويقات قليلة من طلبها. لكن الغرابة بدأت تحدث منذ تلك الليلة المشؤومة، حيث فور عودتهم من المدرسة هي وندى، لم يكن ليث معهم فقد كان متعبًا في الصباح فسمحت له والدته بالغياب عن المدرسة.

عند وصولهم مع السائق حسن لاحظوا وجود رجلين تبدو على وجوههم آثار الصلاح والتدين الشديد بينما هناك واحد معهم تعلم من يكون جيدًا. بردائه الأسود وسبحة العقيق الأسود في يده، لقد كان جابر، ذلك الساحر الذي حذرتها والدتها منه. فور رؤيته لها ابتسم ابتسامة مليئة

بالخبت بينما عينيه لم ترمش مطلقًا منذ أن نظرت إليه. نظر إليهم الشيخ ماجد ليعتد عن أولئك الرجال ويقترب منهم وهو يقول:

- ندى، أذهبي أنتِ وجمرة إلى غرفة واحدة معًا إما غرفتك أو غرفتها ولا تخرجوا منها.

قالت ندى سريعًا من باب القصور:

- هل ساءت حالة عمتي مجددًا؟

لكنه لم يجيبها، بل تجاهل سؤالها وابتعد لتمسك بيد جمرة وتذهب معها حيث أمرها والدها.

بدأت باللعب رغم القلق الذي أصاب جمرة من ذلك الساحر، ولكنها بدأت بتهدئة نفسها حيث إن كل شيء انتهى وهي الآن بأمان في منزل الشيخ ماجد، لن يستطيع الإمساك بها مجددًا. لكن ما كان يشغل بالها أكثر منه هو السؤال الذي سألته ندى لوالدها، حول عمتها، ولكن بعدها بدقائق معدودة سمعوا صوت صراخ امرأة يجوب في أرجاء المكان.

شعرت جمرة بالرعب، تلك الصرخات تذكرها بصوت صرخات الأشخاص المستحوذ على أجسادهم من الشياطين عند علاج والدتها



لهم. أرادت بشدة الصعود للأعلى حيث تلك الصرخات رغم محاولة ندى منعها حيث قالت لها:

- والدي أمرنا بالبقاء وعلينا ألا نخرج من الغرفة حتى يأذن لنا يا جمة، هذه قوانين المنزل.

لم تكن تبالي بكل ما قالته لها فتلك الصرخات كانت تزداد رعبًا، أشبه بشخص ينازع لأجل الخلاص من عذاب قاتل. فور أن فتحت الباب ومشيت بخطوات مترددة نحو مصدر الصرخات في الأعلى، حيث كان الطابق الثالث محرم عليها الصعود إليه وقد حذرتها مرارًا السيدة مها منذ أول ليلة جاءت بها للمنزل أنه يمنع على أي أحد الصعود للأعلى مهما كان السبب.

كانت ندى تتبعها وهي ترجوها العودة، ولكنها لم تستجب لها، بل صعدت الدرجات بحذر لتجد أن الطابق الثالث لا يقل جمالًا عن الأسفل، بل قد ينافسه بالجمال، ولكن هناك غرفة في نهاية الممر الذي يواجهها، كان الجميع يقف أمامها بينما أولئك الرجلين الذين ألتقت بهم في حديقة المنزل ومعهم الساحر جابر، تستطيع رؤية رؤوسهم وتستطيع أيضًا سماع أصواتهم وهم يرددون آيات القرآن بينما في كل مرة ينطقون كلمة الجن كان صوت الصرخات يزداد أكثر فأكثر.



لم تفهم ما يحدث، ولم تتمكن من البقاء طويلاً لفهم ما يحدث حيث انتبهت لها السيدة مها والتي فوراً تقدمت نحوها وسحبتهما إلى الأسفل هي وندى وقالت لهما:

- لماذا لا تنفذان ما طلبناه منكم، لماذا أنتم عنيدتان هكذا!

ظنت جمرة أن ندى ستقول شيئاً عنها حيث إنها هي السبب في كل هذا ولكنها فضلت الصمت، رغم نظرات العتاب الواضحة من عينيها لها.

أعادتهم السيدة مها إلى الغرفة مجدداً، ولكنها هذه المرة تأكدت من إقفال الباب لمنعهم من الخروج، لم تفهم جمرة لماذا كل هذا، فكثيراً ما عاجلت والدتها تلك الأجساد ولم تكن تحبسها في غرفة خوفاً عليها. لقد أصابها الفضول فكتبت لندی:

(من يعيش بالأعلى، ويمنع علينا الصعود بسببه)

لم تكن ترغب بالتحدث، ولكن بسبب إصرار جمرة قالت:

- عمتي مياسم.

(عمتك!)



- نعم، عمتي اللطيفة مياسم، في الواقع لا أعلم لماذا تبدل حالها وأصبحت مرعبة جدًا هكذا. حيث إننا قبل مجيئك بأكثر من شهر تقريباً كنا نحضر لزفافها، ولكن أثناء الزفاف أصبحت تضحك بطريقة مرعبة وترقص في أنحاء المنزل والحديقة بفستانها الأبيض بجنون. ثم سرعان ما بدأت بإثارة الرعب لجميع الحاضرين ومنهم زوجها، ولكن والذي أستطاع الإمساك بها.

منذ تلك الحادثة وهي في الأعلى وأصبح شغل والدي الشاغل علاجها، فكل عدة أيام يأتي برقاة من جميع أنحاء المملكة لعلاجها، ولكن دون جدوى.

انضح التوتر على وجه جمرة لتكتب بعدها:

(رغم أنني موجودة هنا منذ قرابة العشرة أيام لكنني لم ألاحظ شيئاً)

- صحيح، لقد كانت حالتها مستقرة في الأيام السابقة وكان والدي يأتي بالرقاة فور ذهابنا إلى المدرسة حتى لا تشعرني بالخوف، ولكن يبدو أن حالتها اليوم قد ساءت وهذا سبب مجيء أولئك الرجال في مثل هذا الوقت.



لا نستطيع جمرة التعليق أبدًا، فبحسب خبرتها البسيطة بهذه الأمور. قد يكون ما أصابها من عاشق أصابه الغضب نتيجة تزويجها أو قد يكون سحرًا تم عمله في نفس ليلة زفافها.

بقوا في تلك الغرفة لساعتين حتى فتح الباب ودخل منه الشيخ ماجد والذي كان وجهه متعبًا جدًّا ومليئًا بالخيبة والانكسار بسبب وضع أخته. وجه كلامه نحو ندى قائلاً:

- هل تستطيعين إعطاءنا بعض الوقت أنا وجمرة بمفردنا يا عزيزتي، اذهبي للاطمئنان على أخيك.

أومات برأسها إيجابًا وخرجت من الغرفة مقفلة الباب وراءها ليجلس ماجد بجانب جمرة على حافة السرير قائلاً لها:

- هل أنت سعيدة معنا يا جمرة، هل تناسبك حياتنا؟

أومات برأسها مبتسمة.

قال بعدها سريعًا:

- في منزلي هناك قوانين يجب أن يتقيد بها كل أفراد عائلتي، وبما أنك الآن واحدة منهم أرجوا أن تفعلي مثلهم. أهم ما يجب عليك فعله هو



الالتزام بأوامري دون جدال، والشيء الآخر وقد أخبرتك عنه مسبقاً،
هو عدم الصعود لأي سبب من الأسباب للأعلى.

صمتت جمره وبدأت حائرة فقال لها راغباً بإجابة واضحة:

- هل أنت موافقة!

أومأت برأسها لبيتسم لها ليعث الطمأنينة في داخلها بعد أن ربت
على رأسها برفق وقال:

- تجهزي للخروج فاليوم سنذهب في نزهة.

ليخرج بعدها تاركاً في داخلها عشرات الأسئلة التي تعمدت تجاهلها
واقفال باب الفضول في وجهها تنفيذاً لأوامر الشيخ ماجد.

كانوا يلعبون طوال اليوم في المنتزه القريب من المنزل، وبعد الانتهاء
تناولوا الغداء في إحدى المطاعم الشهيرة ثم ابتاع لهم البوظة. لقد وقعت
جمرة في غرامها منذ أن تذوقتها لأول مرة.

ثم عادوا للمنزل وهم سعداء رغم تعمد ليث مضايقة جمرة في كل
مرة يكونوا فيها بمفردهم. كان ليث مراهقاً في عمر الرابعة عشرة،
يمتلك وسامة لا مثيل لها وكانت ندى تحب التباهي به أمام زميلاتها في
الصف، حيث كانوا يتقربون منها لأجله.



كانت تشعر جمرة دوماً بالغضب منها فتكتب لها كلما كانوا بمفردهم:
(لو علم أنك تتعمدين التباهي به للحصول على عجة الفتيات
وصداقاتهم لغضب منك.)

ابتسمت بمكر لها وقالت:

- لا يهم إن كان سيغضب أم لا، مادام كونه أخي مفيداً لهذه الدرجة
ماستغله.

من غرابة ما كانت ندى تفعله هي كثرة الوعود لجميع الفتيات، كل
واحدة تستفرد بها وتحبرها بصدق مشاعرها تجاه أخيها لتقول لها
ليث أيضاً أخبرني أنه يحبك وعندما يكبر لن يتزوج إلا بك.

لتبقى تلك المسكينة تعيش في عالم الأحلام تبني بيتاً من سراب
وتزيّنه وعود ندى الزائفة.

مرت السنوات على هذه الحال، وكلما انتهت من مرحلة لتتقل
للدسة أخرى كانت تصرخ بصوت مرتفع لجميع الفتيات:

- أخشى أنني قد كذبت عليكم جميعاً، فالغبي ليث لا يهوى إلا

ثم تركض ممسكة بيد جمره نحو سيارة السائق متجاهلين صراخ
الفتيات ومحاولتهم الإمساك بهم.

كان الأمر ممتعاً في نظرها، ولكن عندما وصل إلى مسامع والدتها
السيدة مها عن طريق إحدى الأمهات التي شكت لها عما تفعله ابنتها.
صرخت في وجه ندى بطريقة أشعرت جمره بالخوف منها:

- منذ متى يا ندى، منذ متى يتحدثون الأطفال عن هذه الأمور
ويزرعونها في أذهان أطفال آخرين، ما بك لماذا أنتِ هكذا؟

لم تستطع الرد، لقد بقيت صامتة رغم منازعة الدموع للخروج من
عينها أكملت والدتها بخيبة أمل كبيرة قائلة:

- لم أتوقع أن تكوني هكذا.

ثم نظرت إلى جمره بغضب وقالت:

- وأنتِ أيضاً يا جمره لقد خيبتني أُملي فيكِ، احتضتِك وقلت بك
كأبنة لي، ولكنك تتجاهلين كل ما فعلته من أجلك أنا وزوجي وتعاونين
على فعلتها.. يا للخسارة.

تلك الجملة التي قالتها كانت كخنجر غرزته في قلب جمره، لماذا
أدخلتها في هذه المقارنة، فهي منذ أن جاءت لم تعتبرها إلا أمًّا لها، ولكن



السيدة مها وإن تظاهرت لا يمكن أن تعتبرها مثل ابنتها والدليل على ذلك ما قالته قبل لحظات.

خرجت ندى من المكان وأقفلت الباب بكل قوة لتبقى في غرفتها لا نعم ما عليها فعله، لقد علمت وقتها فداحة ما كانت تفعله رغم اعتقادها سابقا أنه نوع من الفكاهة لا غير.

حاولت جمرة الدخول عليها، ولكنها لا تجيب لتذهب إلى غرفتها كذلك وقد اغرورقت عينيها بالدموع لتبكي بعدها كالأطفال من فرط الحزن الذي ينهش قلبها. لطالما كانت تحاسب نفسها على كل حركة تقوم بها لكيلا تتلقى مثل هذه الكلمات، لكنها بالنهاية حصلت عليها رغم أن الذنب لم يكن ذنبها.

لقد علمت بأن ليث أصبح يعرف ما فعلته أخته، ومن يدري قد يظن أنها هي أيضًا شاركتها بفعلتها مثلما تهيأ لوالدته. لكنه كان ينظر إليها برود شديد ثم يستمر بتجاهلها كما يفعل عادةً دون أن ينطق أمامها بأي حرف معاتبًا.

شهرين تقريبًا وبدأ بحزم حقائبه استعدادًا للسفر لإكمال دراسته خارج البلاد، وحيث أنه ودع الجميع لكن عندما جاء دور جمرة تردد واضطرب ثم أشاح بوجهه عنها ورحل مبتعدًا.



كان شعور غريب في قلبها لا تعلم ماهيته، فقد ركضت إلى غرفتها
وبكت كطفل لم يتجاوز الثالثة من عمره. أراد قلبها بشدة أن يطلب منه
البقاء، ولكن الكبرياء بداخلها أبي أن يعترف له بالفراغ الذي شعرت به
فور عزمه على الرحيل.

(13)

عودة الشياطين

عند رحيل ليث كان عمره ثمانية عشرة عامًا، بينما جمرة وندى قد تجاوزتا الرابعة عشرة بقليل. كلما كبرتَا أكثر بالعمر كانت ملاحظتهما تصبح أكثر نضجًا وأنوثة، ورغم أن جملهما كان متقاربًا إلا أن النساء اللاتي يرددن إلى منزل السيدة مها كانوا يطلبون ندى لأفضل أبنائهم بينما اسم جمرة لم يكن مذكورًا ضمن أحاديثهم.

لم تكن السيدة مها توافق على هذا الأمر فهي ترفض زواج ابنتها قبل أن تَم الثامنة عشرة فتقول لهم:

- لا بتي أحلام كثيرة، لا أعتقد أن الزواج أحدها في هذه الفترة.

لم تكن جمرة أيضًا ترغب بالزواج، ولكن فكرة ألا يتم ذكرها أبدًا وكأنها شيء خفي لا تراه أعين الجميع أثار الحزن في داخلها. هم يعلمون أنها يتيمة، ولكنهم لا يعلمون أن والدتها ساحرة، وتستطيع أن تؤكد لنفسها بأن السيدة مها كذلك لم تكن تعلم، رغم ذلك لم تتقدم أي امرأة لها. ربما بسبب عدم قدرتها على النطق أو يتمها.

مرت أربع سنوات أخرى وأصبحت أعمارهما ثمانية عشرة عامًا. تمت
- ملكه ندى بعد دخولها الثامنة عشر من عمرها بخمسة أيام من ابن
صديقة السيدة مها والذي كان طبيبًا متخصصًا في جراحة القلب، رغم
أنه لم يتجاوز الثامنة والعشرون من عمره.

كانت ندى سعيدة جدًا به، أولاً بسبب وسامته التي اشتهر بها وثانيًا
بسبب مكانته، فلطالما كانت تطمح أن تكون طبيبة، وزواجها من
شخص ينتمي إلى نفس المجال الذي تحلم به أمر لطيف ومن المؤكد أنه
سيكون متفهمًا جدًا.

تم زفافها في الحادي عشر من شوال وقد صادف حضور أخيها ليث،
وكم كانت جمرة سعيدة عند علمها بزوجعه.

في تلك الليلة ارتدت جمرة ثوبًا حريري أحمر اللون وعقدت من الألباس
كان هدية من السيدة مها، شبيهًا بالعقد الذي أهدته لندى أيضًا.

أرادت السيدة مها أن توضح لها بهذه الهدية أن مكانتها مثل مكانة
ابنتها، بل قد يكون أكثر بكثير.

شمرت بالامتنان الكبير والفرح الذي يكاد أن يخرج منها ليغطي هذا
الامتنان بأذنيه، فاليوم زفاف أختها الوحيدة والتي لطالما أحببتها وتمنت
لها الخير.

تركت شعرها الأسود ينسدل على ظهرها وأبعدت بعض الخصلات من وجهها لتظهر غمازتيها عند ابتسامتها، لطالما أخبرتها ندى أنها تمسدها على هذه الغمازات.

وضعت الوشاح اللؤلؤي على شعرها وبدأت مراسم الاحتفال في المكان. الغناء ورقص النساء وأطفالهن. كان المكان مزدحمًا ومليئًا بشعور البهجة الذي جعل الجميع يبتسم طوال الليل.

في تلك الليلة كانت جمرة مصدر اهتمام الجميع، حيث تساءل الكثير إن كانت مرتبطة فتجاوبهم السيدة مها:

- كلا، لم يأتي نصيها حتى الآن.

عندما كانت مراهقة في عمر الرابعة عشرة كانت تتمنى أن يهتم النساء لها، ولكنها الآن لم تعد تكثرث لكل هذا، حيث إن النضج الذي وصلت إليه أبعد عنها ستائر الأحلام ووضع لها واقعًا واحدًا لا بديل له، أنهما حاولت تزييف واقعها فهي في النهاية من نسل السحرة الذين ينعوذون النساء منهم عند جلب سيرتهم.

تخيلت إن علم زوجها في المستقبل بشأن عائلتها ماذا سيقول لها. قد ينفذ بها بعيدًا عنه بعد أن يغرز في قلبها سهام لعناته عليها وعلى والديها.

جميل جدًا أن يعلم الشخص مقداره لكيلا يسقط من مكان مرتفع
بسبب درجات صنعها بفضل الوهم لا أكثر، هذا ما كانت تؤمن به في
داخلها.

شاهدت ليث ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة لم تعهد لها منه، فقد كان
عبوسًا باردًا يجيد فن التجاهر. بادلته الابتسامة لتظهر تلك الغمازات
التي جعلته يضع أصبعه على خديه موضحًا لها أنها قد سلبت عقله،
أشاحت بوجهها عنه خجلًا، ودخلت إلى المنزل متجهة نحو غرفة ندى
لتجهيزها للخروج فقد اقترب الوقت. عند صعودها للطابق الثاني وفور
اقتربها من السلام المؤدية نحو الطابق الثالث شاهدت امرأة توليها
ظهرها، حيث إنها كانت تنظر للجدار خلف السلم.

اقتربت منها وضربت بالسلم بقوة لتنتبه لها، ولكنها لم تجيبها، بل
ظلت ثابتة تنظر لذلك الجدار في منتصف الدرجات المؤدية إلى الأعلى
صعدت تلك الدرجات حتى وصلت إليها ووضعت يدها ناحية كتفها
ثم كتبت لها:

- أرجوك دعينا نذهب للأسفل، لا يجب عليك التواجد هنا.

نظرت تلك المرأة إليها بتلك اللحظة سريعًا ليقشعر بدنها وتراجع
خطوة وراء خطوة للأسفل حتى سقطت بسبب تعثرها.

كانت تشاهدها وسط ألمها وصرخاتها المكتومة فابتسمت لها ومشيت بخطوات ثابتة عائدة للأعلى. كانت تلك الفتاة تشبه إلى حد كبير المرأة في الصورة، المرأة التي كانت والدتها محاسن تضع الإبر على وجهها في الحافلة قبل إمساكها من قبل الشرطة بساعات قليلة.

فنتحت ندى باب غرفتها ونظرت بطرف عينيها فور سماعها لصوت سقوطها، لتركض نحوها بفستانها الأبيض والذي منعها من التحرك بأريحية.

ارتكزت عليها وقدمها اليسرى تؤلمها كلما حاولت وضعها على الأرض فكتبت لها فور جلوسها على طرف السرير:

(يبدو أن قدمي قد أصابها التواء بسيط)

أخرجت ندى مرهمًا من إحدى الأدراج ووضعتة على قدمها فألعدتها جمرة سريعًا وكتبت لها:

(لا تفعلي ذلك، لا أرغب بأن يتلوث فستانك الجميل بالمرهم،
أتركيني وتجهزي الآن)

قالت ندى بغضب:

- لماذا من الأساس صعدتي تلك الدرجات، ألم يخبرك والدي أن
ذلك المكان ممنوع علينا؟

فكتبت لها جمرة:

(لم أذهب، ولكن...)

ثم توقفت عن الكتابة حين شعرت بالحيرة عن كيفية تبريرها لما حصل لها. بدأت ندى بتدليك قدميها بيديها وقالت:

- ولكن ماذا؟

لتكتب بعدها على ذات الورقة:

(لا شيء انسي الأمر...)

فتح الباب لتدخل منه السيدة مها ويدها حامل للبخور لتخبره ابتها ومعها الخادمة مينا. فور رؤيتها لجمرة وهي مستلقية وتئنم أثر ذلك الخوف فيها حيث قالت موجهة سؤالها لندى:

- ماذا حصل لجمرة؟

نظرت ندى نحو أختها لتهز رأسها كرجاء على عدم إخبارها ما حصل فقالت:

- لا شيء، يبدو أن قدمها قد آلمتها بسبب ذلك الحذاء المرتفع حيث إنها لم تعتد على هذا النوع من الأحذية.



تنهدت السيدة مها تعبيراً عن راحتها وقالت:

- كدت أسقط من خوفي، ارتاحي عزيزتي لا ترهقي نفسك.

ثم بدأت بتجهيز ندى حتى أصبحت تبدو كأمية صغيرة، نزلت معها إلى الحديقة وسط غناء النساء ودقات الطبول ليستقبلها زوجها معودة بابتسامة ساحرة.

كانت جمرة تستند على أثاث غرفتها للوصول إلى النافذة لمشاهدة رقتها، عند مشاهدتها لأختها شعرت بالسعادة تغمرها رغم شعورها بالألم في كاحلها.

لم يقاطع نظراتها نحوها سوى صوت قرع الباب المتواصل بهدوء شديد. شعرت بالخوف في تلك اللحظة حيث إن الجميع خارجاً ولا يمكن أن يكون هناك أحد في المنزل بهذه اللحظة.

تذكرت سريعاً تلك المرأة وما حدث معها قبل لحظات وهمست داخل نفسها برثاء شديد عليها:

- يبدو أن الماضي لن يكون ماضياً بعد الآن.

تسارعت نبضات قلبها، ولكنها لم تفتح الباب، في تلك اللحظة زادت الدقات بشكل مربع لدرجة شعرت أن الباب قد يسقط فسقطت على الأرض ووضعت يديها الاثنتين على أذنيها وهي تردد داخل نفسها:

(هم جبناء يا جرة، جبناء يجيدون صنع الوهم، جبناء يجيدون صنع الوهم، جبناء يجيدون صنع الوهم...)

أصبحت تردد هذه الجملة داخلها دون صوت لتبعث القليل من السكينة في قلبها الذي يرتجف هلعًا ليتوقف بعدها صوت الطرقات وعاد الهدوء مجددًا للمكان سوى من غناء النساء خارجًا.

لم تقدر بتلك اللحظة على فتح الباب أو عمل أي شيء سوى الذهاب إلى أبعد نقطة عن الباب واللجوء إلى زاوية الغرفة مثلما كانت تفعل في صغرها حتى ينتهي هذا الكابوس.

انتهت زفة ندى، تستطيع معرفة ذلك من هدوئهم وتعلم جيدًا أنهم بهذه اللحظة بدأوا بمرحلة توديعها، كم تمنّت أن تودعها معهم، ولكن خوفها من الخروج منعها.

انتهت الليلة لتدخل الخادمة مينا لتنظيف الغرفة وفور أن وجدتها في زاوية المكان قالت:

- ما بك، لماذا أنت جالسة هكذا؟

لم تعد تقوى على الكتابة لتشرح لها فكل ما فعلته أنها نهضت من مكانها وذهبت إلى غرفتها لتقفل الباب على نفسها وتستلقي في سريرها لتعط في نوم عميق.

مريومان على ذهاب ندى إلى منزل زوجها وكما قالت السيدة مها أنها هذه الليلة ستأتي لتناول العشاء ثم ستذهب في رحلة شهر العسل إلى مصر.

كانت تحدث جمرة كثيرًا عن مصر وعن مدى تطورها، ولكن الأخيرة لم تستطع زيارتها إلى الآن فكتبت للسيدة مها:

(كم أتمنى أن أذهب إليها يومًا ما)

- سنفعل ذلك قريبًا، فقد وعدني والدك بالذهاب في جولة لثلاث دول بعد عدة أشهر ومن ضمنها مصر.

ابتسمت جمرة لها وكتبت لها بحماس:

(سمعت أن الفساتين هناك جميلة وذات تصاميم مميزة)

- أعطيت اختك بعضًا من المال وأوصيتها إن شاهدت أي شيء بينك يجب أن تجلبه معها.



لكتبت لها:

(حقًا؟ وماذا عن الكتب؟)

ضحكت وقالت ممازحة لها:

- حسنًا إذا، يجب علي إخبارها أن تلغي فكرة شراء الفساتين وتجلب

لجمرتي الكثير من الكتب.

كتبت لها جهرة:

(ألا تستحق جهرة الإثنتين الفساتين والكتب يا سيدة مها)

اتضح الحزن على ملاحظتها بسبب تكرار جهرة لاسمها فقالت سريعًا

قبل رحيلها:

- مثلما تريدن عزيزتي.

تعلم جهرة جيدًا شعورها فلطالما كان وجهها يتبدل للحزن كلما
كتبت اسمها بدلًا من كلمة والدتي، في السابق كانت تتمنى أن تعاملها
السيدة مها كابنتها، ولكن ذلك لم يحصل والآن عندما تعودت على كلمة
"سيدة" تبدل الحال لتشعر الأخرى بالحزن منها. في جميع الأحوال، هي
لا تستطيع أن تنطق بهذه الكلمة لأحد غير والدتها الحقيقية.



فمهما فعلت لها السيدة مها لن تستطيع فعل نصف ما فعلته من أجلها
تلك الماكثة تحت التراب.

جاءت ندى وزوجها، حيث كانا يتحدثون كثيرًا عن كل شيء يدور
في عقولهم، كانت جمرة سعيدة وهي تقص عليهم عن طريق أوراقها
ذكر بانها مع ندى. بينما ليث كان ينظر لها بإعجاب شديد وكلما ابتسمت
ينسم دون شعور منه.

غريب هذا التغيير فيه حيث إنه قبل رحيله كان سعيدًا بالخلاص من
الظر لوجهها والآن لا تكف عينيه عن تأمل تفاصيل وجهها الذي لطالما
شعرت أنه كان مصدر بؤس له.

رحلت ندى برفقة زوجها وهمست لجمرة قبل رحيلها:

- سأجلب لك كل ما تشتهييه نفسك فأنا أعرف ذوقك لا تقلقي.

انسمت لها وكتبت:

(سأنتظر مجيئك بفارغ الصبر، لا لأجلك، بل لأجل تلك الأشياء
التي ستجلبينها معك)

- يا لك من وقحة يا جمرة!



ثم حضنتها ورحلت في طريق سعادتها، بتلك اللحظة قال لها الشيخ
ماجد:

- سيأتي دورك مثلها عزيزتي لتنعمي بسعادة أبدية مع من اختاره لك
قدرك.

ابتسمت وكتبت:

(وهل هذا يعني أن أتركك؟ لا يمكن أبدًا)

ضحك وقال:

- إذا سنطلب من زوجك أن يعيش هنا معنا ما رأيك؟

بتلك اللحظة وجه ليث كلامه لوالدته وقال لها:

- احتاج إلى التحدث معك على انفراد..

ليذهبوا إلى إحدى الغرف ولم يمر سوا القليل من الوقت لتخرج
السيدة مها وعلى وجهها سعادة الكون بأكملها وهو كذلك لم يكن أقل
سعادة منها. انتاب جمرة الفضول لمعرفة ما قاله، ولكنها فضلت التظاهر
بعدم الاهتمام وذهبت إلى غرفتها.



بدأ الجميع بالتوجه إلى غرفهم أيضًا، والمترل الذي كان قبل لحظات
مينا بأصوات ضحكاتهم ونقاشاتهم أصبح ساكنًا لا صوت فيه. كانت
هرة تقلب في سريرها وهي تفكر بتلك الفتاة التي شاهدها والتي تشبه
بل حد كبير فتاة الحافلة.

شعرت بالخوف من فكرة أن تكون هذه رسالة منها لتعلمها بأن
لانتقام قد حان موعده.

في عمق تلك الأفكار التي تجوب عقلها سمعت صوت طرقات على
الباب فظنت أنها السيدة مها:

فوجهت لفتح لها، ولكن فور أن فتحت الباب لم تجد أحدًا، لا أحد
سوى تلك الإنارة بجانب السلام تنطفئ وتشتعل بطريقة لم تعهدها.
نوحته نحوها لإقفلها تمامًا، ولكن شعرت عندها بأن عين أخرى
تراقبها لتنظر للأعلى باتجاه سلام الطابق الثالث فتجدها تنظر إليها وعلى
وجهها ابتسامة كابتسامة الشياطين.

شعرت أنها على وشك الموت، ولكن عقلها يهمس لها أن هذه الفتاة
تكون مياهم عمة ندى وليث. في ظل أفكارها ما زالت تلك المرأة تنظر
إليها والابتسامة مرسومة على وجهها ثم قالت بصوت أجش مليء
بالحزن:

هرة منذ زمن لم نلتق يا جمرة..

شعرت بروحها تود الهرب من هذا الجسد لأبعد مكان عن هذه البقعة، ولكنها تمالكت نفسها وأمسكت قلمها المعلق على رقبتها وحزمة الأوراق التي أصبحت ترافقها في كل مكان وكتبت:

(تعلمين من أكون!)

كانت تكتب لها وتقرب خطوة وراء أخرى منها رغم الرعب الذي يسري بداخلها، ولكن تأنيب الضمير الذي تعيشه كان أضعاف الخوف الذي تشعر به فتغلبت عليه للحظات فقط.

فور أن اقتربت منها ولم يكن يفصل بينهم عدا خطوة واحدة لا أكثر كتبت لها بينما الأخرى تراقبها بصمت:

(كيف أستطيع أن اخلصك من كل هذا العذاب)

ابتسمت بطريقة أكثر عمقا لتظهر أسنانها بأكملها ثم سرعان ما رددت نفس التهويذة اللعينة التي لم تخرج من ذاكرتها يوما لتذكرها به:



نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

من قتل لأجلك سبعون جان

في بحر يملأه الجفاف

قد لوثته دماء العمام

فمن همام ومن عمام

هم أسياذ المكان

نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

يما تردد تلك التهويذة ووجهها مبتسم بالكامل كانت الدموع
ساقط من عينيها بطريقة غريبة جدًا، وكأن هذه الروح المنكوبة تطلب
منها العون.

لم تستطع فعل شيء في تلك اللحظة لها وهي تشاهد الشيطان همام
ودمًا بابتسامته المشقوقة من تلك الغرفة.



كان يمشي بخطوات الواثق ومن خلفه الشيطانة خاتمة وذلك الطفل ابن الشياطين الملعون ذو الدمية مقطوعة الرأس ليلاس.

رجعت للوراء خوفًا وهلعًا وفي كل مرة تخطو بها خطوة للوراء تجدهم يتقدمون ثلاث خطوات باتجاهها، بينما تلك المرأة مياسم ما زالت تردد هذه التهويده بصوت كفحيح الأفاعي.

خطوة وراء أخرى للأسفل بينما تلك الفتاة ثابتة في مكانها وتلك الشياطين تقترب منها ثم ما إن خطت جمرة خطواتها الأخيرة نحو آخر درجة للطابق الثاني حتى تلبست الثلاث شياطين جسد مياسم لتبدل نظراتها الباكية إلى نظرات مليئة بالشر، ثم سرعان ما تتجه نحو جمرة بسرعة مربعة حبيًا على أطرافها الأربع، ظهرها للأسفل ورأسها مقلوب للأعلى.

كان منظرًا تقشعر منه الأبدان وكأنه قد تم سحبه من الجحيم ليرتكز أمام عينيها.

حيث كانت تنظر نحو جمرة بنظرات مربعة جعلت الأخيرة تتصنم في مكانها من شدة الهلع، وفي اللحظة التي كادت أن تصل إليها حتى سمعت صوت ليث بجانب غرفتها قائلاً:

- ما بك تقفين هكذا!

نظرت ميا سم نحوها نظرة أخيرة قبل أن تنهض من مكانها وتركض بطريقة جنونية إلى الأعلى.

لم تستطع أن تزيع نظرها عن تلك السلام رغم اقترابه منها ومحاولة
بهم ما يحصل لها. أصابه الفضول فنظر لنفس النقطة التي كانت تنظر
إليها فلم يجد شيئاً، ثم سرعان ما استجمعت القليل من طاقتها المتبقية
وقالت له بكلمة بالقوة خرجت من فمها وبحروف متقطعة:

- اعتذر

بتعجب شديد نظر إليها وقال:

- لقد تحدثتي!

بتلك اللحظة وضعت يدها على فمها وكأنها غير مصدقة لما حصل
ما، هل فعلاً ذلك الصوت الذي ظنته رحل للأبد برفقة والدتها قد عاد
محدداً شوقاً لها.

لم يعطها القليل من الوقت لاستيعاب ما حصل لها فقد ركض إلى
غرفة والديه ودخل عليهم دون أن يطرق الباب حتى وهو يصرخ
سعادة:

- إنها جمرة، لقد نطقت أخيراً.

تلك الليلة كانت أجمل ليلة تحصل العائلة عليها، وقد فاقت فرحتهم ليلة زفاف ندى. حيث تواصلت السيدة معها مع ابتها في مصر وهي، تستطيع الانتظار وأخبرتها ما حصل:

- أخبرتك لقد تحدثت، أخبرنا ليث بذلك.

- هل نطقت أمامك؟ كيف يكون صوتها؟ أرجوك أعطها الهاتف أرغب بسماعه..

في الواقع جميعهم يحاولون معها للتحدث مرة أخرى، ولكنها ظنت صامته غير مصدقة لكل ما حدث لوقت طويل جدًا ثم سرعان ما قالت - أرغب بالنوم، أرجوكم اعذروني.

تلك الجملة الوحيدة التي سمعها الشيخ ماجد والسيدة معها وهم كانت سعادة الأخيرة كبيرة جدًا بينما الشيخ ماجد ظل ينظر نحو جمرة بشك وريبة في ذات الوقت دون أن يبدي أي شيء يذكر.

لم تعد تحتاج كومة الأوراق التي تحملها معها لكل مكان تذهب إليه، لقد عاد صوتها الذي افتقدته كثيرًا. رغم ذلك، لم تكن سعيدة حيث إن ذلك الصوت لم يعد من فرط سعادتها، هرب منها بسبب قمة الهلع التي شعرت به عند وفاة والدتها ليعود ذلك الهلع إليها الآن مضاعفًا برفقته.

ما بال هذه الحياة يا جمرة، لماذا تصفحك كلما ابتسمت لك لشواني
قليلة. تلك الشياطين قد عادت، لتحصل عليك مثلها وعددها والدك قبل
ثمانية عشرة عامًا. هي لا تنسى، لا تنسى الوعود أبدًا، ولا تنسى حقوقها
وإن مرت السنوات، وإن نسي صاحب الوعد وعده.



(14)

ليلة زفاف مياسم

قبل سبعة أعوام وليالي قليلة كانت تقف أمام المرأة، تنظر إلى جملها الذي لطالما عشقه وتهافت عليه الجميع.

لطالما وصفت بالملاك، وكم تمت تبديل اسمها لذلك الاسم لكن أخيها ماجد يرفض قائلًا:

- مياسم هو اسم جدتك، ولن يرضى والدك عنك في قبره إن علم بتغييرك له، ارضي بنصيبك يا مياسم ليرضى عنك.

شعرت بالغضب من تحكم أخيها بكل تفاصيل حياتها، رغم أن هنالك أيضًا من يشعر بذات الغضب بسبب اهتمام هذا الأخ بأخته.

هذه هي الحياة هكذا لا أحد يرضى بنصيبه رغم أنه قد يكون سببًا لإثارة الغيرة والحسد في نفوس الآخرين.

بعد عدة أيام فقط سيكون زفافها، من صديق أخيها حازم، والذي شعر وقتها بالفخر لفوزه بها. فقد تقدم لها الكثير من الرجال، ولكنها كانت ترفض بلا سبب رغم كمالهم، ولم يكن يفعل أخيها شيئًا عدا أنه يستجيب لما تطلبه فيرفضهم بدوره.



تكفل ماجد بدفع مبالغ طائلة تحضيرًا لليلة زفافها رغم رفض زوجته لما يفعله حيث قالت له:

- لما نصرف من أجلها كل هذه الأموال التي لم تدفع ربعها في زفافنا؟

نظر إليها بغضب، ثم سرعان ما قال:

- هذه أموالها يا مها، وهل نسيت أن ورثها أمانة عندي!

- لكن منذ متى وأهل الفتاة يدفعون لها عند زفافها، بل من المفترض أن يتكفل زوجها بكل شيء.

نهض من مكانه وأراد الصراخ في وجهها لعلمه بشعور الحسد الذي يبعث منها تجاه أخته، لكنه صمت لوقت قليل ثم قال ساخرًا:

- أشعر أن تجهيزات الزفاف لا تليق بمياسم، لذلك أفضل أن ادفع صنف هذا المبلغ ليكون كل شيء ملائمًا لها.. وسيكون هذا المبلغ هدية مني، لن أمس نصيبها من الورث أبدًا وإن كان لأجلها.

نهضت بدورها ونظرت نحوه نظرة غاضبة، لكنها لم تقل شيئًا، بل دمت للأعلى، ولكن قبل ابتعادها بخطوات قليلة أضاف قائلاً:

- في طريقك، أخبري مياسم أني أريدها، أظن أن الوقت قد حان لنسائها ورثها يا عزيزتي.



قبضت على يدها بكل قوتها من شدة الغضب، ولكنها سرعان ما ابتسمت وأدارت وجهها نحوه وقالت ببراءة:

- أحسنت، هذا حقها وكان عليك منذ البداية أن تعطيها إياه، سأخبرها بذلك لا تقلق.

فور رحيلها شعر بشعور غريب، تناقض زوجته الذي ظهر فجأة أمامه، هو يعلم أن مها لا تحب أخته أبدًا، وتلك الأخت أيضًا كانت تبادله شعور الكره.

شعور مها تجاه مياسم، كان له سبب قوي وهو الغيرة والحسد. فهذه الزوجة لم تكن تتلقى الدلال في منزل والدها ولم تتلقاه أيضًا في يوم زفافها. فلم يدفع ماجد عليها الأموال التي يدفعها الآن بسعادة لأجل أخته.

فمياسم، تلقت الدلال في منزل والدها ومع أخيها وستلقاه أيضًا في منزل زوجها. حيث إن حازم يعد من أفضل الرجال وأكثرهم ثراءً.

كان ماجد يتمنى أن يكون حازم زوج أخته، وها قد حصل ما يريد، لا يفصل بين زفافهم سوى أيام معدودة.



نوجهت منها نحو غرفة، بل أقصد جناح مياسم وطرقت الباب
لفتح لها الخادمة سهير، تلك الخادمة كانت مخصصة لخدمة مياسم فقط
ولا تستمع لأي أمر يصدر من غيرها.

- أهلاً، يا سيدة مها ماذا تريدين؟

- أرغب برؤية مياسم، أفسحي لي الطريق.

قالت رغم توترها:

- الآنسة الآن تقيس فستان زفافها، الرجاء القدوم في وقت آخر.

شعرت بالغضب وأبعدتها بكل قوة بيدها لتدخل فتجد مياسم تتأمل
المرأة وعلى وجهها ابتسامة مليئة بالثقة، ولكن فور رؤيتها لانعكاس مها
على المرأة التي أمامها عبس وجهها وقالت:

- ألا تعلمين ماهي آداب الدخول!

- أخبرني أخاك أنه يريد رؤيتك في الأسفل.

نظرت إليها مياسم في تلك اللحظة وقد صنعت على وجهها ابتسامة
ساحرة وقالت:

- كان بإمكانك إخبار سهير بهذا الأمر، وهي بدورها ستخبرني..
مستعطني ما جتني لأجله والآن رجاء أخرجني من جناحي.



كاد قلبها في تلك اللحظة أن يحترق من فرط الغضب، ولكنها
رسمت على وجهها ذات الابتسامة وقالت:

- مثلما تريدن يا جميلة.

قبل رحيلها وعلى غفلة من ميا سم وخادمتها سهر التقطت صورة
لها قد وضعت على الطاولة بجانب الكثير من الثياب وخرجت سريعاً
بعد أن أخفتها بين يديها.

كان الغضب والحقد قد أعمى بصيرتها رغم أنها لم تكن كذلك من
قبل، ذهبت إلى إحدى الساحرات التي سمعت عنها في إحدى تجمعات
النساء.

لقد تناست دينها، وقد قذفت كل مبادئها بعيداً لأجل إشباع سواد
قلبها. توجهت إلى القرية برفقة سائق أختها وفور وصولها إلى المكان
المنشود طرقت الباب ليفتح على مصراعيه في ذات اللحظة مرحباً بها.

كانت تنظر لفناء ذلك المنزل والذي كانت تفوح منه رائحة كريهة
جداً، تفوق رائحة العفن المتشرب في أزقة القرية بأكملها.



حاولت منع ملاحظتها من إظهار التقزز الذي تشعر به داخلها،
واظهرت ابتسامة مصطنعة فور رؤيتها لامرأة تجلس في زاوية الفناء
وبجانبيها نار مشتعلة. لتقول لها:

- أعذريني على دخولي دون إذن، ولكن..

قاطعتها تلك المرأة قائلة:

- إذا أتيتي يا مها، لإرضاء شرور نفسك.

شعرت مها بالرهبة فور نطقها لاسمها، لتقول لها المرأة:
- اجلسي.

لم تقوى على الجلوس من شدة الرعب، فصرخت عليها:
- أخبرتك أن تجلسي!

كانت ترتعش، لكنها فعلت ما قالته تلك المرأة وقالت:

- سيدة محاسن، سمعت عنك الكثير وأرغب بطلب المساعدة منك.

ابتسمت محاسن ابتسامة شيطانية وقالت رغم علمها:

- وما هو نوع المساعدة!

- أرغب بالقيام بعمل لأخت زوجي، تدعى مياسم، في ذات الليلة
التي ستزوج بها.. أي بعد ثلاثة أيام.



- ولماذا؟

تلعثمت مها، حيث إنها لم تتوقع هذا السؤال من تلك الساحرة،
فالسحرة يفعلون ما يأمرهم به مقابل المال على حسب ظنهم لتقول:

- لقد جلبت معي الكثير من النقود، وإن لم تكن كافية سأجلب
المزيد.

أخرجت بتلك اللحظة حزم كثيرة من حقيبتها حوالي عشرون ألف
ريال، لكن ما زالت محاسن ترغب بمعرفة إجابتها لتقول:

- لكنك إلى الآن لم تخبريني عن سبب فعلتك هذه، رغم التزامك.

- لماذا ترغبين بمعرفة دوافعي!

- لست أنا، في الحقيقة هم الذين يرغبون بأخذ الإجابة منك، رغم
معرفتهم بأسبابك.

علمت وقتها من تقصد به (هم) لتجيب:

- كل الأمنيات التي تمنيتها، تكون تحت قدميها، تعيش حياة لا
تستحقها، لا أقوى على تحمل هذا الشعور الذي يزداد يومًا بعد يوم داخل
قلبي.. أرغب بالخلاص.



- نرغب أن تذوق العذاب للخلاص من ذلك السواد الذي يتغلغل

حس؟

- صحيح، قد أعيدها لو عيها في المستقبل، لكني الآن أرغب أن

تكون القليل فقط من سوء القدر وبشاعته.

ميصيبيهم الله بذات الحزن الذي ملؤنا به.

جاءت الليلة المنشودة والتي ينتظرها الكثيرون لرؤية ما سيتم تقديمه لمياسم أخت الشيخ ماجد.

رغم ثراء المدعوين، لكن هذا الرجل وأخته كانا يجبان إظهار المال في كل شيء يقومان به، مما جعلهم مصدر اهتمام للجميع.

نظرت للمرأة بعد أن انتهت من تزيينها وبجانبتها ابنة أخيها ندى والتي قالت لها:

- أنت جميلة جدًا يا عمتي، تبدين كالأميرات.

ربت على رأس ندى وهمست لها:

- لكنني متأكدة، في يوم زفافك عندما تكبرين ستكونين أميرة تفوقني جمالاً، أنتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر يا أميري الصغيرة.

دخلت بتلك اللحظة مها، وقالت:

- استعدي، فزفتك ستبدأ بعد دقائق.

لم تجبها، بل نظرت سريعاً للمرأة لتبحث عن أي غلطة قبل خروجها للجميع لكنها لم تجد سوى الكمال الذي أضفى على هذه المرأة حسناً



فأصبحت كلوحة تم رسمها على يد أمهر الرسامين في العالم. ابتسمت بثقة وقالت لسهير:

- أخبرني الجميع أنني سأخرج الآن.

كان التوتر يتضح على وجهها والتي تنتظر أن يظهر تأثير ما قامت به تلك الساحرة عليها، ولكن لا يبدو أن هناك شيء سيحدث فشعرت بالغضب وتمتعت لنفسها:

- هل يعقل أن تلك الساحرة لم تفعل لها شيئاً، وتلك الأموال ذهبت أدراج الرياح!

بدأت الأغاني تعزف في القصر ترحيباً بمياسم بينما زوجها حازم وأخيها ماجد ينتظرانها في الحديقة ومن حولهم ألسن النساء التي لا تصمت لحظة واحدة. لتقول واحدة منهم:

- يا لجمال الشيخ ماجد، كم أحسد لها عليه.

- لا تستحقه، لكن أنظري إلى زوج مياسم يفوقه وسامة، لكنها فعلاً تستحق.

فور وصولها للحديقة وانبهار الجميع بها بمن فيهم زوجها حازم والذي ابتسم لها، بينما أخيها دمعت عيناه تعبيراً عن سعادته لرؤية أخته أخيراً بثوب الزفاف.



توقفت فجأة وأصبحت تنظر للأرض وتصدر أصواتًا غريبة
ومرعبة، حاولت سهرير الاقتراب منها لمعرفة سبب توقفها، ولكن قبل
أن تلمسها نظرت مياسم إليها نظرة مرعبة جعلتها تبتعد بخطوات خائفة
إلى الوراء.

ما زال صوت الأغاني والعزف منتشر في المكان، لتنظر أخيرًا نحو
زوجها بابتسامة مرعبة جعلته يفقد ابتسامته وينظر إليها بصدمة، بدأت
بالرقص بتناغم مع الأغاني الشعبية، كان تناغمًا جنونيًا أشبه بما يكون
رقصًا للشياطين عند ليلة التحضير.

كان جسدها يرتفع شيئًا فشيئًا ثم يعود مجددًا للأرض وهي ترقص
وتحرك شعرها في كل الاتجاهات بطريقة جنونية، لتحاول سهرير إيقافها
وسحبها للداخل وبدلًا من استجابتها لخادمتها هجمت عليها بطريقة
شرسة جدًا جعلت الجميع يرحل من المكان خوفًا منها.

حاول أخيها ماجد تهدئتها لكن دون جدوى، لم تكن مياسم الرقيقة
التي يعرفها. بل إن قوتها تعادل قوة عشرات الرجال في ذات الوقت.

كل تلك الأشياء تحدث أمام نظر زوجها والذي سرعان ما أمسكت
والدته به وقالت له:

- علينا الرحيل، هذه الفتاة مجنونة.



صرخ عليه ماجد:

- تعال يا حازم وساعدني في إمساكها.

ولكن الأخير بعد أن خرج من صدمته قال لصديقه:

- اختك لا تنفع لي، اختك لن أتزوجها.

ثم رحل مع عائلته هاربًا من المكان، تاركًا صديقه ينازع صدمة الخذلان الذي حصل عليها وصدمة هذا الجسد الذي لا يهدأ.

كل تلك الأشياء تحدث أمامها والتي كان خوفها حقيقياً باستثناء ادعائها الخوف على مياسم بطريقة متقنة جدًا.

حاول ليث مساعدة والده بإمساك عمته وإبعادها عن سهير لكن في تلك اللحظة أمسكت والدته وقالت له:

- لا دخل لك، لا تلمسها!

لكنه لم يستجب لها، بل أبعداها بكل قوته وركض ليساعد بتهدة عمته، تعاون الاثنان لإبعادها وبالفعل نجحوا بذلك ثم سرعان ما بدأ الرجال بالدخول بعد أن نهضت سهير رغم ما تعانيه وقذفت بوشاح أسود على رأس مياسم لتتم السيطرة عليها وتسقط مغشياً عليها.



ذلك الموقف رغم فضاحته لم يشف قلبها الحاقدا بعد، بل أرادت مزيد والمزيد. فكلما تقول اقرب الفرج وسأتححرر من شرور نفسي حتى تشعر بذلك السواد يزداد شيئاً فشيئاً إلى ما لا نهاية.

انتهى كل شيء وتم الإقفال على مياسم في غرفتها بعد تقييدها. ثم قل ماجد للخادمة سهر

- ابقى معها، فهي لا تشعر بالأمان سوى معك.

كان يجلس على مقعده في غرفة القراءة ويتضح على وجهه التوتر.

اقربت منه زوجته وقالت له:

- ماذا سنفعل الآن، لقد فضحنا ولقد انفصلت اختك في ليلة زفافها.

- اصمتي!

- أتوقع أن أختك تعاني من الجنون.

نهض واقفل بيده فم زوجته ليقول لها:

- لا تنطقي شيئاً، لا تنطقي بأي شيء الآن فأنا لا احتمل.

ثم خرج نحو غرفة أخته وفتح الباب ليجدها نائمة وبجانبيها سهر
فقال لها:

- هل استيقظت؟

- كلا، ما زالت نائمة.

اقترب منها ليضع يده على رأسها، ولكن فور أن لمس يده رأسها
حتى فتحت عينيها باتساع وقالت بصوت غريب ممزوج بعدة أصوات:
- أخرج من هنا.

علم وقتها ما يحدث لأخته، فهذا ليس صوتها، بل هو صوت شيطاني
متلبس بها، أي أن ما يستحوذ على جسدها ليس شيطانًا واحدًا، بل
العديد منهم.

إن كان ذلك الشيطان (عاشقًا) فهو لن يسمح باستحواذ شياطين
أخرى على جسدها. الشياطين العاشقة تحب التملك، إذًا فهذا الذي
داخلها ليس شيطانًا عاشقًا!

كل تلك الأشياء جاءت داخل عقله فور سماعه لصوتها، ليقول:

- لماذا أخرج من هنا، هل تخافون مني!



مرعان ما تحولت نظراتها الغاضبة إلى ضحكات ساخرة لتقول له:
- نحن لا نخاف، بل نستمتع بهذه اللعبة حتى نمل منها ونرحل.

- منى نرحلون!

- بعد أن نقتل صاحب الجسد.

شعر ماجد بالغضب من تهديد تلك الشياطين له بقتل أخته. ليمسك
إسما بكل قوته ويتلو الكثير من الآيات في محاولة منه لطردهم.

لم تكن تلك الشياطين تصرخ، أو تظهر ألماً رغم تيقنه من شعورها
به، بل كانت ترسم على وجه ذلك الجسد الذي امتلكته نظرات السخرية
لا أكثر.

شعر باليأس، ليخرج من تلك الغرفة نحو حديقة منزله، وفور
وصوله إلى بقعة خاوية صرخ بكل قوته تعبيراً عن شعوره بالعجز وقلة
الجد.

كانت تنظر إليه من نافذة غرفتها في الطابق الثاني، رغم شعورها
بشفقة على حال زوجها فهو والد أبنائها رغم كل شيء، لكنها لم تشعر
بالندم آنذا.. بل أرادت لذلك الجسد المزيد من العذاب.

أصبحت كمن يشرب من ماء البحر أملًا بإرواء ظمئه، ولكنه ما زال عطشًا يتوق للمزيد.

جلب ماجد لها الكثيرون لعلاجها.. لكن دون جدوى. ظل متماسكًا حيث كان يذهب إلى عمله ويأتي بعدها لمتابعة حالتها التي تزداد سوءًا يومًا بعد يوم.

في تلك الليلة كانت تراقبها الخادمة سهير ككل يوم، ثم سرعان ما غفت على الكرسي المتحرك الذي كانت تراقبها منه.

صحت على صوت همسات بجانب أذنها تقول لها:

- سهير، انهضي يا سهير.

فتحت عينيها لتجد مياسم واقفة أمامها تنظر إليها بنفس النظرات الشيطانية في يوم زفافها. ثم نظرت إلى سريرها لتجد الحبال التي كانت تقيدها قد أتلقت بالكامل.

قبل أن تستوعب كل ما يحدث أمسكتها يد مياسم من رقبتها لترتفع عن الأرض بينما كل محاولاتها للإفلات من يدها كانت دون جدوى.

لحظات بسيطة فقط لتلفظ سهير أنفاسها الأخيرة وتصعد روحها إلى السماء. رمتها على الأرض جثة لا تتحرك وذهبت إلى المرأة لتشاهد



نفسها، ثم شاهدت وشاح زفافها فوضعتة على رأسها وبدأت بالحركة أمام المرأة بطريقة عشوائية جدًا.

كانت الشياطين تتأمل هذا الجسد وكأنه دمية بين يديهم. في لحظة تأملهم لجسدها وملاحمها خرجت امرأة من العدم، ترتدي وشاح أسود وعينها سوداء بالكامل، لقد كانت الشيطانة خاتمة.

اقتربت من مياسم لتجلس الأخيرة على الكرسي أمام المرأة وبجانبيها الكثير من مساحيق التجميل ثم بدأت الشيطانة بوضعها على وجه مياسم والتي تحول وجهها الضاحك لوجه مليء بالرعب، كانت تبكي بينما تلك الشيطانة تضع لها مساحيق التجميل وهي تدندن بأغنية سمعتها في يوم زفاف مياسم.

هؤلاء الشياطين ملئين بالخبث، كلما سنحت لهم الفرصة بتعذيب الأجساد الذين يستحوذون عليها لا يترددون أبدًا. يجعلون الروح لبعض الوقت تعود لوعيتها فتشاهد رعبًا كالجحيم ويتلذذون بشعور الخوف الذي يصيبهم في تلك اللحظات ثم سرعان ما تذهب الروح لسباتها فنعود فهم السيطرة الكاملة على الجسد المنكوب.



جاء صباح اليوم التالي لينهض الجميع ويتفاجؤوا بجثة الخادمة سهير معلقة على إحدى ثريات المنزل بواسطة ذات الحبل التي رُبطت به مياسم.

كان الأمر مرعباً للجميع بمن فيهم مها. لم تكن تتوقع أن يتفاقم هذا الأمر للوصول إلى القتل. أبعدت أبتائها عن المكان خوفاً عليهم من رؤية المنظر بينما زوجها علم فوراً أن الفاعل هو أخته مياسم.

كان متيقناً إن علمت الشرطة بما فعلته حتى وإن كانت تعاني من الجنون سيتم أخذها وفي أفضل الأوضاع ستحبس بين جدران مشفى الأمراض العقلية إلى أن تنتهي حياتها.

ليقوم بفعل أمر لم يتوقع مطلقاً أنه سيفعله، أخذ تلك الجثة بواسطة سيارته ودفنها في مكان بعيد جداً عن أنظار الجميع. مكان لن يبحث بداخله أحد أبداً، حيث الأموات نائمون فيه يسكون تام (المقبرة).

من سيبحث عن شخص مفقود داخل مقبرة بداخلها مئات الموتى. فتح أحد القبور ودفن جثة سهير بجانب الجثة المتواجدة في الداخل مسبقاً.

ثم أعلن اختفائها، في الواقع تم البحث عنها كثيرًا حتى ظنوا أنها قد هربت بسبب سوء المعاملة لتعمل في بيت آخر. لم يكن الأمر ذا أهمية لدى الشرطة، الكثير من الخدم يهربون ليلاً ونهاراً ويعملون في بيوت أخرى دون أن يتم العثور عليهم.

سكنت مها وآثرت التكتم على ما حدث، فكل ما فعلته بتلك المسكينة كان كافيًا، لم تكن تنوي أن تلقي بها وبزوجها بين جدران السجن ومن يدري قد يكون الإعدام مصيرهما نتيجة جريمتين، الأولى سبب القتل والأخرى بسبب التستر عليها.

ثم بعدها بليالي قليلة توجهت إلى القرية التي تسكن فيها الساحرة بحسن لفك السحر الذي سببته، ولكنها وجدت المنزل مقفلاً من الخارج وعندما سألت المارة عن صاحبه تحت افادتها بأنها قد نالت عقابها ورحلت للأبد.

عاد ماجد إلى منزله في الليل متعبًا، لا يقوى على حمل نفسه لكنه فور وصوله ذهب إلى غرفة مياسم المغلقة ليجدها تجلس على حافة السرير مشتمتها الشيطانية.

لم تكن تبالي بدخوله، بل كانت تنظر للمراة وعلى رأسها ذات الشاح الذي كانت ترتديه لزفافها بينما وجهها مليء بمساحيق التجميل.

كان الأمر مرعبًا ومثيرًا للرغبة، لكنه عقد عزمه وجلب معه الحارس أمير والسائق حسن لمساعدته على أخذها للطابق الثالث، والذي سيكون من هذه الليلة مسكنًا لها.

ذلك الدور كان مخصصًا لليث بعد زواجه، لكنه الآن أصبح سجنًا لمياسم والشياطين التي معها.

ثم استعان بآيات الله ليحرس به الطوابق من تحته. كان الأمر غريب فقد جعل ذلك الطابق وكرًا للشياطين دون أن يضع به آية واحدة.

وكأنه بفعلته أعلن الاستسلام لهم، أن يأخذوا أخته ويستحوذوا على جسدها كما يفعلون الآن على أن لا يلحقوا بأبنائه أي ضرر.

لقد فهمت سريعًا تلك الشياطين الاتفاق الذي بناه معهم رغم عدم بوحه به ووافقت عليه. تلك الشياطين الذكية، الخبيثة، المليئة بالفجور.. كانت تجيد فن اللعب.

حذر ليث وندي من الصعود للأعلى، فذلك الطابق أصبح محرم عليهم، ثم بعد أسبوعين من تلك الحادثة جاءت جمرة.

ظن الجميع أن سبب جلبه لتلك الطفلة اليتيمة هو شعوره بالذنب الذي يعتصر قلبه بسبب فعلة مياسم للخادمة سهير، وكأنه بفعلته هذه يحاول تكفير ذنبه أمام ربه.



لكن الأمر لم يكن هكذا أبدًا، كان أعمق من هذه النقطة التي توصلت لها بها بكثير.

انعلمون عن لعبة الشياطين؟ أولئك الشياطين وحبهم لأن يحركوا أحساد البشر ويتحكمون بأفعالهم كلعبة الشطرنج. تظن أنك تفعل لأصح لتنجو بينما أنت تغرق أكثر فأكثر بالوحد، وحل تصعب عليك إزالته.

في ذات الليلة التي وضع بها مياسم في الطابق الثالث وبعد نوم جميع أفراد عائلته. توجه لهم، بوجه ذليل مستعد لفعل كل ما يستطيع فعله لأجل إنقاذ عائلته منهم.

كانت تجلس بملاحمها الشيطانية على آخر درجة تؤدي للطابق المحرم، تعلم بمجيئه وتنتظره بفارغ الصبر.

رغم تفاجئه بشأن جلوسها بشكل غريب أمامه لكنه يعلم أن الذي أمامه ليس أخته فقال:

- أخبروني ما تريدون، لماذا تفعلون كل هذا بنا؟



ضحكت، كضحكات الواثق من خضوع فريسته وقال صوت أجش رجولي:

- لا يهم، لماذا نفعل ما نفعله، ولكن المهم الآن، كيف ستقذ هذا الجسد البائس وصاحبه منا.

- سأفعل ما تطلبون مني فعله، أي شيء تطلبونه.

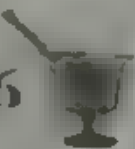
ثم امتزج الصوت الرجولي الخارج من جسدها ليتكون من ثلاث أصوات (صوت طفل، امرأة، وصاحب الصوت السابق) ليقولوا بصوت واحد:

- جمرة، نحن نريد جمرة.

لم تكن ذاكرته تسعفه بتلك اللحظة المرعبة لتذكر من هي جمرة، ولكن سرعان ما ارتسمت بذاكرته تلك الفتاة في مكتب الضابط والذي كان يحقق معها عما تفعله برفقة والدتها بين القبور.

لا يعلم لماذا هذه الشياطين تطلب الطفلة، وما سيفعلون بها، هل يريدون منه قتلها؟ أم جلبها إليهم فقط؟

لكن لا يهم، يستطيع فعل كل ما يرغبون به أن يفعله لأجل إنشاء عائلته وأخته على قيد الحياة. كان موقناً أن الله سيساعده على كل ما يفعله. فهو مرغم لا راغب. أوليس الدفاع عن النفس والعائلة أولى الأولويات؟



هذا ما كان يحاول إقناع عقله فيه ليرتاح قليلاً من تأنيب الضمير الذي أصابه.

لكن تلك الشياطين لم تطلب قتلها، أو جلبها إليهم، بل كل ما طلبته منه هو أن يحتويها في منزله، إلى أن يحين الوقت ليأخذوها منه ثم بالمقابل لن يمسوا عائلته بسوء وهذا الجسد الذي يستولون عليه سيكون آمناً تحت سلطتهم.



(15)

همام وعمام

نهضت من نومها بشهقة أخرجتها وكأنها قد كانت في عمق الجحيم.
فور نهوضها من ذلك الحلم الذي تتمنى لو كان حلم حقاً شعرت بوجود
شيء في غرفتها.

أمام المرأة تقف امرأة ترتدي ثوباً أبيض مطرز بالكامل وتضع
وشاحاً أبيض على رأسها كأوشحة العرائس، نور ضئيل بسبب فانوس
تشاهده من قبل بجانبها.

كان يعكس وجهها على المرأة لتعرف جمة عليه سريعاً، لقد كانت
مياسم.. ترتدي ذات الرداء الذي أرتدته في الحلم.

هل ذلك الحلم حقيقي، هل حصل حقاً! هل السيدة مها، تلك
الملاك فعلت كل هذا بهذه المسكينة.

صراع غريب، مخيف، مثير للاشمئزاز يجول في عقلها. خوفها من
تلك المخلوقة المتواجدة في غرفتها وعدم تصديقها لعمق السواد الذي
يعيش داخل الأشخاص الذين ظنت بهم خيراً.



كان الباب مفتوحًا بأكمله، ودت لو تستطيع الهرب من غرفتها.. من هذا المنزل بأكمله، لكن قدميها تأييان الاستجابة لها. لقد خذها جسدها منها خذها جميع من حولها.

كنت لو كان بمقدرتها أن تخرج من هذه الأرض وتبتعد عن الجميع وإن كان خروجها يعني الموت. فما أجل الموت مقارنة بمواجهة سواد الشر وأحقادهم على بعضهم.

التفت لها مياسم بذات الابتسامة الشيطانية التي أصبحت جزء لا يتجزأ من ملامحها. ثم بدأت بالتحرك نحوها وهي تردد بصوت رجولي تذكره جيدًا:

- جمرة، لقد اشتقت إليك.

أصبحت ترتجف داخل غطائها بينما ذلك الشيطان يتقدم نحوها حت أصبح لا يفصل بينه وبينها شيء، لمس شعرها الحريري ثم بدأ لمس وجهها ليقرب وجه مياسم منها أكثر فأكثر فهمس لها:

- أحبتك.. رغبت بك منذ ولادتك.



أغمضت عينيها رغم خروج الدمع منها وقالت بصوت يرتجف
خوفًا:

- أرجوك، لقد سئمت ما تفعلونه بي، فقط ارحموا ضعفي ودعوني
أو اقتلوني مثلما فعلتم بأمي وأبي.

شعر في تلك اللحظة وكأن خنجرًا مسمومًا يغرز داخل قلبه، لقد
فعل المستحيل لحمايتها رغم ادعائه عكس ذلك.

هي لا تعلم أن الشياطين إن أحببت، فعلت المستحيل لأجل من تحب
وإن كلف الأمر قتل جميع من في الأرض.

ابتعد عنها رغم رغبته بالبقاء بجانبها إلى نهاية الزمان.. إلى ما بعد هذا
الزمان. لتشعر بعدها بسكون غريب، وكأن لا أحد بجانبها فتفتح عينيها
وتمسحها من الدمع لترى إن كان موجودًا، ولكنها لم تجده.

بحثت بعينيها في أرجاء المكان، ولكن لا وجود لياسم في المكان،
سرعان ما نهضت من مكانها وركضت خارج المنزل.

جلست في الحديقة وقلبها يرتجف من شدة الخوف. تذكرت عندما
كانت طفلة، كيف أنها تهرب خوفًا من منزلها لتشعر بالأمان وتحمي
بذلك الزقاق القذر طوال الليل حتى تأتي والدتها، ولكنها الآن تعلم



جيدًا أن والدتها لن تعود أبدًا، لقد رحلت لمكان لا رجعة منه، لقد
رحلت للخلاص.

في تلك الأثناء شاهدت نافذة غرفة ليث مفتوحة بينما هو ينظر إليها
متأملًا. شعرت بالخجل منه، لا تعلم كم من الوقت له وهو ينظر إليها
هكذا. اختفى من أمام عينيها في لحظات لتجده قد أصبح أمامها ليقول
لها:

- لم أستطع النوم، وعندما رأيتك تجلسين هنا علمت أن النوم قد
هرب بعيدًا عنك أيضًا.

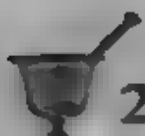
نهضت من مكانها وابتسمت له وقالت:

- في الحقيقة، كنت سأذهب لغرفتي الآن.. عن أذنك.

ليقول لها سريعًا:

- انتظري أرجوك، هل أستطيع اخبارك بأمر كنت أود قوله لك منذ
وقت طويل؟

كان ينظر إليهم من الطابق الثالث والغضب يملأ قلبه، كيف لهذا
السري أن يقترب منها هكذا، وكيف تسمح له بذلك.



في تلك اللحظة وقفت بجانبه خاتمة ونظرت إلى نفس المكان الذي
ينظر إليه لتقول بسخرية:

- أخبرتك منذ زمن، أن البشر والشياطين لا يتجمعون إلا لغاية
واحدة فقط.. غاية الأسياد وامتلاك عبيدهم.

كان الشيطان الصغير ليلاس ينظر إليهم دون فهم في زاوية المكان
بينما هو يردد:

- اشتقت إلى والداي، أرغب بأن ينتهي كل شيء وأعود إليهم.
نظر إليه همام وقال له:

- ولماذا لا ترحل إذا...!

أشار إلى جسد مياسم والذي كان السبب في منعه من الرحيل وقال:
- لنقتلها، دعونا ننتهي منها لتتحرر جميعًا.

ما زالت خاتمة تنظر إلى جمرة غير آبهة بذلك الجسد الذي استولوا
عليه نتيجة ألامعيبهم التي قاموا بها ضد محاسن. لتردد وقد أشاحت
بعينها نحو همام:

- لا أهتم إن أردتم قتلها سأفعل، لكنني أود مكافئتي.

علم همام سريعًا ما تريد ليقول وعينيه مليئة بالغضب:

- وما هي مكافئتك!

ابتسمت له وأشارت بيدها نحو جمرة الجالسة في حديقة المنزل.
ضحك ساخرًا منها وقال:

- تعلمين أنني قد أقتلك، مثلما فعلت بذلك الذي قبلك إن لمستي
شعرة واحدة منها!

- يا لك من مسكين يا همام، رغم قوتك سقطت في حب قربان،
أضحية، شخص مملوك منذ ولادته لنا نحن الثلاثة.

قال ليلاس بينما يده تعبت بدميته خالية الرأس:

- إن أراد همام نصيبي منها فليأخذه، ولكن في المقابل، لنقتل هذه
التي أمامي.

ابتعد عنهم وجلس قريبًا من ليث وجمرة ليستمع لكل ما يدور بينهم.
في تلك الحديقة حيث السكون رغم أصوات أوراق الشجر التي صدرت
نتيجة للهواء، جلست جمرة أمام ليث وجهًا لوجه وقد لاحظت عليه
الارتباك من تصرفاته فقطعت ذلك الصمت وقالت له:

- ما الذي ترغب بالحديث عنه؟ أنا اسمعك..



- في الحقيقة يا جمره، لا أعلم إن كنت تبادلينني ذات الشعور ولكن قلبي يرفض الاستمرار بكتكم مشاعره أكثر من ذلك..

كانت جمره تدعو الله كثيرًا في داخلها ألا يكون ما تفكر به، ولكنه قال لها مقاطعا تلك الدعوات ومخيبًا لرجائها:

- أنا أحبك.. أحبيتك منذ أن شاهدتك أول مرة، ولكني لم أستطع أن أميز ما يعنيه ذلك الشعور فتعمدت تجاهلك لعل ما أشعر به يزول. ولكن.. كان شعوري كل يوم يزداد أكثر فأكثر، أنا أحبك.. أكثر من يتصوره عقلك.

رقص قلبها بتلك الكلمات، شعرت بالحب لأول مرة في حياتها لكنها سرعان ما تراجعت.. عجزت وقتها عن الرد، فهي لا تستطيع أن تكون معه رغم إعجابها به، تلك اللعنة ما زالت تطاردها. وإن كان ما تفكر به صحيحًا فيبدو أن تلك العمة هي الضحية رقم ألف لوالدها.. والضحية رقم واحد لوالده أيضًا.

كان ينظر لها راجيًا أن تقول شيئًا فالصمت يقتله أكثر من رفضه له. فقالت منعًا لانتظاره:

- تستحق الأفضل يا ليث، أنا وأنت لا يمكن لنا أن نكون معًا.

خبرة أمل كبيرة تم رسمها على وجهه، ولكن سرعان ما عاد للابتسام وقال لها:

- أنا لا أرغب بغيرك، لديك كامل الوقت للتفكير، سأنتظرك.

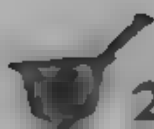
وقبل أن ينهض أخرج علبة بلون البنفسج من جيبه منحوت عليها حلة (ابنة قلبي) لتفتحها جمرة وتجد قلادة ذهبية بداخلها زمردة مرسوم عليها رمز القمر والشمس.

انضح على وجهها الانبهار منها فقال لها:

- هذه هديتك.. لقد جلبتها لك من رحلتي ولم أحصل على الوقت المناسب لتقديمها لك، أتمنى أن تعجبك.

لم يدع لها المجال للنقاش معه، حيث إنه ابتعد فورًا لخارج المنزل. انذهب إلى غرفتها وتأمل هذه القلادة ثم دون شعور منها ارتدتها وركفت إلى المرأة لتشاهد منظر عنقها بعد إضافتها لتلك القطعة الثمينة لاسمعت سريعًا تعبيرًا عن رضاها.

كان جالسًا في حديقة المنزل، في نفس المكان الذي كانا يجلسان فيه جمرة وليث والغضب مرسوم على وجهه. كيف له أن يقترب منها، كيف دار تقل هديته... شعر برغبة قوية بقتله والتخلص منه.



في تلك الأثناء ظهرت خاتمة من العدم وجلست في نفس مقعد جمرة
التي كانت تجلس عليه، بجانبه لتقول بسخرية:

- ها هي محبوبتك طفلتك، من فعلت المستحيل لحمايتها منا.. قلبها
ينبض عشقاً لبشري من نفس جنسها.

ليتمتم بصوت أشبه بالهمس:

- سأقتله.

- ولماذا لا تقتلها معه، سأتنازل عن نصيبي منها إن كانت غايتك
قتلها.

نظر نحو خاتمة بغضب أثار مخاوفها ليقول لها:

- ارحلي من هنا، قبل أن أجعلك كسابقك يا خاتمة.

لتختفي بلمح البصر من أمام عينيهِ وكأنها لم تكن..



نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

من قتل لأجلك سبعون جان

في بحر يملأه الجفاف

قد لوثته دماء العمام

فمن همام ومن عمام

هم أسياذ المكان

نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

قبل ثمانية عشرة عامًا، عند ولادة جمرة، وكانت محاسن تنازع وحدها
لإخراجها إلى هذه الدنيا.

كان ينتظر خارجًا، بكل شوق للقاء طفله.. رغم علمه أن هذا الطفل
سيكون ذا حظ سيء لسبب واحد فقط، أنه والده.



كم تمنى في تلك اللحظة لو أنه يستطيع الخلاص من كل شيء ويبدأ
من جديد صفحة بيضاء لم تلوث أبدًا فينسج لها حياة نقية ليعود له نقاء
قلبه الذي هرب منه سنينًا طويلة.

ليته يستطيع العودة، العودة إلى ذلك المكان، ذلك الزمن حيث
الكتاب..

العرين

(مطلب السحرة)



ملحق

(قصة مالك)

كان يتجول في الجبال بحثًا عن الخطب، حيث إن والدته هتار قد قررت مصير أبنائها دون خيار منهم.

الأصغر حامد سيكمل تعليمه، بينما الأكبر مالك سيعمل ليلاً ونهارًا بحثًا عن الرزق.

رغم ترق مالك للعلم لكنه لم يستطع إكمال دراسته، فحياته كانت تأكملها عبارة عن رعي الأغنام نهارًا وجلب الخطب ثم بيعه في السوق حتى نهاية اليوم ليحضر لوالدته ما يسد به جوعها ويسمح لحامد بمواصلة تعليمه.

في الواقع، لم يكن بين مالك وأخيه فرق كبير، كل ما كان بينهم سنة واحدة فقط، ولكن لعنة الأخ الأكبر حلت عليه ليحمل مسؤولية العائلة تأكملها بعد وفاة والده من الطاعون.

كان مهووسًا بالقراءة، يقرأ كل كتاب يقع بين يديه، وكثيرًا ما كان يأخذ الكتب من أخيه خلصة دون علمه ليصرخ في وجهه ذات يوم فور اكتشافه لذلك قائلاً:

- اترك كتبى، لا حاجة لك بها.



هتار تلك المرأة التي كافحت لأجل أبنائها، فهي أيضًا تقضي معظم وقتها بخياطة الثياب وتوليد النساء مقابل القليل من المال لتزيده على ما يجنيه مالك.

كانت تشعر بالأسى على ابنها الأكبر، لكنها لم تجد خيارًا بديلاً لما تفعله. أن يتعلم أحد أطفالها خير من جهلهم جميعًا. ظنت أن حامد، ذلك الطفل المدلل ما إن يقف على قدميه ويعمل في وظيفة تليق بعلمه سينتزع عائلته من الوحل ليرتاح مالك قليلاً من مشقة العمل المتواصل.

في ذلك اليوم، ذهب مالك كعادته إلى الجبال لرعي الغنم وجلب الحطب. في عمق الوادي شاهد كوخًا صغيرًا، لم يره من قبل رغم أنه قد جاء إلى نفس المكان عشرات المرات.

شعر بشعور غريب، فضول قوي يدفعه للدخول حيث نادى من باب الأدب قبل دخوله:

- هل هنالك أحد، هل استطيع الدخول؟

لكن لا مجيب، مما جعله يدفع الباب الذي فتح بكل سهولة ليطلق عينيه لتنظر في كل زوايا المكان. ذلك الكوخ، المهترئ مليء بالكتب.. مليء بكل أنواع الكتب.



شعر أنه في أعالي الجنان، لقد ترك أغنامه وكومة الحطب التي التقطها طوال اليوم ليجلس في ذلك الكوخ ساعات وساعات يقرأ.

كانت الكتب رغم جاهلها ووفرة العلوم فيها مختلفة عن تلك التي يستعيرها خلصة من أخيه. فهذه العلوم مختلفة تمامًا، أشبه بعالم آخر لا رحوذ له في هذا الكون.

كان علمًا مشوقًا ومبهرًا للعقل حيث إن عقله أصبح جشعًا طماعًا يرغب بتعلم الكثير والكثير منها.

بين كل تلك الكتب، هنالك كتاب أثار اهتمامه، (العرين).

ذلك الكتاب الغريب، المليء بالقصص من كل زمان ومكان. لذلك الكتاب ميزة، فهو يجلب لك العلم على شكل قصة فكلما قرأت منه أكثر فتح لك باب آخر من أسرار الكون.

في جانب كل قصة هناك تكمن قوة العلم الذي تعلمه لصاحبها، ونستطيع من خلاله فتح تلك البوابة الخفية عند حل لغز القصة ذاتها.

من بين السحرة الذين امتلكوا هذا الكتاب لقد كان مالك الوحيد بينهم الذي علم سرًا من أسرارها في ذات الجلسة الأولى التي جلس بها يقرأ صفحاته رغم أن عمره وقتها لم يتجاوز السادسة عشرة بعد.

كان مالك ذكيًا جدًّا، فطنًا بطبعه. علم فورًا أن هذا الكتاب لا يعطيك حبًّا، بل يأخذ منك مقابل ذلك العطاء. فكان يعتمد كسر هذه القاعدة معه، أن تواجه الخبث بالخبث ذاته أمر جميل.

لم يشعر بتأخر الوقت عليه إلا عندما سمع صوت إحدى أغنامه، ليترك ما في يده ويخرج من ذلك الكوخ فيجد الظلام دامسًا وليس هناك أمامه سوى نعجتان تأكلان من حشائش الأرض وكومة الحطب التي وضعها في ذات المكان.

شعر بقلبه يدق خوفًا من والدته، ماذا عساه أن يقول لها الآن وبقية الأغنام لا أثر لها، ستقتله لاحالة.

بدأ بجمع حطبه وأخذ المتبقي من أغنامه ليجوب في أرجاء الجبال بحثًا عن البقية وييده فانوس يضيء ما حوله أخذه من ذات الكوخ الذي كان فيه.

لم يجد لهم أثرًا ليعود لمنزله خائفًا، منكسرًا، منتظرًا للعقاب. لكن فور وصوله تفاجأ بأن تلك الأغنام قد عادت لمكانها، بل أنها كاملة أربعة عشر واحدة.

بحث بعينه عن تلك النعجتان التي كانت معه لكنه لم يجد شيئًا سوى كومة الحطب التي حملها على ظهره.



كل ليلة كان يعتكف بين الجبال، ويترك أغنامه ترعى بمفردها فهو أصبح يعلم أنها ستعود لمكانها مثل كل مرة، ويتم جمع الحطب دون بذل جهد منه ليترك له خارج ذلك الكوخ، وعند استعداده للعودة إلى منزله سيجدها أمامه.

كل شيء كان جميلًا، الأموال تأتي إليه دون تعب، الأغنام تتكاثر ووالدته سعيدة بما يفعله. لم يجد في الأمر شيئًا سيئًا، لقد أعجبت هذه الحياة رغم غرابتها، وقد اكتسب أيضًا الكثير من العلم بسبب تلك الكتب المصفوفة على جدران الكوخ.

بعد ثلاثة أشهر من انغماسه بين الكتب، بدأ بتطبيق ما تعلمه منها ليستدعي الطفل ليلاس ويأخذه عنوة من والديه بفضل العهود السليمانية. قال له ويديه ترتجفان خوفاً:

- في خدمتك يا مولاي.

بينما والديه كهنوت وكيدارا يراقبانه على بعد عدة خطوات منهم. لم يكن يرغب مالك بهم، فقد رآتهم لا تناسبه أبدًا. كانوا يجلسون دومًا على مدخلات من ابنتهم عندما يتم استدعاؤه، وكان هذا الأمر يشعر مالك بالانزعاج منهم لكنه كان صامتًا لا ينظر إليهم وكأنهم غير مرئيون بالسبب له.

ليلاس، يعد من الشياطين المهجينة من فصيلتين محرم عليهم الزواج من بعضهم (شياطين الأرض) و (شياطين الرياح). بسبب فعلتهم التي سببت حروبًا لا حصر لها، لذلك تم نفيهم بعيدًا جدًا عن عالم الشياطين. ليعيشوا بالقرب من عالم البشر، بين الجبال، أو في الخرابات المهجورة.

ليلاس كان يجيد شيئًا جعله مهما جدًا لدى مالك، كان يجيد التحدث مع القرين. من المعروف أن القرين نوع مختلف رغم انتماءه للجن. والقرين ليس فقط مربوطًا بالبشر، بل هناك قرين لكل مخلوق على وجه الأرض بما فيهم الحيوانات، والجن أيضًا لكل واحد منهم قرين من جنس مختلف عنهم.

من المعروف أن القرين يعلم كل أسرار الشخص الذي يرافقه إلى مماته. ثم يبقى عند قبره مربوطًا به إلى أن يموت معه أو يأتي من يطلق سراحه.

الأسرار مطلب مالك، فإن علم أسرار الموتى المندثرة لاستطاع أن يحقق ثروة تسعد والدته وترجيحه من رعي الأغنام وجمع الحطب.



رغم ذكاؤه كان هدفه بسيطًا جدًا، بسيط لا يكاد يذكر. أمر مشير للسخرية أن تفعل أعظم الأشياء لأجل شيء تافه، لكنه في النهاية يشكل هدفًا.. وهذا الهدف هو أسمى ما يسعى إليه مالك.

بدأ بتحضير كل شيء ليقوم بفعلته، أراد العلوم المندثرة. أراد القيام شيء لم يتجرأ شخص قبله على القيام به. دائرة كبيرة خطها بيديه من دماء إحدى الأغنام التي معه ورسم داخلها حروفا لرموز تعلمها من كتاب (العرين)، لينادي على قرين الساحر مؤلف العرين ذاته علي الأفرهاني. الغريب في الأمر والذي جعله هو وخادمه الشيطان ليلاس، ينظران للزوار غير مصدقين لما يحدث أمامهم.

ذلك الساحر لم يكن يمتلك (قرينًا واحدًا) بل كان يمتلك ثلاثة منهم خنعة وعمام وهمام.

كان غريبًا، غريبًا جدًا حيث قال لخادمه:

- ليلاس هل أنت متأكد من أننا فعلنا الطريقة الصحيحة؟

أوما برأسه وعينيه ما زالت تنظران لتلك المخلوقات الثلاث برهبة وحرف. أن يخاف شيطان، هذا أمر لا يبشر بالخير أبدًا، ذلك ما شعر به مالك وقتها.



أراد أن ينهي ما فعله ويعيد تلك المخلوقات لأماكنها لكنه لم يستطع، تلك المخلوقات قد خرجت من وكرها وفكت قيودها. ومن الذي سيعود لسجنه متريفاً أمام قبر جثة قد انتهى أمر صاحبها منذ زمن بعيد؟ نظراتهم نحوه كنظرات الثعابين لفريستها، كانوا يقفون في منتصف الدائرة منتظرين منه تحرير آخر جزء منهم ليخرجوا.

لم يعد يستطيع التراجع، سيقون هكذا، يهمسون له ليلاً ونهاراً لأجل تحريرهم حتى يصيبه الجنون. هذا ما كان يقوله له ليلاس، أن القرين لا تستطيع تصريفه كما تفعل بمن لا يعجبك من الجن والشياطين.

عندها أمرهم بخدمته والموافقة على جميع العهود التي تسخرهم له. هم أيضاً لم يكن لهم القرار، هم يودون الحرية ورؤية هذا الكون من زاوية مختلفة.

جميعهم مجبرين، ليوافقوا مكرهين فيصبحوا خدماً في عينيه بينما هم في الواقع المتحكمون به.

سرعان ما أصبح يخدمهم، عوضاً عن خدمتهم له، يهمسون له ما يودون منه فعله ليقوم به طواعية دون إرادة منه، حتى أصبحت والدته تطلب منه الزواج ليجبروه كذلك على موافقتها.



وفور أن جاءت ابنته، أبحدها للجبال في ذلك الكوخ، وبدأ يبكي ويوسى إليهم الرحيل. فطلبوا منه ابنته (قربان)، ليرحلوا عنه، وفور أن تلاكهم لها. كان هذا طلب همام الذي عشقها من ولادتها.

في الواقع، لكل واحد منهم غاية في نفسه. عندما جتمعوا جميعهم على أحد كقربان مقابل، حرية والدها

عمام، وخاتمة أرادوا أن تفتح لهم أبواب الكنوز المحرمة عليهم بسبب رهريتها

بينما ليلان، لم يكن يرغب بغيره. تلك العهود التي تقيدته والجيل لعائلته وظن إن وافق على أبحدها كقربان سيتهجر من والدها ما أن يعطيه نصيبه منها.

كل واحد منهم لديه هدف، هدف مختلف عما إلى آخره. أصاب الطمع لب حاتمة بعد أن أصبحت جمرة، قرباناً مخلوقاً للأربعة لم تكن يرغب بمشاركة أحدهم بها فبدأت بزرع الفتن بين عمام وهمام لتهمس بالأول بكلمات وتهمس للآخر بكلمات أخرى حتى زرعت في داخلهم العداوة سبب جمرة فقالت لعمام ذات ليلة:

لماذا لا تقتل همام فقد أصابته تلك الشريرة عشقاً سيجعله عقبة في

هرينه

- لن نقتل أخانا (يا خاتمة).

اقتربت منه وهمست في أذنه:

- لكنني سمعته يحادث ليلاس عن الطريقة المثلى لتخلص القرين من توأمه، هو من أراد قتلنا أولاً لذلك علينا الدفاع عن أنفسنا.

نظر عمام نحو ليلاس وقال له:

- هل ما تقوله خاتمة، صحيح؟

كان خائفًا منها، حيث إنها هددته بقتله وقتل عائلته أجمع، أضعف قرين تتساوى قوته بقوة ملوك الجن والشياطين، وإن أرادت قتله ستفعل بكل سهولة.

ليقول بتردد واضح في صوته:

- صحيح، لقد طلب مني طريقة التخلص منكم لكنني أخبرته أنه لا توجد طريقة لفعل ذلك.

شعر عمام، بالغدر من أخيه، توأمه.. من جمعهم القدر برفقة بشري واحد ثم سرعان ما تحول ذلك الحب إلى حقد كتمه في نفسه لأيام طويلة.



ذهبت بعدها خاتمة، إلى أخيها همام وقالت له:

- أعلم أنك تعشق هذه البشرية، ولا ألومك أبدًا نحن لا نستطيع التحكم بقلوبنا.. وحقًا أرغب بالتنازل لك عن نصيبي منها وسيفعل ليلاس ذلك فهو لا يطمح بغير التحرر من قيوده لكن عمام لن يرضى أبدًا، لقد أخبرني عن نيته بأخذها اليوم لكهف أرابينسا لفتح تلك البوابة واستخراج الشياطين أجمع منها.

- هل حقًا عمام، ينوي فعل ذلك!

- اسأل ليلاس لقد كان معنا عندما أخبرني بذلك.

وكما كذب ذلك الطفل أول مرة مكرهاً فعلها هذه المرة أيضًا ليبدأ نراهم بقتل همام لشقيقه عمام بطعنة في قلبه جعلت روحه تغادر هذا العالم في ذات اللحظة بينما جسده نرف دمًا أسود اللون ليغرق به الجبال بأكملها، وكأن فيضًا في تلك المنطقة الجافة قد أغرق كل ما فيها.

انتهت خاتمة من العقبة الأولى لتبدأ بمحاولة قتل الآخر، لكنها أضعف منه بكثير، فهمام يكون الأقوى بينهم.

ذهبت إلى عالم الشياطين واستعانت بسبعون منهم مقابل خدمتها لهم، فالشياطين أيضًا يحتاجون القرين بالكثير من الأشياء.



ليقتلهم في ذات المكان الذي قتل فيه عمام، دون أن يصيبه أي أذى.
كان قويًا، قويًا جدًا.. حيث يعد من فصيلة (القرين الأسود) بينما عمام
وخاتمة هم كالتوابع له.

لم تكن تعلم ذلك، لكنها في نهاية الأمر فهمت كل شيء وعلمت أنها
لن تستطيع مواجهته أبدًا.

فضلت البقاء بجانبه لرؤية ما سيكون مصير هذا الحب المحرم، بين
قرين لا يعلم ماهية الحب وبين بشرية لم تنطق أحرفها الأولى بعد.

كل هذا حدث بعد أن أصبحت محاسن سيدتهم، مسكينة تلك المرأة.
وضعت شرطًا ظنته سيجدي معهم حيث إن الشرط يحوي كلمة
(الشياطين) لكنهم ليسوا شياطين من الأساس!

فذلك الاتفاق وكل ما فعلته بألف بشري ذهب أدراج الرياح.

في الواقع كان من المقدر أن يفيد هذا الأمر مع ليلاس، وكم تمنى هو
ذلك، لكن ليلاس لم يعد ملك مالك، بل كان تابعًا لخاتمة بعد أن نقل
مالك منذ زمن عهوده لها.

غريب، كل شيء في هذه الأرض غريب جدًا، أن يخدم شيطان قريبًا
بذات العهود التي يستخدمها البشر للاستحواذ عليه، أمر جعله هو ذاته
يستسلم لكل شيء يحدث له.



ليتك تعلم..

أني بنيتك من سواد قلبي،

وزرعت في داخلك شرور نفسي.

(16)

الكفاح من أجل الخلاص

فور وصولها ركضت إلى غرفة جمرة والتي ظلت منعزلة عن الجميع
لا ترغب برؤية أحد، لتطرق الباب بكل قوة فتصرخ الأخرى قائلة:

- أخبرتكم أني لا أرغب بالخروج أبدًا.

همست السيدة مها لابتتها بحزن شديد:

- لا نعلم ما أصابها، أخبرني ليث أنه طلب منها الزواج ليلاً قبل شهر
من الآن ومنذ ذلك الحين وهي منعزلة في غرفتها، تجلب لها الخادمة
الطعام وتأخذه لتغلق الباب مجددًا.

- سأصرف لا عليك.

لتقول بصوت عالي:

- افتحي لي يا جمرة لقد جلبت لك كل ما طلبته من ثياب وكتب
ومجوهرات، كل شيء لأجلك.

في تلك اللحظة فتح الباب سريعًا بأكمله لتقفز جمرة إلى حضن أختها
وعينيها مليئتان بالدموع وهي تقول:

- لقد اشتقت إليك، لماذا رحلتني كل هذه المدة عني.



أرادت السيدة مها الاقتراب من جمرة لمعانقتها، ولكن الأخيرة
 أشاحت بوجهها عنها وسحبت معها ندى لتدخل وتغلق الباب خلفهم.
 تلك الملامح الحزينة التي كانت ظاهرة على وجه السيدة مها تبدلت
 ليحل محلها ملامح الغضب.

تسامروا كثيرًا بتلك الغرفة حيث أخبرتها ندى كل شيء حدث في
 ذلك الشهر، وأن جميع النساء في مصر يتنافسن بأناقة وجمال فساتينهن.
 ثم سرعان ما جلبت لها الكثير الكثير من الفساتين بمختلف الألوان
 والتي تعلم جيدًا أنها تناسب ذوق جمرة.

كانت جمرة تقيسهم جميعًا وتنظر في كل مرة للمرأة بانبهار شديد. ثم
 ناولتها ندى الكتب الكثيرة التي اختارتها بعناية لها، فذوقها في الكتب
 غريب جدًا حيث تهوى كتب الفلاسفة والتي كان الشيخ ماجد يجلبهم
 لها خلسة بسبب منعها هنا.

فور رؤيتها للكم الكبير من الكتب شهقت وقالت، كيف استطعت
 جلب كل هذه الكتب دفعة واحدة. والدك كان يهرب لي كتابًا واحدًا فقط
 في كل مرة بعد جهد كبير.

ابتسمت بانتصار وقالت لها:

- لا تسالي، لقد فعلنا المستحيل انا وزوجي لأجل سعادتك..
اعتبرها هدية عودة صوتك الجميل يا جهرة.

تبدلت ملامحها السعيدة للحزن وتركت كل شيء لتجلس على
إحدى المقاعد القريبة من النافذة وظلت تتأمل السماء بصمت مفاجئ.
لتقرب منها ندى وتجلس جانبها وتقول لها:

- أخبريني، ألم نتعاهد على قول كل ما يحوب داخل قلوبنا لبعضنا
البعض.. ما الذي يحزنك؟

لم تستطع اخبارها فقالت سريعاً:

- لا شيء فقط اشتقت إليك.

- لكنني عدت، ولا زال وجهك مليء بالحزن.. هل هذا بسبب ليث
وعرضه الزواج منك، إن كنت لا تريدينه لا توافقي أبداً وسأقف معك.

ابتسمت لها لتظهر غمازتيها الجميلتين وتقول:

- ليس الأمر كما تعتقدين، كنت أتمنى الزواج من ليث وكم كنت
أشعر بالغيرة في صفري عندما تتحدثين عنه أمام الفتيات في المدرسة



ونعديهم بالزواج منه، لكنني لا أستطيع قبول الزواج منه الآن، ليث يستحق الأفضل.

- من قال إنك لست الأفضل، لقد شاهدت الكثير من الفتيات طوال ثمانية عشرة عامًا ولم أجد أجمل وأفضل منك لأخي، في الواقع نمر بأنك كثيرة عليه.

- أنت لا تعلمين عني شيئًا، لو علمتي ما أخفيه لكرهتني، هربت بعيدًا عني، بل ستطلبين من والدك أن يطردني من هنا.

اتضح التوتر على وجه ندى لكنها أمسكت بيدي جمره سريعًا وصعقت بكل قوة عليها وقالت:

- أخبريني كل شيء وأعدك، سيكون كل ما تقولينه سرًا بيني وبينك ومصلحه معًا إن كان قابلاً للإصلاح.

في تلك اللحظة لم تستطع جمره إخفاء ما في قلبها عنها، لتخبرها عن ناكبي عن قصتها بأكملها منذ ولادتها حتى وجودها هنا في برسم، بما فيه عمل والدتها الأسود للعملة مياسم ولكن ما أخفته عنها هي أفعال والديها السيدة مها والشيخ ماجد.



شعرت ندى بالصدمة، لم تستطع البوح بأي كلمة أبدًا، للحظة ظنت أن جهرة قد جنت، ولكن كيف لها أن تعرف كل التفاصيل التي لم تخبرها بها. هي تعلم أيضًا أن التحدث عن تفاصيل زفاف العمة مياسم لحظة استحواذ الشياطين عليها ممنوعة في المنزل.

تم تغيير الخدم بالكامل، والمتبقين لم يكونوا متواجدين ليلة الحادثة، بينما حسن وأمير لا يمكن لهم أن ينطقوا بهذه التفاصيل أمام جهرة، كيف لها أن تعرف اسم طليق العمة وعائلته.

كل هذا يدل على شيء واحد، أن هذه الفتاة لا تكذب أبدًا. في عمق أفكارها كانت جهرة ترجوها على عدم الإفصاح لأحد ونسيان كل ما قالته.

كانت تبكي بانكسار جعل ندى تربت على رأسها برفق وتقول لها:

- ألم أخبرك أنني معك، أنا أصدقك وسأفعل ما أستطيع فعله لحل هذه المشكلة.

- لا تخبري أحدًا أرجوك.

- لن أفعل، أعدك.



استأذنت ندى من زوجها على أن تبيت عدة أيام في منزل والديها،
وشرحت له أن أختها مريضة ويجب عليها البقاء بجانبها فقبل بالأمر
وقال لها:

- لا تقلقي، خذي كامل وقتك حتى تعود جمرة لوضعها الطبيعي.

بدأنا بالتخطيط سويًا للقيام بأول مهمة لإيجاد العمل الذي يربط
تلك الشياطين بالعمة مياسم لتقول ندى بعد وقت من التفكير:

- لنذهب إلى تلك المقبرة التي أخبرتني أنكم قمتم بدفنه داخلها.

جمرة بيأس:

- أشك أني سأعلم مكان القبر الذي دفنا فيه العمل، فتلك الحادثة

حصلت منذ زمن طويل.

- دعينا نذهب لن نخسر شيئًا وسنجعل الخادمة مينا تراقب المكان

لنا، هي لا تقشي الأسرار أبدًا

أخبرت ندى السيدة مها، أنهم سيذهبون لزيارة إحدى صديقاتها،
فاليوم سيكون زفاف أخيها، وقد يفيد هذا الأمر جمرة لتعود لطبيعتها.
حاولت أن تذهب معهم لكن ندى همست لها بعيدًا عن جمرة:

- دعيني أتقرب منها أكثر لأعلم سبب حزنها، لن تخبرني بأي شيء

إن أتيتي معنا.



- معك حق، لكن هل أخبرت زوجك؟

- نعم أخبرته، وهو موافق لا عليك.

ذهبوا مع السائق والخدمة بفساتين تناسب الاحتفالات وكان ماجد ينظر إليهم من نافذة غرفته بتوتر شديد. لتدخل عليه زوجته فيقول لها:

- أين سيذهبون؟

- أخبرتني ندى أنها ترغب باصطحاب جمرة لزفاف أخ صديقتها لتبتعد قليلاً عن المنزل لعلها تعود كما كانت.

كان يمسك يديه بطريقة غريبة تعبيراً عن توتره وخوفه فقالت له:

- ما بك، أنت أيضاً مثلها منذ انعزالها أصبحت غريب الأطوار يا ماجد.

- تلك الفتاة، لا بد أنها تتواصل معهم.

- لم أفهم، تتواصل مع من!

شعر بالارتباك فور سؤال زوجته، لقد كان يحدث نفسه دون أن يدرك كان صوته عاليًا بما يكفي لتسمعه فقال:

- لا لا عليك، اخرجي الآن أرغب بالنوم.



- لن أخرج قبل أن تخبرني ما تقصده بكلامك هذا.

ثم أكملت بشك:

- أنت لم تجلبها بسبب حزنك على يتمها أليس كذلك؟ هنالك أمر

حبي لم نقله لي.

إراد التحدث، ولكن صرخة من الطابق الثالث جعلته يركض

لأعلى بدون شعور وهو يصرخ باسم أخته مياسم.

في مكان آخر وفي ذات الليلة سكون مخيف بجانب أسوار المقبرة،
أرادوا الدخول، ولكن هناك من يحرس بوابتها. قالت جمرة بتوتر:

- ذلك العجوز هو نفس الرجل الذي كان يحرس المقبرة عند إمساك
والدتي من قبل الشرطة قبل سنوات.

صمتت ندى قليلاً ثم سرعان ما أخرجت ثلاثة من أساورها الذهبية
وأمرت السائق أن يذهب ويبتاعهم في نهاية السور.

فور نزولهم توجهت للحارس وقالت له:

- يا عم، هل تسمح لنا بالدخول؟

- اذهبي يا امرأة من هنا، فالمقابر محرم دخولها على النساء.

- صحيح، لكن كل شيء قابل للشراء، بما فيه قبولك وخضوعك
أيضاً.

أظهرت له الثلاث أساور ليفتح عينيه بأكملها من شدة الدهشة
وأراد سريعاً التقاطها لكنها ابتعدت عنه وقالت:

- خذ واحدة الآن، سأعطيك الاثنتين المتبقيتين في طريق خروجنا
بعد أن ننتهي.



ابتسم بسعادة عند التقاطه لتلك الإسورة والتي علم جيدًا أن قيمتها
لوحدها ستتشله هو وعائلته من الفقر سنوات طويلة فقال:
- لطالما كنت أؤمن أن زيارة القبور، تحل للذكور والإناث على حد
مواء، تفضلوا.

قبل دخولهم همست للخادمة مينا:

- ابق معي، لا تجعليه يذهب إلى أي مكان.

فور دخولهم ضحكت جمرة بسخرية من تقلبات الأشخاص حسب
حاجاتهم، لتقول لها:

- لم أكن أعلم أنك تُجيدين المساومة هكذا.

- عزيزتي، لكل شيء ثمن، لا تتوقعي من أحد أن يقدم لك خدمة
دون أن يحصل على ثمن ما يفعله لأجلك.

بدأوا بالبحث في المقبرة عن القبر المنشود، لكن جميع القبور تتشابه.
لقد أضعته، شعرت جمرة بخيبة الأمل عند تيقنها من ذلك. وقالت:

- لا أستطيع تذكر أي قبر منهم هو القبر الصحيح يا ندى ولن
استطيع حفر كل تلك القبور لأجل شيء لسنا متأكدين منه.



كانت تتحدث وعينيها تذرف الدموع حيث إنها لم تعد تقوى على تحمل كل هذا لكن ندى أمسكتها من كتفيها وقالت:

- تذكرني، اهدأي وتذكرني.. أنتم لم تدخلوا عميقًا بين القبور أليس كذلك؟

- صحيح، لقد مشينا بضع خطوات فقط لنقف على..

أشارت بيدها منذ لحظة دخولهم باتجاه البوابة ثم تحركت بها محاولة تذكر الاتجاه الصحيح حتى أوقفت يدها تجاه إحدى القبور.

- هنا، أتذكر أننا توقفنا هنا أمام تلك الحجرة لقد جلست عليها لبعض الوقت أتذكر ذلك..

اقتربت منها لتجد قطعة قماش مكومة على شجيرات الأرض المليئة بقطع الشوك، كانت تلك القطعة مغطاة بالأتربة وكأنها بقيت في المكان منذ سنوات طويلة. أمسكت جمرتها وقالت لندی

- قطعة القماش هذه تعود لي، أتذكر فستاني الزهري جيداً فقد حاكته لي والدي تعويضاً على خسارتي لفستاني الأحمر عند زيارتي لصديقتي رُبا.

ثم ابتسمت ونظرت إلى ندى وأكملت



- أظنتي أعلم الان مكان القبر يا أختي.

كان القبر بجانب إحدى الأحجار الكبيرة في زاوية المقبرة قريباً من أسوارها. بدأوا بالحفر، بكامل أناقتهم حيث إن ثيابهم الباهظة أصبحت ملبنة بالتراب.

فور وصولهم إلى الجثة وفتحهم لها، كانت خالية، متآكلة لم يتبقى منها إلا بعض العظام المتناثرة هنا وهناك. حيث إن ندى كانت تشعر بالخوف مروجاً برهة الموقف لكنها لم تنطق لتقول لها جمرة بعد ياسها:

- لا أثر للعمل الذي قامت به أمي يا ندى.

شعروا جميعاً بخيبة أمل فلم تعد أي واحدة منهم قادرة على مواصلة الأخرى. جلسوا لبعض الوقت أمام القبر ثم سرعان ما نهضت ندى وأشاحت بوجهها عن القبر لتطلب من جمرة بصوت متردد مليء بالخوف:

- هيا دعينا نذهب، يبدو أنه مقدر لعمتي أن تبقى هكذا إلى أن يحين حلتها، ثم إن قلبي امتلأ بالخوف ولا أستطيع تمالك نفسي أكثر من ذلك.

قبل رحيلهم من المقبرة باتجاه البوابة سمعوا صوت ضحكات ساحرة تأتي من خلفهم، باتجاه القبر الذين كانوا قبل لحظات يحفرون فيه.



شعروا بدقات قلوبهم تتسارع وروحهم تكاد تهرب تاركة أجسادهم خلفها، ثم يبطء شديد التفتت جمره لتفعل مثلها ندى فيجدوا خاتمة تجلس فوق القبر وتمسك بيدها وشاح أصفر ملفوف على شكل عقدة. تذكر جمره جيدًا ذلك الوشاح وما في داخله، ذلك هو العمل الذي فعلته والدتها لمياسم.

كانت ندى ترتجف خوفًا، لتسقط على ركبتيها من هول ما شاهدته وهي تقول بصوت يخرج منها بصعوبة:

- جمره، ما هذا المخلوق؟

عندها نطقت خاتمة موجهة كلامها لجمرة بتهديد واضح:

- هذه التي بجانبك، أستطيع الآن الاستحواذ على جسدها بسبب خوفها ويمكنني أن أقتلها الآن أمامك.. ما رأيك؟

- هي لا شأن لها، اتركها وافعلي ما تشائين بي.

ابتسمت لتظهر أسنانها السوداء المتآكلة بالكامل ونهضت من مكانها لتقترب ببطء ثم سرعان ما أصبحت أمامها بلمح البصر تتلمس خصلات شعرها المتناثرة وهمست لها:

- لكنني لا أستطيع للأسف الحصول عليك قبل قتله، أيتها القربان.



ثم نظرت نحو تلك العقدة التي بين يديها بتأمل شديد وقالت:

- غيبة والدتك، يا لها من غيبة ظنت أنها تمتلك من الذكاء ما يفوق عقل القرين، أقوى وأذكى فصائل الجن، لكنني لن أجعلك تعودين لمزرك حاتبة بعد كل ما فعلته أنتِ و...

طرت نحو ندى والتي لم تعد تقوى ما تشاهده أمامها فسقطت معنبا عليها في ذات اللحظة لتكمل:

- هذه الضعيفة.

ثم اختفت من المكان بلمح البصر لتسقط العقدة بجانب أقدام جمرة، أمسكت جمرة بتلك العقدة وسحبت ندى وهي تصرخ للخادمة والحارس والذين فور سماعهم لصراخاتها ركضوا نحوها والفرع مرسوم على وجوههم لتقول:

- ساعدوني بحملها، الآن.

قال الحارس بتوتر وخوف:

- ماذا فعلتم هنا!

- لا شأن لك.



أخرجت المتبقي من الأساور الثلاث الذهبية وقذفتم له وقالت:

- والآن ساعدنا بحملها.

فور وصولهم للسيارة المركونة في خلف أسوار المقبرة، توجه بهم السائق للمنزل وقالت الخادمة مينا:

- ماذا علينا أن نفعل، ثيابكم متسخة بالكامل وندى مغشي عليها.. لا يمكن لنا الذهاب للمنزل هكذا..

حاولت بكل ما تستطيع إفاقة ندى والتي فور استعادة وعيها بدأت بحضن أختها والبكاء وهي تقول:

- ما هذا الذي شاهدناه يا جمره؟

- لا عليك، هم جبناء جدًا جبناء يجيدون صنع الوهم لن يستطيعوا فعل شيء لك.

كانت ترتجف من شدة الخوف، ترتجف وبدأت حرارة جسدها ترتفع. حاولت هي والخادمة فعل كل ما يستطيعون للسيطرة عليها لكن دون جدوى، أصبحت حالتها تزداد سوءًا كل لحظة لتصرخ للسائق:

- اذهب بنا إلى أقرب مشفى.



في منزل الشيخ ماجد وعند صعودهم للدور الثالث فور سماعهم
لصوت صرخات مياسم. خرج ليث في ذات اللحظة التي ركض فيها
والديه للأعلى ليلحق بهم.

كانت تجلس على سور سطح المنزل، برداءها الأبيض وضحكاتها
الشيطانية بينما أعينها مليئة بدموع الخوف.
وفور وصول ثلاثتهم إليها خرج صوت رجولي من داخلها قائلاً:

- أنت يا ماجد لم توفِ بوعدك لنا.

كان يقترب على مهل محاولاً منع أخته من السقوط وهو يقول راجياً:

- لقد فعلت كل ما طلبتموه مني، أحضرتها، عاملتها كما أعامل
الأنثى.. أرجوكم اتركوا مياسم، يكفيها العذاب الذي لاقتة طوال هذه
السنوات.

في تلك اللحظة ظهر صوت أخته الذي افتقده منذ سنوات طويلة
تقول له:

- أنقذني أرجوك.



ليتقدم نحوها وملاحمه مليئة بالذل والخضوع وهو يرجوهم أن يتركوها بحالها ليقول له الشيطان هام ناطقاً:

- إن أردتها فلتأتي لتأخذها.

ومد يدها باتجاه أخيها الذي تقدم سريعاً غير مصدق، وقبل أن يمسكها ابتسمت له ابتسامة بريئة افتقدتها منذ سنوات لتتحول تلك الابتسامة بلمح البصر إلى ذات الابتسامة الشيطانية التي استحوذت عليها ثم قذفت بنفسها بكل قوة من أعلى سطح المنزل، ولكن يده كانت أسرع من سقوطها فأمسك بيدها وهو يقول بتحدي هذه المرة:

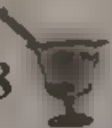
- لن أترك اختي وإن أبيتم أيتها الشياطين.

ركض ليث نحو أبيه وحاول مساعدته، ولكن وقبل وصوله نطق ذلك الجسد الذي ظل معلقاً في الهواء بصوت شيطاني مخيف:

- إذا فأهلاً بك إلى الجحيم أيها الشيخ الجليل ماجد.

ثم تحولت عين ماجد إلى اللون الأبيض وسقط برفقة أخته دون مقاومة منه.

عند وصول ليث شاهد والده بجانب جثة عمته مياسم بينما بركة من الدماء أسفلهم.



جمرة —

تلك الصدمة، ارتسمت أيضًا على وجه السيدة مها، ثم سرعان ما بدأت بالبكاء وضرب نفسها وهي تركض باتجاه الأسفل نحو جثة زوجها وضحيتهما لتقترب منهم وتقول:

- ماجد أرجوك، لا ترحل.. لا ترحل قبل أن تسامحني أرجوك.

ما أبشع من الموت إلا قلة الحيلة،

وشعور الندم بعد فوات الأوان..

(17)

لقاء بعد طول غياب

مرت سنة بأكملها على الحادثة، علم خلالها ليث كل الأسرار من حوله وعلمت ندى الجزء الذي كانت تجهله منها.

لقد أصاب الجنون السيدة مها بسبب تأنيب الضمير الذي يعتصر نفسها. لم تعد تستطيع إصلاح شيء بعد الآن، فمن كانوا يعانون بسببها قد ذهبت أرواحهم للقاء ربها.

يسا جمرة، عادت لمنزلها، منزل والديها محاسن ومالك وبدأت بالعيش فيه وحيدة منعزلة عن الجميع.

كلما ذهبت لشراء شيء في تلك القرية المتهترئة تسمع همسات الجميع حولها، ذات اخمسات التي كانت تصيب قلبها بقولهم ابنة الساحرة لكنها هذه المرة لم تعد تبالي، تأخذ ما تحتاجه بهدوء وتعود لمنزلها دون أن تنطق حرفاً.

دت يوم ذهبت كمعادتها إلى بائع الخبز في الصباح الباكر بعد ليلة مليئة بالكوابيس. كان المكان مزدحماً بالكثير من الرجال والنساء وبعض

الأطفال، جميعهم قادمون لأجل ذات الهدف، شراء الخبز الطازج استعدادًا للإفطار.

لاحظت صوت طفلة من خلفها:

- لكن يا أمي أنا لا أريد الخبز، بل أرغب بشراء الحلوى.

- لقد تناولت الكثير منها بالأمس، لتجربي الخبز هذه المرة يا جمة.

شعرت بالغرابة، فمن سيجعل نفس اسمها؟ لا يمكن لأي أحد أن يسمي ابنته بهذا الاسم الغريب عدا والدتها.

أدارت وجهها باتجاههم لتنظر إلى وجه (رُبا) المغطى بقطعة قماش توضح ملامحها الجميلة والتي أصبحت أكثر جمالاً ونضجاً عن ذي قبل لتصرخ:

- رُبا، هل هذه أنتِ حقًا!

تلك الأخيرة لم تكن تستوعب أن ما تشاهده أمامها هي ذاتها جمة التي اعتبرتها أكثر من أخت لها، جمة صديقتها العزيزة فعانقتها بكل قوتها وهي تبكي دون أن تستطيع النطق بأي كلمة.



بعدها بلحظات قالت:

- لم أكن أتوقع أن تكوني متواجدة هنا يا جمرة، أخبروني أن أخبارك قد انقطعت منذ..

صمتت للحظات ثم أكملت عنها الأخرى بابتسامة

- منذ موت والدتي.

قاطع حوارهم رجل عجوز يقول:

- إن كنتم ترغبون بالثروة في الصباح فابتعدوا عن الطابور لنستطيع الشراء.

شعروا جميعهم بالخجل فأمسكت رُبا بطفلتها وذهبوا إلى منزل جمرة بعد شراء الخبز من البائع.

كل واحدة منهم أخبرت الأخرى عما حصل لها بعد آخر ليلة جمعتهم سرياً، ثم ما إن أفرغت جمرة كل ما في جعبتها لتقول لها رُبا:

- نصتك مؤلمة يا جمرة، لا أعلم كيف تحملت كل ذلك، ولكن دعني أخبرك ما حصل لي، ستصابين الدهشة..

ملحق

(قصة رُبا)

بعد رحيل جمرة عن منزلهم تم تأجيل زفاف رُبا لعدة أشهر بسبب مرض أصابها ثم بعدها تم تجهيزها رغماً عنها على الزواج من ذلك الرجل الذي اختارته لها والدتها طمعاً بالمال.

تم إرغامها على الموافقة دون رؤيته، بكت كثيراً كالأطفال تماماً خوفاً من مصيرها المعدم والذي يشابه مصير أختها حسناء. كانت أختها تواسيها دون حول منها ولا قوة لمنع هذا القدر من الارتطام بأختها كما فعل بها.

غريب ما يحدث لهم، ألم يقولوا أن العائلة تحوي الكثير من القصص المختلفة لكل فرد منها.. أحدهم له قصة سعيدة والآخر قصته حزينة ولعل بعضهم تكون قصصهم مأساوية، فما بال قصتها هي وأختها تتشابه هكذا، يمتلكون الحظ السيء ذاته الذي جلب لهم أزواج بعمر أجدادهم.

بدأ الاحتفال بزفاف رُبا، ووضع لها الكثير من مستحضرات التجميل لإخفاء براءتها وملاعحها الطفولية من أمام الجميع.



كانت تبكي في تلك البقعة بين أنظارهم وفي كل مرة تنتبه لها والدتها
نضرها بكل قوة على ظهرها خلسة لتمنعها من البكاء، ولكن دون
جدوى. تلك القوة التي كانت تتحلى بها ومحاولتها التعايش مع نصيبها
الأسود، كل ذلك قد سقط عندما أصبح الأمر واقعًا أمام عينيها.

تزوجت من راشد الذي كان في الخمسينات من عمره، ورحلت معه
إلى منزله في الشرقية، المدينة التي تعيش بها أختها حسناء.

في ذات الليلة التي تزوجت بها وهم في طريقهم إلى تلك المدينة
شعرت بالغضب، الكره، وبالكثير من الأشياء المتراكمة داخلها وقتها.

تمنت لو أنها تستطيع قتله والهرب بعيدًا جدًا عن والدتها، إلى أبعد
نقطة من ذلك المكان لكن الواقع عاد ليستعرض نفسه أمام ناظريها وكأنه
يحاول اثبات نفسه وأن هذه هي الحياة التي ستكون من نصيبها فقط
ولست حياة أخرى.

استسلمت بلحظة يائسة لكل ما يحدث وما سوف يحدث، ولكن،
وفي غفلة بسيطة فعلها زوجها بسبب نظره المتواصل لها اصطدمت تلك
السيارة الفارحة بإحدى الشاحنات.



لقد خرجت روح زوجها من جسده في ذات اللحظة التي وقع فيها الحادث بينما هي لم يصبها شيء أبدًا، لقد حالفها الحظ وحماها قدرها لسبب لا تعلمه.

عادت إلى منزل والدتها، عذراء دون أن يلمسها ذلك الرجل ومحملة بالكثير من الأموال التي ورثتها منه.

كانت سعادة والدتها بهذه الأموال قد فاقت سعادتها بنجاة ابنتها، لتستولي على كل الأموال دفعة واحدة وتبحث في ذات اللحظة على زوج جديد وهذه المرة أرادته كبيرًا جدًا في عمره لتقذف إليه رُبًا لعل الحظ أيضًا يحالفها ليموت وترثه.

بهذه اللحظة صرخت حسناء والتي كانت حامل وقتها على والدتها:

- ألا تخافين الله يا أمي، أخجل من الأساس على قول هذه الكلمة لك!

صرخت في وجه ابنتها:

- ما شأنك، عزيزتي رُبًا موافقة على ذلك، وكل ما افعله لتأمين السعادة لكم.

سقطت دموع رُبًا لتبكي وتقول:

- كلا، لست موافقة على كل ما تفعلينه بي وبأختي، ثم إن هذه الأموال لي أتركها ودعينا نرحل أنا وحسنا من هنا.
لتكمل حسنا:

- إن أردت الزواج يا والدي، لتفعلني وخذي أنت أولئك العجزة
نكر لا نكرري تلك الغلطة الشنيعة التي أوقعتنا بها.
بدأت بالصراخ عليهم لإيها مهم أنها هي الوحيدة التي تعلم ما هو
أفضل لهم، ثم قالت موجهة كلماتها نحو حسنا:

- وأنت ما الذي جلبك الآن إلينا، اذهبي إلى منزل زوجك!
بدأ الغضب يتضح على وجه حسنا لتصرخ عليها:

- لا أرغب بالرجوع له، لقد ضربني وجردني من كل ما أملكه من
ثياب ومجوهرات ثم قذف بي خارجاً عند علمه بحملي، أرجوك ارحمني
سني ودعيني أنفصل عنه.

بدأت والدتهم تفقد أعصابها، فور معرفتها برغبة حسنا بالانفصال
سنة منها وتضربها بكل قوتها وهي تصرخ:
انطلاق ممنوع أيتها العاق، هل تفهمين!

في تلك اللحظة ضربت حسناء فحاولت رُبا أبعاد والدتها عنها وهي تصرخ:

- ابتعدي عنها فهي حامل لا تؤذيها.

لتضرب منيرة بدون قصد على بطن حسناء فتفقد الأخيرة أعصابها وتدفعها بعيدًا لتسقط والدتهم ويرتطم رأسها على حافة إحدى عتبات المنزل. حاولوا إسعافها كثيرًا، حيث اتضح على حسناء الانهيار، ولكنها ظلت متماسكة لأجل اختها وفور أن جاء الإسعاف بلحظات قليلة كان جسد منيرة خاليًا بلا روح فيه.

بدأت التحقيقات للأختين فتحملت حسناء كل الذنب بقولها:

- لقد دفعتها بدون قصد مني لحماية طفلي، لا دخل لرُبا فقد كانت تحاول إبعادنا عن بعضنا لا أكثر.

حكم على حسناء بالسجن في عنبر القاصرات فقد كانت لم تتجاوز الثامنة عشرة بعد وقد انجبت ابنتها في ذلك السجن لتطلب من رُبا أخذها والاعتناء بها بعيدًا عن هذه الزنزانة.

- لكنني لا أعلم كيفية الاعتناء بالأطفال يا حسناء..



- لديك الأموال التي ورثتها من زوجك، اجلي خادمة لتهتم بك

رأها.

تساقطت دموعها رغماً عنها وقالت:

- لكنني لا أرغب بالعيش وحدي وأنت هنا، وحيدة.

ابتسمت حسناء لها وربت على ظهرها لتقول:

- لا يهم، عندما تكبرين وتصلين لعمر الثامنة عشرة تستطيعين
تنازل عني لما تسببت به في والدتنا، وربما يفرج عني لنعيش سوياً من
حدي.

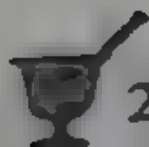
نظرت رُبا لتلك الطفلة والتي كانت تشبه والدتها كثيراً، لقد رفض
ابح حسناء استلامها وطلقها فور علمه بقتلها لوالدتها فقالت لها:

- ماذا نسميها؟

- اختاري لها اسماً وسأقبل به.

عسا لم يأتي في بال رُبا سوى جمرة لتقول بتردد:

- هل أستطيع تسميتها جمرة كاسم صديقتي؟



صمتت حسناء لبعض الوقت فشعرت الأخرى أن الاسم سيء،
ولكن قبل أن تنطق قالت لها:

- لنسميها جرة، أنا موافقة.

مرت سبعة أعوام وجمرة الصغيرة تظن أن رُبا والدتها بينما تلك
القابعة في السجن والتي يزورونها كل نهاية أسبوع تكون خالتها لا أكثر.

لم تمنع حسناء بكل هذا، فهي التي أرادت هذا الأمر منذ البداية. لم
ترغب أن تعلم جمرة بشأن سجن والدتها، أرادت لها حياة بسيطة خالية
من الهموم والأحزان.

وصلت رُبا لعمر الثامنة عشرة وفور أن أصبحت تستطيع التنازل
عن مقتل والدتها لم تتردد مطلقاً، ذهبت للتنازل لتخرج حسناء بعدها
بأشهر حين شملها العفو العام بأيام ليعيشوا جميعهم حياة بعيدة عن
تسلط والدتهم وطمعها رغم تأنيب الضمير الذي كانا يعيشان به ونظرة
المجتمع لهم.

أخبرت حسناء ابنتها بعد الاتفاق مع رُبا، بالحقيقة وأنها هي والدتها
لكن الأبنة رغم تقبلها بصعوبة لذلك التغيير، كانت تنادي تلك الخالة
بوالدي وتلك الأم بالخالة حسناء.



قلت جمرة وقد تملكتهما الدهشة من قصة صديقتها وفي ذات الوقت
سافطت دموعها فرحاً بسبب تسمية صديقتها ابنة اختها باسمها.

- أشكرك، لقد توقعت أنك نسيته يا رباً فور رحيلي، لم اتخيل أن
صداقتنا ستبقى مستمرة رغم ابتعادنا عن بعضنا البعض.

حضنت رُباً جمرة وقالت لها:

- أنتِ صديقتي الوحيدة، وقد أسميتها بهذا الاسم تفاؤلاً للقياك من

حديد.

- ولكن هل يعقل أن يحدث لكم أنتِ وأختك سيئة الحظ كل هذا!

- لقد حصل..

ثم تبسمت بخجل لصديقتها جمرة وقالت لها:

- وسأخبرك بشيء آخر أيضاً، زفافي بعد أسبوع من الآن، لقد
حظي أحد الضباط حيث إنه كان يشاهدني عندما أذهب لزيارة حسناء
يعرض علي الزواج فور وصولي لعمر الثامنة عشرة.

كنت تبسم بسعادة وكأن سعادة الأرض بأكملها بين يديها
وأكملت:



- تخيلي يا جمره، ليس كبيرًا إنه فقط يكبرني بما يقل عن عشرة أعوام
لا أكثر، ولم يسبق له الزواج من قبل كما أنه يطلب مني مرارًا إكمال
تعليمي ويرحب بأختي حسناء وأبنتها للعيش معنا، وكأنه هدية من
السماء لي:

عانقتها جمره وقالت بسعادة ظاهرة على وجهها:

- أنتِ تستحقين، منذ زمن وأنتِ تستحقين حياة جميلة يا عزيزتي رُبا
والآن قد جاء إليك ما تستحقينه فهنئيًا لك.

كانت جمره الصغرى تلعب بإحدى الألعاب في طرف الفناء
الخارجي، ثم سرعان ما جاءت إليهم وهي تبكي في حضن رُبا وتقول:

- هنالك امرأة مخيفة جدًا لقد ضربتني بكل قوة.

شعرت رُبا، بالخوف فقالت لصديقتها جمره:

- هل هم إلى الآن هنا؟

اومأت تلك الأخيرة برأسها إيجابيًا بكل يأس وقالت:

- وإلى آخر الزمان، لن يرحلوا.



ثم نظرت لجمرة الصغرى لبعض الوقت وأكملت:

- عليك الرحيل من هنا ولا تأتي إلى المنزل، سأتي أنا إليك كلما سمحت لي الفرصة.

كانت رُبا، تحاول تهدئة ابنة اختها حيث نهضت وقالت قبل رحيلهم:

- لماذا لا تأتين للعيش في منزلي أنا وحسنا وتتركين هذا المنزل لهم؟

ابتسمت لها جمرة بسخرية وقالت:

- المنزل ليس مهم، بل أنا التي أهمهم، أينما أكون سيكونون، ولا أربب بانتقالهم لمنزلكم.. أرحلي لا عليك استطيع التعامل معهم.

ودعت صديقتها وابنة اختها لتغلق الباب، وفور أن أغلقته سمعت صوت امرأة تناديهما لتلتفت للوراء فتجدها مياسم متعلقة على إحدى الأغصان في الفناء وتنظر إليها بابتسامة ساخرة.

بدأت بقراءة المعوذات، بصوت عالي جدًا فتحول وجه مياسم السحر إلى غضب شديد ثم اختفت من المكان.



لم تعد جمرة تخافهم، لقد ملت من ألا عيبهم القذرة، ومحاولاتهم زرع
الرعب داخل قلبها لتخضع لهم. هم يعلمون جيدًا أنها خسرت في حياتها
الكثير، لم يعد لديها المزيد لتخسره.

بدأت بتنظيف منزلها الذي كان موحشًا رغم كل محاولاتها لزرع
البهجة داخله. حتى جاء المساء لتصلي العشاء وتذهب للنوم بعد يوم
طويل جدًا.

بعد ذلك اليوم، لم تعد تشعر بوجود خاتمة، تلك الهمسات
والهلوسات التي تغرسها داخل عقلها لتصنع أمامها أجساد الأموات في
محاولة منها لإخافتها، جميعها اختفت.

شعرت بالغرابة، مرت ستة أيام دون أي شيء مريب، ظنت أن هناك
ألا عيب قادمة بعد هذا السكون الطويل لتصرخ في الفناء:

- أين أنتِ أيتها الشيطانة، أين أنتِ يا جالبة الهم واليؤس، هل انتهت
ألا عيبك، هل قررت الرحيل أخيرًا؟

لا محيب، شعرت بالراحة والسكينة تناسب داخل قلبها، هل يعقل
أنهم جميعًا قد رحلوا عنها أخيرًا لتعيش باقي أيامها في هناء.



ابتنامة خرجت منها لأول مرة منذ سنة جعلتها تسجد بعدها لله
شكرًا. ظنت أن البلاء قد رحل أخيرًا وتلك اللعنة، لعنة "القربان" لم يعد
ما وجود بعد الآن. لتركض إلى منزل صديقتها رُبا لتبشرها، ولكن وقبل
أن تفتح باب المنزل تذكرت شيئًا هامًا، اليوم ستكون ليلة زفاف رُبا. لقد
سبب هذا الأمر رُغم وعدّها لها بالحضور، شعرت بالحيرة حيث إنها لا
تلك شيء ترتديه يناسب هذه المناسبة.

تذكرت تلك الأكياس المليئة بالثياب، الطعام وبعض النقود التي
نخلها لها ندى، كل نهاية شهر مع السائق. لم تكن تتوقع أن تلقى داخلها
شيء يناسب هذه الحفلة، فقد تفقدتها من قبل لكنها تفقدتها مرة أخرى
في محاولة يائسة منها لتشاهد بين أكوام الطعام والثياب اليومية فستان
أدرك اللون، لم تشاهد مثله قبلاً رُغم خبرتها الواسعة بالثياب وآخر
إصدارات المصممين لها.

لم تتردد لحظة على حمله في حقيبتها والذهاب لمنزل صديقتها رُبا، فور
وصفها التقت بحسناء وابتنها التي حضنتها بكل قوة تعبيرًا عن شوقها
لها.

كان وجه جرة خالي من مستحضرات التجميل وشعرها منسدل
دون أن تفعل به أي شيء لتزيينه.



ذهبت لعرفة زباء، وقل أن تقول أي شيء لها حياء حساء،
وأجلستها بجانب صديقتها التي كانت إحدى العاملات المختصات
بتزيين العرائس تقوم بتجهيزها.

بدأت حساء بتزيين جرة وقالت زباء:

- لا تقلقي، فحساء ماهرة جدًا بهذا الأمر وقد طلبت منها تزييني
بدلاً من جلب أحد آخر لكنها رفضت، أستطيع أن أقول أنك ستكونين
أجمل مني في هذه الليلة.

ابتسمت جرة، وقالت:

- حساء، لا عليك أستطيع الاهتمام بنفسك عليك تفقد المدعوين في
الخارج.

- لا عليك، جرة الصغيرة تقوم بدورها بكل براعة.

في تلك الأثناء كنت جرة الصغيرة ترحب بالمدعوين وترشدهم إلى
أماكنهم. وعندما حضرت "المطربة" مع فريقتها لم تجد سوى الطفلة تنوم
بانتقابها لتقول:

- أين هم أصحاب المنزل؟



- هل أنتِ "المطربة" تسنيم؟

- صحيح.

- تعالي معي..

شعرت تلك "المطربة" وفرقتها بالغرابية، ولكنهم تبعوا الطفلة
يرتدوهم إلى مكانهم وقالت لهم:

- ستأتي والدتي بعد لحظات، رجاء يمكنكم البدء بالعزف فقد
صعب الجميع بالنعاس بسبب تأخر ك.

غضبت تلك "المطربة" وأرادت الصراخ في وجه الطفلة، ولكن
حصى فتيات الفرقة منعتهن وقالت:

- الطفلة معها حق، لقد تأخرنا.

ليبدأن بعدها بالعزف والغناء على مسامح الجميع.

لم يمر سوى القليل لتنتهي حسناء من تجهيز جمره فأصبحت كالملاك
حيث أسدلت شعرها المموج على كتفها وارتدت ذلك الثوب الأزرق
الذي كان جميلاً جداً عليها.



كان ينظر إليها مبهورًا بجماها، لم يكن يتوقع أن ذلك الثوب سيزداد جمالًا عندما ترتديه، حيث أصبحت كملاك فعلاً في تلك الحفلة.

لم يستطع همام إبعاد عينيه عنها، لقد سلبته هذه البشرية عقله، تمنى لو كان في تلك اللحظة بشري بجسد واهن لا أكثر فقط لكي تكون من نصيبه.

لم يحسد في حياته ذكور البشر إلا في هذه اللحظة، عندما يتعلق الأمر بمحبوبته يحسد الجميع لقربهم منها.

على سور منزل رُبا كان يجلس فوقه وعينيه لا تكفان عن التحديق بجمرة، ظهرت أخته خاتمة والشيطان ليلاس بجانبه. لم يعيرهما أي اهتمام لتقول تلك الأخت له:

- فعلت لك ما طلبت، لقد تركت نصيبي منها وقد فعل ليلاس المثل، والآن لدي فضول حول كيفية حصولك عليها.

بتلك اللحظة اتضح الانزعاج على وجهه لينظر لأخته قائلاً:

- لا شأن لك، لماذا لا ترحلين، ألم ترغبي منذ زمن بالخلاص من القيود التي تكبلك بذلك الجسد، أخبرتني برغبتك رؤية العالم.



أشار بيديه الاثنتين نحو اليمين والشمال ليكمل:

- هيا انطلقى، اذهبي لرؤية العالم، فهذا العالم الآن بأكمله مفتوح لك.

ثم نظر إلى ليلاس ذلك الطفل الذي قذفه قدره نحو البشري مالك راطمعه ثم بعدها قذفه لخدمة خاتمة وأنانيتها وقال:

- وأنت، لماذا لا ترحل لعائلتك؟

نظر بتوتر ناحية خاتمة، ليفهم سريعاً همام ما يعنيه فقال لأخته:

- افسخي تلك العقود بينك وبينه، فهو لا يستطيع فعل شيء لك.

- لكني قد أحтажته، لا تعلم ماذا سيخبئ لنا القدر يا أخي.

صمت قليلاً ثم قال:

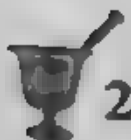
- إن أتلفتى تلك العقود بينك وبين هذا الطفل المشؤوم سأهديك

طريقة الوصول إلى غايتك، حديقة الحياة وما بداخلها من كنوز.

نظرت إليه بفضول جديد فأكمل:

- هناك، حيث كتاب (العرين)، شيطانة الخسوف (ملائك)، تعلمين

عنها الكثير لقد كانت محبوبة ذاك الجسد. عليك امتلاكها وتحريرها منه



لتصبح خادمة لك، فهي الوحيدة المخولة بالدخول إلى أعماق نقاط الأرض نحو بوابة الجحيم للحصول على الكنوز المدفونة داخله.

- كيف أفعّلها!

- لا أظن أنك تغفلين يا خاتمة، عن طريقة فعل هذا الأمر البسيط..

بتلك اللحظة أخرجت العهود وأتلفتها على مرأى من همام وليلاس لينهض ذلك الأخير وينظر إلى جسده والسعادة مرسومة على وجهه ليصرخ قائلاً:

- أنا حر، أنا حر.

ثم اختفى من أمامهم بعدها بلحظات. وودعت خاتمة همام بجملة ساخرة قبل رحيلها حيث قالت:

- لقد جلبت لنفسك تعاسة لا تنتهي يا همام.

لتختفي هي الأخرى كذلك تاركة ذلك القرين ينظر إلى محبوبته وهي ترقص بين النساء نظرة حب قد امتلك بها كل سعادة هذه الأرض وما حولها.

انتهى الاحتفال لتعود جمرة متعبة إلى منزلها وقد غلبها النعاس قبل أن تخلع رداءها.



ابفة قلبي

حيث عتمة الليل بعد نومها بقليل أصبحت تشعر بأنقاسه حولها
لتهض فزعة ثم تغمض عينيها وهي تردد لبعث القليل من السكينة
لروحها الميتة ككل ليلة، لقد خاب رجاءها، ظنت أنهم رحلوا لكنهم ما
زالوا حولها:

- إنهم جبناء يا جمرة، جبناء يجيدون صنع الوهم.

تلك الهمسات التي ترددها فور قربها منها كانت تقتله، لقد فعل
الاستحيل للحصول عليها، وها هي الآن بين يديه. أخذ بالقوة نصيب
خاتمة وليلاس ليعود الأخير إلى والديه بعد إجبارها على التخلي عنه
بفضل همام.

لماذا لا يستطيع الحصول عليها، رغم وجودها بقربه الآن. لماذا لا
تألفه، رغم محاولاته الكثيرة لتقبلها له.

قرر أن يتجراً في تلك اللحظة، ويتحدث معها عن كل ما يجوب
داخل قلبه. في عتمة الليل بينما هي تحارب خوفها ومحاولاتها الفاشلة
لغمض عينيها، سمعت صوته بجانب أذنها اليمنى:

- أرغب بالحديث معك.

كان صوته هذه المرة هادئاً، مليئاً بالسكينة على عكس ذلك الصوت الذي ألفته منه. تجرأت لفتح عينيها حيث لأول مرة يظهر لها دون أن يشير مخاوفها، هي تعلم من يكون، همام. ذلك الذي أصابه هوسه بها إلى قتل سبعون جان بالإضافة إلى أخيه.

قال لها في تلك الغرفة المظلمة والسواد الذي يتلبسها:

- لماذا لا ترضين بي زوجاً يا جمة.

- كيف تتزوج إنسية من قرين يا همام؟

- لقد فعلت المستحيل لأجلك، أضعاف ما فعله ذلك البشري الذي ترتدين قلادته.

ذلك الصوت الرجولي صاحب التهويذة المخيفة، والذي لطالما كان مصدر رعب لها. ها هو الآن يرجوها بصوت مرتبك، مليء باليأس راغباً منها أن تقبل به.

لم تستطع أن تنطق حرفاً واحداً، هل تعاتبه على كل الأفعال الشيطانية التي فعلها برفقة إخوته لمئات البشر بمن فيهم والديها. أم ترجوه بالرحيل عنه كما يرجوها الآن، ليركها تعيش ما تبقى من عمرها في سلام.



هي تعلم أنه لن يستطيع تفهم كل ما ستقوله له، لن يفهم أبدًا، لتغمض عينيها وتردد بصوت مرتفع:

- هم جنباء يا جمرة، جنباء يجيدون صنع الوهم.

كررتها كثيرًا حتى شعرت برحيله، لتبكي بعدها وتدعو الله أن يخرجها من كل هذا السواد حولها أو ليأخذ روحها البائسة من هذه الأرض.

في صباح اليوم التالي دق باب منزلها، لأول مرة يتم قرع الباب.. شعرت بالغرابة وظنت أنه إحدى الباعة المتجولون يحاول بيع بضاعته حيث إن موعد زيارة ندى لها لم يأتي بعد.

فور فتح ذلك الباب المهترئ ليصدر ذات الصوت الذي لطالما كرهته، تحولت ملاحظتها للدهشة عند رؤيتها من هم خلفه.

لقد كانت ندى وليث الذي كان يحمل الكثير من الهدايا بين يديه. دنت ندى تزورها شهريًا وكثيراً ما ترسل سائقها ليُلبى حاجات جمرة، ونكها لم تتوقع قدوم ليث معها.

دنت تقف بصدمة لم تستطع النطق أبدًا، لتقول لها ندى سريعًا:

مشيت كثيرًا وتعبت، ألن تدعينا ندخل؟



نظرت نحو ليث والذي ابتسم سريعاً فور تلاقي أعينهم لتقول

بعدها:

- بلا بالتأكيد يمكنكم الدخول.

في فناء المنزل حيث كان كل شيء قديم، وبعضه مهترئ. ذهبت لتجلب الشاي، وفور جلوسها قال ليث:

- هل أنت بخير هنا يا جمة، هل حصل لك مكروه؟

ابتسمت له لتظهر له أكثر ما يحبه "غمازتيها" وقالت:

- إلى الآن لم يحصل لي شيء كما ترى أنا قوية.

عندها نطقت ندى وقالت بعد لحظة من الصمت:

- تعلمين أن ليث يعلم عن كل شيء.. كل شيء عنك وعن والداي،

ولكنه رغم كل ذلك يريد الزواج منك، هل تقبلين به؟

لاحظ "قلادته" التي جلبها قبل سنة لها كانت ترتديها لتزين بها

عنقها، شعر بمشاعر السعادة تجوب داخل قلبه.

لكنها لم تستطع، لم تستطع الموافقة فهناك مخلوق لن يدعها تأخذ

غيره وإن كلف الأمر قتلها وقتل ليث معها.



صمتت قليلاً واتضح الحزن على وجهها، ولكن وقبل أن تنطق
بالرفض سمعت همساً داخلها، ذات الصوت الرجولي الذي تعلم
صاحبه جيداً يقول لها:

- وافقي، إن كانت سعادتك معه وافقي.

لتحول ملامح وجهها التعيسة إلى فرح ظهر فجأة على وجهها
لتقول:

- أنا موافقة على ذلك.

فتساقط دموعها فرحاً من تخلي همام عنها وتمسك ليث بها.

في ذات المكان وفي زاوية بعيدة عنهم، كان يجلس على ركبتيه، ينظر
إلى السعادة المرسومة على وجهها بقلب بائس وعينين توشكان على
سكب ما في جعبتها من دموع.

ظهر له من العدم، صديقه أحزم وقال له:

- هل ستركها له، لا يجب عليك ذلك.

- لكنني أحببتها، حباً صادقاً يجعلني أتمنى رؤيتها سعيدة وإن كانت
سعادتها ستكون سيئاً بهلاكي.



نظر أحزم نحو السماء متذكراً شخصاً قد رحل منذ زمن وقال
بحمرة:

- الآن علمت لماذا القرين يفوق سائر عشائر الجان حكمة وقوة، لم
أستطع فعل ما تنوي فعله الآن رغم محاولتي حتى قتلتها في لحظة غضب،
قتلت أحب الخلق لي بدافع الأنانية، أنانية عاشق.. بينما أنت تفعلها بقلب
جريء يا همام.

لم يحبه، بل ظل صامتاً يراقب ملامح وجهها التي تبدلت بلحظة
واحدة إلى السعادة فور إخبارها بتخليه عنها. مؤلم جداً ما يشعر به همام
في تلك اللحظة، مؤلم جداً أن تقتل روحك بينما هي ما تزال في داخلك.
ليقرر سريعاً الرحيل، تركها في عهدة من أحبته ورحل بعيداً، نحو
عالم الشياطين.



ما بال قلبي لا يالف غيرك،

.....

وكانك قطعة مأخوذة منه.

بدأت مراسم الزفاف، في ذات المنزل الذي عاشت فيه أجمل أيام حياتها، رغم سوء نوايا بعض ساكنيه سابقًا.

زفت بثوب زفاف تم جلبه لها من أرقى المتاجر في فرنسا ورغم محاولة ندى أن تترع القلادة التي جلبها لها ليث لتضع المجوهرات التي تليق بثوبها بدلًا منها لكنها رفضت وقالت - أحبه، أرجوك لقد وعدته ألا أنزعه.

- لكنه لا يليق مع فستان زفافك يا جهرة، أترغبين أن يسخر الناس منا؟

لتنظر إليها برجاء قائلة:

- أرجوك، لا أرغب بنزعه، ضعي تلك المجوهرات فوقها فلا أحد سيلاحظ.

لتفعل ندى بعد يأسها ما اقترحته لها جهرة حيث وضعت أفخم المجوهرات فوق تلك القلادة.

في تلك اللحظة فتح الباب لتدخل السيدة مها برفقة مينا التي كانت تساندها للمجيء وقالت:

فور رؤيتها لها بثوب زفافها بإبتسامة ظهرت لأول مرة منذ سنة من الاختباء في جناحها:

- أخيرًا يا جمرة أتيتي، ظننت أني لن أراك ثانية.

كان شعورًا غريب، داخل جمرة فهي رغم كل ما فعلته تحبها. كما تحب ولديها محاسن التي فعلت الكثير من الأخطاء أيضًا. فمن فينا لا يخطئ، نحن بشر في نهاية المطاف، نتأرجح بين الخير والشر وهذا ما يجعلنا بشرًا لا ملائكة.

ذلك ما كان يجب داخل عقلها مما جعلها تحتضن السيدة مها وتقول

- أنا أحبك، لا تحزني فمن منا لا يخطئ يا أمي.

لأول مرة تنطق هذه الكلمة لها مما جعل السيدة مها تبكي بشدة في حصر جمرة.



(19)

خاتمة

ذهبت إلى الكوخ المليء بالكتب بين الجبال باحثة عن كتاب (العرين). فور أن وجدته بدأت باستدعاء ملائك، لتكون خادمة لها بواسطة طريقة الاستدعاء ذاتها التي فعلها مالك، للحصول عليهم.

حيث رسمت هذه المرة تلك الدائرة بدماء النساء وبدأت بترديد العهود التي ستطبقها ملائك فور حضورها ولكن وبعد سبعة مرات من تكرار عهودها ومزج يديها بتلك الدماء ظهروا.. لم تكن ملائك متواجدة معهم، لقد كانوا حراس العرين المتواجدة رموزهم في غلاف الكتاب.

رغم قوة خاتمة، فالقرين يعد الأقوى بين الشياطين لكن تلك المخلوقات كانت تفوق قوتها عشرات المرات. كيف لقرين أضعف منهم أن يتجراً على استحضارهم.

علمت أنها النهاية، لقد غدر بها أخاها همام، حيث إنها لم تكن تعلم مطلقاً أن شياطين الخسوف لا عهود تحكمهم.

أمسك بها (الودهود) وعينيه مليئتان بالغضب ثم قذف بها على الأرض بقوة وهو يصرخ:

- كيف تتجراً أيها القرين على محاولة حكمي!



بينما تلك الأفاعي (منهل، همدل، عتزل) بدأوا بالالتفاف عليها وتناوبوا بقتلها حيث كل واحدة منهم تلتقط جزءاً منها لتناثر دمائها السوداء فتمتزج بدماء أخيها عمام الذي قتل قبل سنوات في ذات المكان. هناك فوق ذلك الكوخ كانت سُليمى تنظر إلى الموقف بسخرية، أرادت المشاركة بقتلها لكن فور رؤيتها علمت سريعاً أنهم لن يبقوا قطعة بسيطة لها ففضلت النظر لهم من بعيد..

هؤلاء الشياطين لا يمكن لأحد حكمهم، الوحيد الذي استطاع ذلك هو مؤلف العرين علي الأفرهاني، ولا يمكن أن يعرف أحد عن أسرار فعلته سوى القرين الأول فقط همام، حيث أن التوابع لا يمكن لهم معرفة كل شيء يحدث إلا ما يسمح لهم به القرين الأول رؤيته.



(20)

زوهري

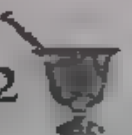
بعد مرور سنتين ونصف، بعد أن رزقت جهرة وليث ابنة اسموها
محاسن وأصبح بعمر السنة والنصف في ذلك اللحين، بينما ندى حامل
بطفلها الثاني

الحياة أصبحت أجمل، حيث استعادت السيدة مهاراتها وأصبح
تقضي نصف يومها في تحميط القرآن برفقة الكثير من النساء بعمرها.

في تلك الليلة، كانت محاسن تلعب برفقة الخادمة ميناء وحواليها
الكثير ..

بعض الأشياء، وفور خروجها من الغرفة أغلقت بابها بهندوء شديد ليظهر
رجل قن العدم ويقترب من الطفلة بنطء ثم يتوقف. أصبح ويحرك
السحرة الموحود في يده ثلاث منارات ثم يقترب أكثر فأكثر وفور أن
أصبح أمامها جلس ليكون قريباً منها وأمسك يدها الصغيرة لينظر إلى
بأطنها ثم سرعان ما ابتسم بخبث شديد، أن يرمن مطلقاً. سرعان
ما اختفت صراخات الطفلة التحول إلى بطرات خاوية لا رومح فيها ثم
أخذها واختفى من المكان.

لقد كان جابر ..



بعد انتهاء عملها مع الخادمة ذهبت الأخيرة إلى غرفة الظلمة مخاضة
تجد المكان فارغ، لا أحد فيه. بينما على جذران المكان جملة واحدة
مكتوبة بلون الدم:

(حان موعد اللقاء، دانت المكان.. وحالك!)

مررت تلك الخادمة إلى جمرة تصرخ، هل تكاد تجن، يقول:

- لا أثر لها.. لا أثر لمخاضين.

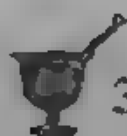
هضت جمرة من مكانها بخوف واضح قائلة:

- قد نكون عند العمة معها هل بحثي عنها ههنا!

لم تستطع في تلك اللحظة مينا التحدث كثير بسبب شدة رعبها انهز
أسانقياً وتأخذ بيد جمرة وتسحبها إلى تلك الغرفة فتجد الأخيرة تلك
الجملة المكتوبة أمامها على الجدار.

ظهرت في تلك اللحظة صورة واحدة في عقلها، لا تعلم كيف جلبتها
إلى هنا، ولكنها تبقت في الحال أن هذه الرسالة منه.

نعم تعلم جيداً بعد كل هذا العمر من جهلها أنه كان طامعاً
فيها، الذي تعد كنزاً لدى الشياطين والسحرة، وقد أورثت جزءاً



منه إلى ابتتها محاسن لتعتبرها جينات شيطانية قد ذهبت رغبًا عنها لتلك
الابنة التي نالت شيئًا من سوء حظ والدتها.

قالت للخادمة مينا:

- لا تخبري أحدًا، سأذهب لجلبها فأنا أعلم أين ستكون.

وكعادة تلك الخادمة التي لا تبوح بالأسرار أبدًا، نفذت الأمر لتكمل
ممارستها لأعمال المنزل وكأنها لم تواجه للتو ما واجهته.



خرجت من القصر دون علم زوجها ليث ووالدته متوجهة نحو
القرية الذي كانت تسكنها، في ذات الزقاق الذي قابلته فيه لأول مرة.

لنجدته واقفاً بابتسامته ينظر لها بخبث، ويحمل بيده ابتها التي كانت
تهدق به دون أن ترمش، وكأنها دمية صغيرة في يده، بينما يده الأخرى
تمسك تلك السبحة التي تتذكرها جيداً ليحركها بطريقة معاكسة
للمعتاد.

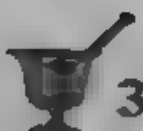
قالت له بعد أن أصبحت أمامه لا يفصل بينهم إلا مسافة قليلة جداً
وقلبها يكاد يخرج من فرط خوفها على ابتها التي ما زالت ساكنة. قالت
له:

- ماذا تريد مني ومن ابتي، لماذا اختطفتهما؟

اقرب رويداً رويداً وكلما يتحرك بخطواته ثلاث خطوات كان يسبح
تلك السبحة ثلاث مرات ثم يقترب حتى وصل إليها وقال:

- أحتاجك يا جهرة، إما انتِ أو ابتك فلتختاري بمن ستضحين..
نفسك أم ابتك؟

هي تعلم في داخلها سبب كل هذا، في الواقع هي تعلم كل شيء،
لماذا كانت قريباً من القرين بل أكثر ولماذا أيضاً هذا الساحر يحوم حولها منذ



صغرها ولكنها فضلت سؤاله عن كل ذلك لتكسب بعض الوقت كي تفكر لعلها تجد منفذًا:

- لماذا يا جابر؟ لماذا ترغب بي بهذه الشدة رغم أن ابنتي تحمل جيناتي أيضًا..

ظهرت بهذه اللحظة أسنانه الصفراء بسبب اتساع ابتسامته حيث قال:

- أنتِ مخطئة، إن كانت تمتلك ما تمتلكينه لما احتجت إليك، لكنها للأسف لم تأخذ منك كل الصفات التي نحتاجها نحن السحرة والشياطين في تقديم القرابين.. ليست زوهرية بالكامل وأنا أريد شخص يمتلك صفات الزوهرين الكاملة.

في تلك اللحظة خرجت رُبا من منزل أختها متوجهة إلى منزلها برفقة زوجها. فور خروجهم شاهدت جمرة ترافق جابر ذاهبًا إلى مكان لا تعلم عنه شيئًا دون أن تلتفت لها رغم أنها ظلت تناديهما:

- جمرة، ما بك ولماذا أنتِ هنا ومن هذا الرجل!

أرادت اللحاق بها، ولكن صوت بكاء طفلة جعلها تلتفت للوراء لتجد ابنة جمرة محاسن تبكي في منتصف الزقاق. لتصرخ على زوجها:

- الحق بهم، ثم ركضت نحو تلك الطفلة.



حاول زوجها اللحاق بجمرة وجابر، ولكنهم كانوا سريعين جدًا ليحترا في لمح البصر من أمام عينيه.

كان الأمر مخيفًا جدًا ومرعبًا، مليئًا بالضياح.. لقد اختفت من أمام عينيه هي ومن معها رغم تيقنه من أنهم كانوا أمامه.

فور حمل رُبا لمحاسن تلك الطفلة الصغيرة ذهبت وراء زوجها لعله امسك بصديقته، ولكن عند رؤيتها له وهو ينظر للطريق الخالي أمامه نظرة مليئة بالرعب حتى تيقنت أن ما حصل قد يكون له علاقة بشياطين الذين ظنت أنها تخلصت منهم.

ذهبت برفقة زوجها إلى منزل ليث والذي جاء من عمله في ذات الوقت ليتصادف معهم أمام منزله متعجبًا من حملهم لابنته التي لم تتوقف عن البكاء.

امسكها زوجها ليتناولها منه ليث ويقول بتعجب:

- ما الذي يجري هنا وماذا تفعل ابنتي معكم!

لم تنتظر رُبا لفهمه أو تفهم منه، بل ذهبت إلى داخل المنزل وبدأت بالصراخ

- حمرة، هل أنت هنا، هل جمرة موجودة في المنزل؟



ظهرت الخادمة مينا والتي يبدو عليها الرعب بعد أن شاهدت الطفلة محاسن في حوض والدها بينما جمرة لم تكن متواجدة معهم. وبسبب صوت رُبا المرتفع خرجت السيدة مها أيضًا من جناحها لتقول:

- ما الذي يحدث هنا، ما بك تصرخين يا رُبا؟

التوتر الذي يشعر به ليث وقتها والاستفهامات الكثيرة التي تدور في رأسه قد فاضت به ليصرخ:

- أخبروني ما الذي يجري وأين هي جمرة؟

عندها أخبرتهم رُبا وزوجها عن كل ما شاهدوه في ذلك المكان حتى تحدثت الخادمة مينا بعد أن عجزت عن كتم ذلك السر:

- بدأ الأمر عندما اختفت محاسن من غرفتها ووجدنا رسالة تخبر جمرة بالتوجه إلى مكان ما، لم يذكر، ولكن تمت الإشارة إلى أن جمرة تعرفه جيدًا، لتطلب مني الصمت حتى تعيد الطفلة، ولكن..

اتضح الخوف على وجه السيدة مها وابنها ليث، ليترك الأخير ابته دون تفكير منه ويركض نحو ذات المكان الذي أخبرته به رُبا.



لم يجد أحدًا، المكان خالي من أي مخلوق حيث كل الأشخاص في تلك اللحظة معتكفون في بيوتهم، ليصرخ في أرجاء المكان باسم زوجته ويطرق أبواب المنازل بحثًا عنها، ولكن دون جدوى.

مرت الأيام وجمرة لا أثر لها، لقد اختفت بحثوا عنها في كل مكان مستعنين بالشرطة، ولكن دون فائدة إلى أن بدأ يظهر عليهم اليأس والاستسلام أمام ليث ليقول بغضب:

- كيف لكم أن تتهاونوا هكذا؟ ابحثوا عنها من المؤكد أنها في إحدى أركان تلك القرية المتهالكة، لا يمكن أن تكون في مكان بعيد عنها، لا يمكن أنها اختفت في لمح البصر لتغيب عن الأرض بأكملها دون أثر، لا يمكن لذلك أن يحدث!

كل ما قاله لم يكن مجديًا، ليخرج من مركز الشرطة عائدًا إلى منزله خائبًا بعد أيام امتدت لتصل إلى شهر دون أي أثر يذكر لها.



(21)

الساحر جابر

قبل سنوات طويلة، عندما كانت والدة جابر رقية في آخر أيام حملها كانت تصارع تلك الآلام داخلها بسبب عسر ولادتها.

بعد صراع امتد لثلاث أيام أخرجت طفلها وقبل أن تسعد به جاءها خبر كالصاعقة من شفاة إحدى الجارات في أصعب لحظات حياتها:

- سمعت من زوجي أن أسلم زوجك يارقية هذه الليلة سيتزوج من امرأة أخرى.

صرخ عليها الكثيرون محاولين إيقافها عن نفث سمومها على تلك المسكينة التي تصارع الموت لتنجب طفلها، لكنها لم تبالي، بل أكملت إخراج كل ما في جعبتها:

- وسمعت أيضًا أن زوجته جميلة ولم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها بعد.

سحبته والدة رقية من أمامها وقذفتها إلى الخارج لتصرخ عليها:

- أنتِ لا تمتلكين ذرة خجل، إياك والقدوم إلى منزلي مجددًا.



لتغلق الباب في وجهها وتذهب إلى ابنتها التي كانت تبكي من شدة الألم والخذلان الذي تشعر به بسبب زوجها أسلم.

ما بال هذه الأرض مليئة بكل هذا الظلم، كيف له أن يتخلى عن رفيقة دربه ليهرب نحو شخص لا يعلم عنه شيئاً متناسياً سنيماً كثيرة مليئة بالتضحية.

بدأت بالبكاء بينما ذلك الطفل حديث الولادة بدأ يشارك والدته نصيباً من بكائها.

حاولن النساء التخفيف عنها، ولكن دون فائدة. بعد يأسهن عدن إلى منازلهن لإعطائها القليل من الوقت لترتاح بعد الجهد الذي قامت به. أمسكت والدتها سماء بابتها وقالت لها:

- سأعتني به، وأنت يا عزيزتي رقية أخلدي إلى النوم ولا تحشي شيئاً ولقد سيبصيه هو ومن قبلت به بلعنة السواد الذي زرعه في قلبك.

لم يفهمها أحد، هي لا تبكي رحيله عنها، بل تبكي تلك السنوات التي قضتها معه. تبكي ذلك الكفاح لعشرة سنوات من الفقر والحاجة، فقد تحملته سنيماً طويلة، كانت معه في أصعب مراحل حياته، والآن عندما تحسن وضعه ذهب إلى فتاة أخرى كي تشاركه الحياة السعيدة.



نظرت مكسورة إلى يديها المليئة بأثار الاصابات نتيجة خياطتها لآلاف الثياب لتساعد زوجها على حمل نفسه.

بعد أن حصل على ذلك التعويض الضخم مقابل تنازله عن قصاص قاتل ابنهم الأكبر جابر والذي لم يتجاوز التاسعة من عمره مقابل دية دفعها أهل القاتل حتى عزم على تغيير كل شيء في حياته للأفضل، وقد شمل قراره تغيير رقية بفتاة أصغر وأجمل منها في ذات الوقت.

يا لغرابة الرجال، لا يملكون من الوفاء ذرة.

قررت تسمية طفلها حديث الولادة جابر كإسم ابنها الأكبر. وقد حاولت إرسال الكثير من رجال عائلتها لمنزل زوجها الذي هجرها للاعتراف بابنه، ولكن دون فائدة فقد كان رده:

- لم أطلب منها أن تنجب طفلاً آخر، لقد جلبت ذلك الطفل لإرغامي على البقاء معها لذلك فأنا لا اعترف به.

بقي جابر دون أن يعترف والده به، حيث إنها حاولت كثيراً أخذ حقه من والده، لكن كل ذلك الجهد الذي فعلته لأجله ذهب سدى لتستسلم لواقع ابنها المشؤوم بقلب متحسر على حاله.

مرت سبعة سنوات كلمح البصر وقد ماتت رقية من شدة الهم.



كان الأمر محزنًا على والدتها سماء والتي كافحت كثيرًا لرعاية جابر
مستعينة بأموال بعض اقربائها التي ترسل لها كصدقات حتى رحلت
أيضًا بعد رحيل ابنتها بسنتين لا أكثر.

أصبح عمر جابر تسعة سنوات، وحيدًا في ذلك المنزل. يقتات على
بعض الصدقات التي ترسل إلى منزله أحيانًا.

الكثير من تلك الصدقات عبارة عن أطعمة تحتاج للطهي كالأرز
والدقيق وبسبب محاولاته الفاشلة لإعداد طعام قابل للأكل كان يتعرض
للكثير من الإصابات في أنحاء جسده.

بأس كثيرًا فشعور الجوع كالموت البطيء، ولكن رغم ذلك لم يتوسل
لجيران أي لقمة لتحجب عنه ذلك الشعور. فالكبرياء بالنسبة له أعظم
من كل الكوارث التي حلت عليه رغم صغر سنه.

في تلك الليلة التي شعر أنه قد يودع بها هذه الدنيا نتيجة جوعه أرغم
نفسه على طحن الأرز الني بأسنانه لعله ينجو.

قد رحل شعور الجوع صحيح، ولكن جاء بدلًا منه شعور أكثر
شدة والماء غريب جدًا حيث إن يديه أصبحت تمسك ببطنه ليصرخ من
شدة الألم.



في تلك اللحظة شعر بيد ثالثة تمسك بطنه ليخرج كل ما تناوله دفعة واحدة من فمه ليهدأ بعدها ويرحل عنه ذلك الألم.

استطاع عندها استجماع تركيزه ليجد القدر الذي حاول الطبخ فيه عمتًا بالأرز المطهو وقطع اللحم.

لم يبال وقتها بالتفكير عن سبب وجود الطعام هنا فجأة فقد بدأ بالأكل مباشرة بكل شراهة حتى شعر بالتخمة لينام بعدها ولأول مرة نومة هنيئة خالية من أصوات معدته.

تكرر الأمر لأيام وأيام فكل ليلة يجد القدر مليًا بأصناف مختلفة من الأطعمة، شعر أن الحياة ولأول مرة تظهر له طبيعتها التي لم يشعر بها منذ ولادته.

ظن بسبب طفوليته أن رزق من الله فقط، دون أن يفكر ماهي الوسيلة، حيث إن والدته رقية قد أخبرته سابقًا أن الرزق يأتي من الله وهذا أمر مسلم به، فربط ما يشاهده بذلك ليحمد الله عليه كل ليلة.

عاش جابر حياة هائلة في ذلك المنزل وحيدًا، فقد كان منزله نظيفًا وثيابه كذلك، بل إن رائحة البخور والأطعمة الشهية تنشقها الجيران وتعجبوا منها.



لم يكن يشاهد أحداً في تلك الأثناء حتى وصل إلى عمر الرابعة عشرة
عندها شاهد لأول مرة امرأة شبيهة بوالدته بعض الشيء تجهز العشاء

شعر برهبة من الموقف، من هذه المرأة وكيف دخلت إلى منزله. عند
رؤيتها له ابتسمت بهدوء حيث إن تلك الابتسامة بعثت له القليل من
راحة رغم الغرابة التي تحوم حوله، فسألها سريعاً:

- من تكونين!

تقرب منه فيتعد بعض الخطوات للوراء لكن خطواتها كانت أسرع
ثم بعد بفصل بينهم سوى القليل من المسافة لتربت على رأسه برفق
وتقول بعدها:

- أوصتني والدتك رقية عليك وقد وعدتها..

لم يتذكر من قبل أنه رأى والدته تذهب إليها أو أنها قد حضرت إلى
برفق حتى، فقال بشك:

- لكنني لا أذكر أن لوالدي شخص قريب لتوصيه علي، ثم لماذا
تحدثت أمر هذه الوصية الآن بعد انقضاء كل هذا الوقت على رحيلها.



لم تجبه فقال بنفاذ صبر:

- أرجوك أخرجني من منزلي، إن علم رجال القرية عن وجودك هنا
سأعرض للكثير من المشاكل.

لم تجبه أيضًا، بل اتخذت من بساط مهترئ مقعدًا لها. وطلبت منه
بإشارة من يدها أن يجلس أمامها لكنه أبى وأعاد ما قاله:

- أرحلي يا امرأة من منزلي، لا أعلم ما الكارثة التي جاءت بك إلي،
ولكنني أطلب منك الآن وبكل هدوء الرحيل.

شعرت عندها بنفاذ صبرها منه لتتحول أمام عينيه إلى قطة سوداء
اللون وتختفي من المكان.

علم وقتها أن هذه المرأة ليست إلا نفر من ذوي الحرفين فبدأ يتعوذ
الله منها ويقذف بالطعام الذي أعدته له خارج منزله.

وأدرك عندها أن كل تلك الأطعمة التي تناولها منذ صغره ونظافة
منزله وثيابه هذه الجنية أو الشيطانة هي سببها.

رغم عدم شعوره بالأمان في ظلمة ذلك الليل خوفًا من عودتها لكنه
يعلم أن بداخله الكثير من الامتنان لها.



في اليوم التالي وفي نفس الوقت شاهدها تفعل ما فعلته بالأمس حيث
كانت تعد له العشاء. كان يخافها ويطلب منها الرحيل فتذهب ليفعل
من الشيء ويخرج ذلك القدر بكل الأطعمة داخله لتعود في اليوم التالي
عبر أبيه بما يقوله.

تعود على وجودها شيئًا فشيئًا حيث أصبح يجلس بعيدًا عنها حتى
تنهي وتختفي من أمامه ليتناول ما أعدته بشراهة.

مع مرور الوقت بدأ يتقبل وجودها أمامه عند تناوله الطعام لكن
دون أن يجادتها، ولكن لم تمر بعدها إلا أيام قليلة ليبدأ معها نقاشًا:

- لماذا تفعلين لي كل هذا؟

- أخبرتك، لقد وعدت والدتك ويجب أن أوفي لها بوعدتي.

نظر إليها لبحث بعينه عن بعض المكر والخداع في عينيها، ولكنه لم
جد إلا البراءة والصدق يظهران عليها. ليكمل بعدها:

- وما الذي فعلته لك جعلك تحمِلين على ظهرك ثقل هذا الوعد
حتى أراه كثقل الجبال من شدة صعوبته.

ابتسمت له كتلك الابتسامة البريئة التي تضعها على وجهها كلما

لاقته وقالت:

- عندما كنت حامل بطفلي خرز، كنت بعيدة جدًا عن منزلي ولم أستطع الوصول إليه لاقتراب موعد ولادتي، تجسدت على شكل قطعة يتضح أنها تعاني من صعوبة ولادتها لعل أحد البشر يشفق علي، ولكن جميعهم تجاهلونني عداها. بينما كانت تحاول إيصال بعض الثياب لزيائنها توقفت لتعيرني بعض الاهتمام وتساعدني في ولادتي لطفلي لأنطق بعد خروج خرز وأبحث تحملها بين يديها:

- أيتها البشرية لك مني طلب واحد سأقوم به وإن كلفني حياتي بأكملها.

شعرت بالرعب وقتها وهربت من المكان، بينما تلك الأقمشة ظلت واقعة على الأرض بجانبني.

تذكر وقتها جابر في صغره عندما ذهبت والدته لتسليم إحدى الطلبات، ولكنها تأخرت كثيرًا حتى قلقته جدته عليها ليخرجان بعد ذلك للبحث عنها، ولكن عند رؤيتهم لها كانت ترتعش من شدة الخوف وبدأت تتمتم للجدة كلمات لم يفهم ويسمع منها وقتها عدا:

- كانت قطعة يا أمي لكنها تتحدث، كانت تتحدث معي.



لتقرأ أسماء على ابنتها بعض الآيات وهي تقول:

- اللهم أجِرنا منهم، أبعدهم عني وعن عائلتي أعوذ بالله من

الشياطين ومردتهم.

لتكمل له تلك التي أمامه:

- بعدها بدأت أتبعها في كل مكان تسير فيه، كانت تصرخ من شدة خوفها، ولكنني بقيت كما أنا وقد كانت رغبتني فقط في وقتها هي أن تطلبني ما تريد لأفعله وأرد لها الجميل الذي قامت به وأوفيها حقها. فنحن الشياطين نحترم الوعود وهي كحد السيف على رقابنا. ولكن في لحظة يأس من والدتك قالت لي:

- أرغب فقط أن تعتني بابني إن حصل لي ولوالدي أي شيء يبعدنا عنه، فهو وحيد تمامًا، وحيد رغم امتلاء هذه الدنيا من البشر حد أن وصت بهم.

صمتت تلك المخلوقة ليسألها بعد انتهائه من تناول طعامه:

- ما هو اسمك؟

- اسمي لاقيس من الجن الطيار، أمتلك ثلاث أولاد وبتين (أبايزو، حنظل - زوبعة، خصفير، خرز) وجميعهم مثل إخوتك تمامًا يا جابر.

بدأت تعليمه كل ليلة عن عالمهم، ثم رويدًا رويدًا حتى بدأ أطفالها يظهرون أمامه ليصبحن عائلته، يأكل معهم وينام معهم أيضًا وفي بعض الأحيان عندما يستيقظ كان يجد نفسه في أماكن غريبة لم يعهد لها ليأمرهم بإعادته فيعيدونه.

كانت خرز الأقرب إليه والأحب لقلبه من الجميع، فقد كانت تهوى سرد القصص له من كل زمان ومكان وتتعمد تعليمه جميع ما منعته والدتها لاقيس من تعليمه.

لطالما كانت تلك الشيطانة الأم تخاف عليه من شرور أبنائها ورغم كل ما تفعله لحمايته كانت خرز مصرة على استغلاله لتنال ما تبتغيه من علوم محرمة، بدأت تحكي له عن حديقة الحياة والأبواب الخمسة ثم تتوقف عند حدث مهم جدًا وتقول:

- تذكرت، منعتني والدتي من الحديث معك عن هذه الأشياء.

ليرجو منها أن تكمل بقوله:

- لا تهتمي لها فهي تفعل كل ما أريد، لن تستطيع منعي من التعلم

ابدأ.



لنعه بقول المزيد في وقت لاحق عند رحيل الجميع من عائلتها،
ليني منشوقًا ومتظرًا وقت مجيئها لتقص عليه ما تعلمه من أساطير
وعرائب في هذا العالم.

كانت زويدة أختها الكبرى تنصحه بالابتعاد عن خرز وعدم
معاراتها، وهمست له:

- لا تتقباي شيطان مطلقًا، فالشيطان قد يقتل أي مخلوق وإن كانت
عائتك لأجل شرور نفسه.

أبصدق جابر أن زويدة تتحدث بالسوء هكذا عن أختها رغم تأييد
جميع لها لكنه كان يميل لخرز وقصصها التي لا تنتهي.

كان مغرمًا بصوتها ورقتها وعمق تفكيرها الذي جعله يفكر بنفس
طريقتها مع مرور الوقت.

كثيرًا ما قالت له، ماذا لو أبحرنا في عمق هذه الأرض لمعرفة
سهرل، لماذا يحرم علينا اتباع أهواءنا ورغبات أنفسنا التي كانت أحد
سبب التطور في هذه الحياة.

كنت تمتلك من الفصاحة والعلم الكثير، نتيجة غوصها بين
ساعات الكتب منذ طفولتها.

حاولت لاقيس منع ابتتها خرز من التواصل مع جابر حفاظًا عليه وعلى الوعد الذي قطعت له والدته وقد عاونها على ذلك جميع أبنائها، لكن تلك الشيطانة الصغيرة أبت فوسوست لجابر بقتلهم جميعًا بواسطة مياه الحلقم التي جلبتها من النهر الوحيد المتواجد في عالم الشياطين) والذي يرتبط في ذات الوقت بالبوابة الخامسة لحديقة الحياة والتي يحرسها أناتو بنفسه.

كانت تلك المنطقة محرمة عليهم من قبل الشياطين العشرة والذين يترأسون المكان بسبب خطورته عليهم، أخبرته أيضًا أن تلك المياه التي بين يديه تكون في ذات الوقت شفاء لجميع الأمراض التي تصيب البشر والحيوانات أيضًا ومفتاحًا للخلود في هذه الأرض فهي ترغب أن تعطيه هذه الميزة في حال نفذ ما تطلبه منه ليعيش حياة طويلة في خدمتها وتحقيق رغباتها.

بينما هو شعر أنها النصف المكمل له، لقد أحبها.. أحبها كما لم يحب أحد من قبل.

فعل ما طلبته، لقد قذف بتلك المياه في ذات الإناء الذي يأكل منه هو وعائلتها. لم تمر بعدها سوى دقائق معدودة ليصرخوا ألما ويتساقطوا من حوله بينما هو ممتلئ بشعور القوة والعافية. علمت لاقيس أن ذلك الذي



فعلت لأجله المحرمات في عالمها قد خذلها وقذف بكل ما فعلته لأجل
ابنتها التي لطالما كانت تحذره منها، لم تكن حزينة منه، بل كان قلبها
يتفتت حزناً وألماً لرحيلها بعد أن خذلتها ابنتها الصغرى خرز.

نلك الشياطين، أخذت نصيباً من شرور البشر وشرور أنفسهم ذاتها
عندما انغمسوا في رداء الطيبة المحرمة عليهم.

لقد ماتوا جميعاً أمام عينيه، جثثهم تحولت لقطط سوداء ميته من
حوله، ثم سرعان ما اخفتهم خرز عن عينيه ليظهر بعدها ثلاثون شيطاناً
من أقوام مختلفة جاهزون لخدمته، بل بالأصح، جاهزون لاستغلاله
لأجل غايات خفية.

كان ينظر لخرز متعجباً، لم تظهر عليها آثار الحزن على رحيل عائلتها،
بل كل ما فعلته عوضاً عن ذلك هو وضع المزيد من الخطط لأجل أن
تدخل إلى حديقة الحياة وتكشف جميع أسرارها.

كانت تمسك يد شيطان يدعى حازر من سلالة الغيلان. كان بشعاً
مليئاً بالسواد رغم ارتدائه جسداً بشرياً لا يشبهه.

شعر جابر بالغيرة منه نتيجة اقترابه من خرز تلك التي أحبها لسنين
ضاربة، لم يستطع التحدث وقتها فابتعد عنهم ليجلس في سطح منزله
مضطرباً إلى السماء بصمت مليء بالانكسار.



سرعان ما ظهرت بجانبه لتقول له:

- ما بك!

لم ينطق لقد تجاهلها ولأول مرة مما جعلها تعيد كلمتها بغضب:

- قلت ما بك!

نظر عندها إلى خرز وظل يتأمل ملاحظها اللطيفة والتي تخفي تلك الروح الشريرة القابعة داخلها وقال:

- قلبي لا يتحمل كل ما تفعلينه يا خرز، لم يكن هذا الاتفاق قائماً وقتها.

أمسكت يده واقتربت منه لتقول:

- أنت تعلم يا جابر أني أحبك، ولم أحب أحداً بقدرك وهذا سبب إعطائي لك ماء الحلقم أو كما تسمونه في عالمكم إكسير الحياة، لأنني أردت أن أشاركك هذه الحياة بكل تفاصيلها وأن لا يأخذك الموت مني.

نظر إلى تلك الشياطين من تحته والتي تمارس فجورها أمام عينيه ليقول:

- لماذا أحضرت هؤلاء الشياطين، لم نكن نحتاج إليهم.



من قال ذلك، هم مجرد أداة للتضحية بهم في المستقبل يا عزيزي،
نحن نحتاج إليهم صدقني.

إن حازر ينظر للأعلى نحو خرز بابتسامة ساخرة من ذلك البشري
نعمي بينما تبادله الأخيرة ذات الابتسامة.

عاش جابر برفقة تلك الشياطين مئة وأربعون سنة بجسد في عمر
لثلاثين لا أكثر. كان يمارس جميع أنواع السحر ورغم انتشار الكثير من
الإنذارات عنه وعن شياطينه وأصبح الجميع يستعيذ منه لكنهم في ذات
الوقت يذهبون إليه سرًا لأجل تحقيق ما في أنفسهم.

لم يجد الشياطين صعوبة في إغواء هذا البشري البائس ومن يأتون إليه
أبغ فلبشر معروف عنهم منذ زمن طويل أنهم ألد الأعداء.



(ما أشد قسوة الإنسان على نفسه وعلى قومه الذين معه).

تعرفت خرز على الكثير من المعلومات التي قد تدلها على السبيل الوحيد الذي سيدخلها إلى حديقة الحياة ويجعلها تتجاوز تلك الأبواب الخمسة وحراسها المتكاتفين ضد الغرباء.

(الزوهري) هو القربان الأعظم والذي لا يستطيع رفضه أي حارس من حراس الأبواب الخمسة.

معلومة:

الزوهريين لديهم خصائص تميزهم عن أقراهم من البشر. لا يعرف من الأساس ما هو تكوين الزوهري رغم انتشار بعض الأقاويل أن الزوهري هو هجين بين الإنس والجان، ولكن هذا الأمر خاطئ.

فالهجين (ك ورد) من كتاب بين الأساطير، تمتلك بعض صفات لبشر والجان في ذات الوقت وقد طغت عليها صفات الجن بسبب أن والدتها من الجن ووالدها من البشر لكن إن عكسنا الأمر وكان الهجين من أم بشرية ورجل من الجان ستجده أقرب لصفات البشر رغم امتلاكه للعديد من صفات الجن أيضًا.

الزوهريون لا يمتلكون صفات خارقة كتلك التي تمتلكها ورد بل هم من الأساس بشر من أب وأم بشريين بالكامل لكنهم يمتلكون قرين



من نفس جنسهم وهذا نادر جدًا وفي ذات الوقت تكون دماءهم مخلوطة بدماء قرينهم فالأبواب بينهم مفتوحة منذ ولادتهم (فهم يولدون في ذات الوقت)، وهذا أيضًا لا يحصل للبشر عادة فالقرين يولد قبلهم بسنين طويلة.

هذا سبب من أسباب تعلق القرين بمن يقترن به حيث إنه يراه كأخيه. إن غضب الزوهرى يغضب القرين أيضًا فينتقم له وإن شعر بالسعادة يسعد ذلك القرين كذلك، ولكن لتعلم أمرًا مهم جدًا أن القرين لا يستطيع الدفاع عن صاحبه بالكامل إن لم يتم فك قيوده.

السبب الوحيد لقبول حارسي المكان لجسد الزوهرى هو القرين نفسه، من المعروف أن تضحية القرين بنفسه وعماته مع صاحبه يكون بقدر الدماء الممزوجة بين الاثنين فإن كان البشري ذا زوهرية صافية بالكامل فهذا يعني تضحية القرين بنفسه معه مؤكدة بينما تكون غير ذلك عندما تقل نسبة صفاء الزوهرى.

لكن لماذا يوافق حارسي المكان على هذا الأمر (قتل القرين) رغم أن القرين من الأساس يعد من بني جنسهم؟



رغم أن القرين من الأساس يكون من بني سوميا مجهولي الأبوين فهم يولدون من العدم ويعيشون سنوات طويلة أحرارًا حتى يولد صاحبهم ليقيدوا به، في تلك السنوات قبل تقييدهم كانوا يتفاخرون بقوتهم في عالم الشياطين والجن حيث يتعمدون إهانة كبيرهم والتقليل منه.

تساوي قوة أقل فئة من القرين تلك التي يمتلكها ملوك الجان ومردتهم. فقبولهم لذلك الزوهرى يعتمد على تضحية القرين معه إن قتل ذلك البشري وهرب القرين يتم رفض الجثة وتغلق أبواب الكنوز في وجوه الطامعين بها لذلك يفضل السحرة النوع الصافي منهم رغم ندرته.

ما هو القرين من الأساس!

في الواقع وإن ذهبنا إلى أعلم الشياطين لن يجيبك عن هوية هذا الجنس الغريب، يخلقون من العدم مكتملين عقلاً وبدناً وعند خلقهم تكون لهم معرفة كاملة عن هذه الحياة بكل ما فيها.

عدائون بالفطرة ويكرهون بني جنسهم عدا القرناء أنفسهم فقط. لا يحب القرين صاحبه في العادة لكنه يألفه ويشعر بالوحشة عند رحيله حيث إن ممات البشري لا يعني زوال تلك القيود عنه، بل سيبقى أمام نيره إلى أن يأتي أجله.



بينما قرناء الزوهرين يعتبرونهم كالأخوة تمامًا حيث يخافون على أصحابهم ويشعرون بالحب والمودة تجاههم.

إذا استتجنا أن الزوهرى لا نفع له بلا قرينه، بل إن غاية الشياطين هي القرين فقط وغاية السحرة هي الكنوز والمعرفة لا غير.

مسكين ذلك الزوهرى، ذا حظ سيء مليء بنكسات الحياة.



عودة همام

فتح ليث باب منزله بوجه عابس وقلب مليء بخذلان الحياة له..
لطالما شعر أن السعادة إن قدمت له حتى وإن سعى إليها جاهدًا فسرعان
ما تسحب منه بعد تَعُوده عليها.

تلك الفتاة، حب طفولته التي طالما تمنى أن تبادله مشاعره، أصبحت
ملكًا له ليصبح في قمة سعادته لبعض الوقت ثم سرعان ما أخذت منه
وكانها لم تكن، ما بال هذا العالم يمارس شروره علينا

هذا ما كان يشعر به في تلك اللحظة.

كان المنزل خاويًا حيث إن والدته ذهبت إلى منزل ندى للبقاء معها
خوفًا من عودة الشياطين للمكان بينما ابنته والخادمة مينا تكفلت رُبًا
بالاعتناء بهم.

جلس على أول كرسي يواجهه ليفرد جسده عليه ويرفع رأسه للأعلى
بسبب الإرهاق الذي يلامسه.

صوت ضحكات في الأعلى شبيهة بصوت جمرة، نهض سريعًا من
مكانه محاولًا التركيز خوفًا من أنه بدأ عقله يصاب بالوهم، ولكن ذلك



الصوت عاد مجددًا بطريقة جعلته يتيقن من وجود شيء في الأعلى ولا يمكن أن يكون ذلك الشيء زوجته.

رغم كل شيء ركض فورًا نحو الطابق الثالث والذي تصدر منه تلك الأصوات. فور وصوله ومشاهدته لغرفتهم مفتوحة وهناك من يعيث داخلها شعر أن قلبه على وشك التوقف خوفًا.

لكن رغم ذلك الخوف الذي يسيطر على جسده فقد حاول أن يتمالك نفسه لأجل من يحب، فتوجه خطوة تلو أخرى إلى تلك الغرفة، أقفلت الأنوار فجأة ليشعر بشخص يحادثه موجهًا كلماته لأذنه اليمنى مباشرة:

- يجب عليك إنقاذها.

بعد أن اعتادت عيناه على الظلام لاحظ جسد شخص يجلس في طرف السرير موليّه ظهره.

فقال ليث بشجاعة أبهرت من يحادثه:

- ما الذي أستطيع فعله لإنقاذها؟

- أن تجعلني أتحكم بك بالكامل وسأفعل بعدها ما أستطيع فعله لإنقاذها.



في تلك اللحظة شعر بالتوتر من فكرة إعطاء جسده لشيطان لا يعلم عنه شيئاً فقال:

- وما الذي يضمن لي أنك ستفعل ما تقوله، ثم لماذا ترغب بإنقاذ جمرة بينما أنت المتسبب بكل شيء حدث لها يا همام؟

لم يتفاجأ همام من أن ليث يعلم عنه، فقد أخبرته جمرة كل شيء من قبل فمن الذي قد يود إنقاذها من العالم الآخر سواء هو وقرينتها مهار.

لُفِّتَحَ تلك الإنارات من جديد ويظهر أمامه همام بشكل رجل غريب الملامح، ولكنه مقبول بعض الشيء ليقول له بتحدي واضح بينهم بكلمات مليئة بالسخرية:

- لقد أحبيتها، ولأني أحبيتها قد أتحالف مع عزازيل بنفسه لأجل إنقاذها.. من المفترض أن تفعل أنت ذلك أيضاً بما أنها زوجتك!

تلك الكلمات التي قالها وزرعها داخل أذن رجل عربي مليء بالغيرة على زوجته جعله يفعل بدون تفكير ما يدعي ذلك القرين فعله لتفتح الثغرات بعد أن نطق ليث بالجملة التي تسمح لأي مخلوق بالسكون داخلك دون مقاومة منك:

(جسدي في هذه الليلة ملك للقرين همام وليد الرياح).



لتحول ملامحه المرعوبة عند نطقها إلى ملامح باردة لم يعتد جسده عليها، ليختفي بعدها من المكان بلمح البصر.

في صحراء الربع الخالي، حيث البوابة الأخرى من كهف أرابينيا متواجدة في المكان. كان يمشي حيناً ويطير حيناً أخرى بمساعدة شياطينه ثم ما إن وصل إلى بقعة تغير لون ترابها للون الأبيض حتى أغمض عينيه ورفع يديه للأعلى لتدخل داخله كل الشياطين التي يملكها بالإضافة إلى خرز. فتلك البقعة لا يمكن لأي مخلوق من بني سوميا، الدخول إليها إلا إن تلبسوا بشرياً لاستخدامه كمركب لهم.



(ملحق)

التراب الأبيض المنتشر في ذلك المكان يحتوي على مادة حارقة لجسد بني سوميا حيث إنه محرم عليهم الاقتراب من أي بوابة في أرجاء الأرض نزدي إلى الدخول لكهف أرابينيا.

كهف أرابينيا يعد من الكهوف الخمسة المتواجدة حول العالم (أرابينيا، أرابينسا، أنانو، أنزو هالا والجحيم)، هؤلاء الخمسة هم حراس تلك الكهوف والتي تعد بالمعنى الأصح بوابات للكثير المطلق، حديقة الحياة التي تحتوي على ماء الحلقم والمخصص للشفاء من جميع الأمراض للبشر والذي يدعى بمسمى آخر (ماء الخلود) أو (أكسير الحياة)، بينما هنالك يوجد أيضًا ماء الخنقم والذي يعطي بني سوميا القوة الكافية لحكم الأرض بما فيها.

هذا سبب طمع (خاتمة) و (عمام) بجسد جمرة وهو ذات السبب الذي جعل خرز تجبر (جابر) على جلبها معه في هذه اللحظة.

الكثير من السحرة يظنون أن الدخول إلى إحدى هذه البوابات والحصول على الشياطين منها هي الفوز الأعظم، ولكن القلة القليلة جدًا من نعلم بسر حديقة الحياة والتي تكون في منتصف تلك البوابات



الخمسـة ولا أحد إلى الآن من مخلوقات الجان أو الإنس استطاع الدخول إليها منذ عشرين ألف سنة.

فور دخوله قال لجمرة والتي كانت تسير خلفه دون حول منها ولا قوة:

- الكثير من السحرة يفعلون المستحيل للدخول إلى هذه البوابات، يظنون أن تملك شياطين دون عهود يكون الفوز الأعظم لكنهم أغبياء جدًا، من الذي ينظر لهذه التفاهات في ظل وجود حديقة الحياة، معجزة الله في هذه الأرض.

لم تكن تفهم ما يقوله ولم تكن تملك القوة في ذات الوقت للتركيز بكلماته فجسدها قد وهن نتيجة الجوع والعطش وتشققت أقدامها من كثرة المشي.

لقد تعمد تعذيبها متلذذًا هو وشياطينه، يحرمها من الماء والطعام إلى أن تسقط من شدة الوهن ليعطيها القليل فقط ما يضمن بقاءها على قيد الحياة ثم يجعلها تمشي لساعات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة بينما تلك الشياطين تحمله وما إن يشعر بقرب خروج الروح منها يسحبها معه.



ذلك الساحر الخيث، كان مليئا بالشر الذي فاق الشياطين أنفسهم.

عند وصوله لبوابة أرايينا قال بصوت مرتفع

- أرايينا، أحمل إليك القربان الذي أود تقديمه لك، لتفتحي أبواب
رحمتك نحوي.

قال صوت خارج من العدم بعد ظهور بوابة خفية مليئة بالرموز
العربية:

- لتلامس يدك ويد أضحيتك بوابة أرايينا.

أمسك بجمرة والتي كانت تقاوم بشدة للهرب منه رغم ضعفها،
ركن دون جدوى وتقدم بخطوات الواثق نحو البوابة وفور أن وصل
إليها ووضع يده ثم أمسك بيد جمرة ليضعها في المكان المناسب، ولكن
فلا أن يفعلها ظهر صوت خلفه:

- إياك أن تفعل!

نظر للخلف ليجده زوج جمرة ليث، ولكن خرز همست في داخله أن
لتحدث هو القرين الأعظم للساحر علي الأفرهاني والذي انتشر صيته
لأشياء ممالك الشياطين من فرط قوته.



لم يكن يفصل بينه وبين حلمه، بل حلم خرز سوى تلك الخطوة الوحيدة، أن يضع يدها فقط وحاول بكل قوته سحب تلك اليد لكن وكان شيئًا خفيًا منعه من القيام بما يريد فعله.. لقد انشلت يده حيث إنها لا تتحرك بسبب مهار وهذا كان أقصى ما تستطيع فعله لشواني قليلة فقط بسبب قيودها. ما فعلته قد أعطاهم الوقت الكافي ليصل همهم نحوهم فتهرب تلك الشياطين بمن فيهم خرز والتي نظرت إلى همهم نظرة مليئة بالغضب قبل اختفائها. بدأ همهم يلکم وجه جابر بواسطة جسد ليث بكل قوته لتتناثر الدماء على وجهه وتتلطخ يد الآخر بالدماء ذاتها ثم سرعان ما يشفى وجهه وتعود دماؤه للداخل مجددًا.

علم همهم فورًا أنه شرب ماء الحلقم ولكنه لم يبال بذلك حيث اقترب منه وهمس له:

- لن أفعل بك شيئًا، فأنا متشوق لمعرفة ما سوف يحدث لبشري مغلد على يد...

كان وجه ليث يتسم ابتسامة مليئة بالمكر بينما يديه تحمل جرة التي سقطت مغشياً عليها نتيجة ما عانته وعينيه تنظران إلى ذلك الساحر الوحيد، كان ينادي على خرز راجيًا منها المساعدة، ولكن تلك الأخيرة قد ولت هاربة كالفران تمامًا. ظهر صوت أرابينيا:

- أين القربان!



ركض همام بجسد ليث حاملاً بين يديه جمره هارباً من المكان حتى تجاوز الأتربة البيضاء ثم وضعها بجانبه وظل ينظر بفضول لما سوف يحدث لجابر.

حاول الأخير الابتعاد عن البوابة وسحب يده منها، ولكن دون جدوى حيث عاد الصوت من جديد لتردد بطريقة مليئة بالغضب:

- أين القربان!

ثم سرعان ما صرخت بصوت مرعب:

- أين القربان أيها البشري..

ليعود صوته لما كان عليه لتقول:

- حسناً إذا، ستكون أنت القربان بسبب تلاعبك.

تلك الرسومات الغريبة في البوابة تحولت للون الأحمر حيث بدأت بامتصاص الدماء من جسد جابر والذي كان يصرخ من شدة الألم مستغيثاً بشياطينه التي ولت هاربة ليتحول بعدها لمومياء وتسقط جثته في الأرض وتختفي بعدها تلك البوابة رغم بقاء الأتربة البيضاء محيطة بالمكان.



أمسك همام بجسد جمرة واختفى من المكان ليضعها أمام منزل رُبا،
ويطرق الباب ثم يختفي بجسد ليث.

فور فتح الخادمة مينا للبوابة ورؤيتها لجسد جمرة أمامها حتى
صرخت لرُبا التي ساعدتها على حملها إلى الداخل.

لم تمر سوى سوياعات قليلة لتعود جمرة لوعيتها حيث إنها لم تتذكر أي
شيء مما حصل لها وقد تفاجأت من وجودها في منزل رُبا.

اتفق الجميع على عدم إخبارها بشيء وذهبوا بها نحو منزل ليث
والذي كان ينتظر قدومها بشوق أمام منزله.

ليدعي المفاجأة من عودتها وظل يسألهم عما حدث لكن إجاباتهم
واحدة، لقد وجدناها أمام باب المنزل.

مرت السنوات وقد انتقلت هذه العائلة إلى منزل آخر تحت إصرار
السيدة مها والتي ظلت تقول إن منزلهم أصبح غير صالح للسكن، ليبقى
بعد ذلك خاليًا مليئًا بكل ما يحتويه سابقًا، لم يحملوا أي شيء معهم
ليصبح خيارًا مناسبًا لمغامرات المراهقين الباحثين عن الجن نتيجة
الأصوات الغريبة التي تخرج منه ليلاً وإشاعات رؤية فتاة في الطابق
الثالث تنظر إلى المارة وتبتسم لهم ثم تختفي.



بينما تلك العائلة امتلكت منزلاً بسيطاً في إحدى الأحياء المتوسطة لتنتقل رُباً وعائلتها مع أختها وابنة أختها للبيت المجاور لهم.

كل شيء كان جميلاً، فالجميع سعيد عدا تلك الطفلة التي أصبح عمرها أربع سنوات، حيث كلما تنظر لوالدها يتضح الرعب على عينيها وتخفى خلف والدتها وهي تغمغم:

- أمي، أبي يحاول إخافتي!

بينما توبخها والدتها جمرة وتقول لها:

- إنه يمازحك يا محاسن.

ليتسم ويقول:

- دعها يبدو أنها غاضبة مني بسبب عدم إحضاري لتلك اللعبة التي طلبتها مني، سأراضيها بنفسني لا عليك.

ثم يتقدم نحوها ويجلس ليكون مساوياً لها بالطول وفور أن يدير ظهره بعيداً عن زوجته ويوجه وجهه لابنته تتحول ملامحه إلى ملامح شيطانية بينما يضع إصبعه على فمه لتحذيرها بعدم البوح.



مقتات

خاتمة

من الأفضل أن أعيد ما قلته في بداية هذا الكتاب، فلتشكروا ظلال،
فبدونها لم يكن لهذا الكتاب أن يكتمل.

أخبرتني هذه المخلوقة بأنها شهدت كل تفاصيل هذه الرواية على
أرض الواقع، لا أعلم بشأن مصداقيتها فلطالما كانت تهوى سرد
القصص ومزجها بواقع الحياة، لا تمنع إن مزجت الصدق بعشرات
الأكاذيب لتخرج في نهاية الأمر بقصة متكاملة.

لذا دعنا نقول إنك لن تميز صدق ظلال من كذبها فاقراً بعين الخيال
فقط.

قبل أن أنهي هذه الخاتمة والتي تشبه تنهيدة النفس والروح بما في
جعبتها رغم سوادها لغرض الراحة لا أكثر، تلك المخلوقة تود أن
تهديك بعض الأحرف..

سيأتيك قدرك وإن كان محملاً بالسواد

لن تخاف وقتها، لن تجرؤ على الخوف

فمن الذي يخاف من قدره!



CINDER
جمرة
دعاء الجدعاني

إنهم جبناء، جبناء يجيدون صنع الوهم

@Doaaaljedanii



9 786039 210962

دار صفحات كتاب للنشر والتوزيع